

تفسیر جزء تبارك من كناب:

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان

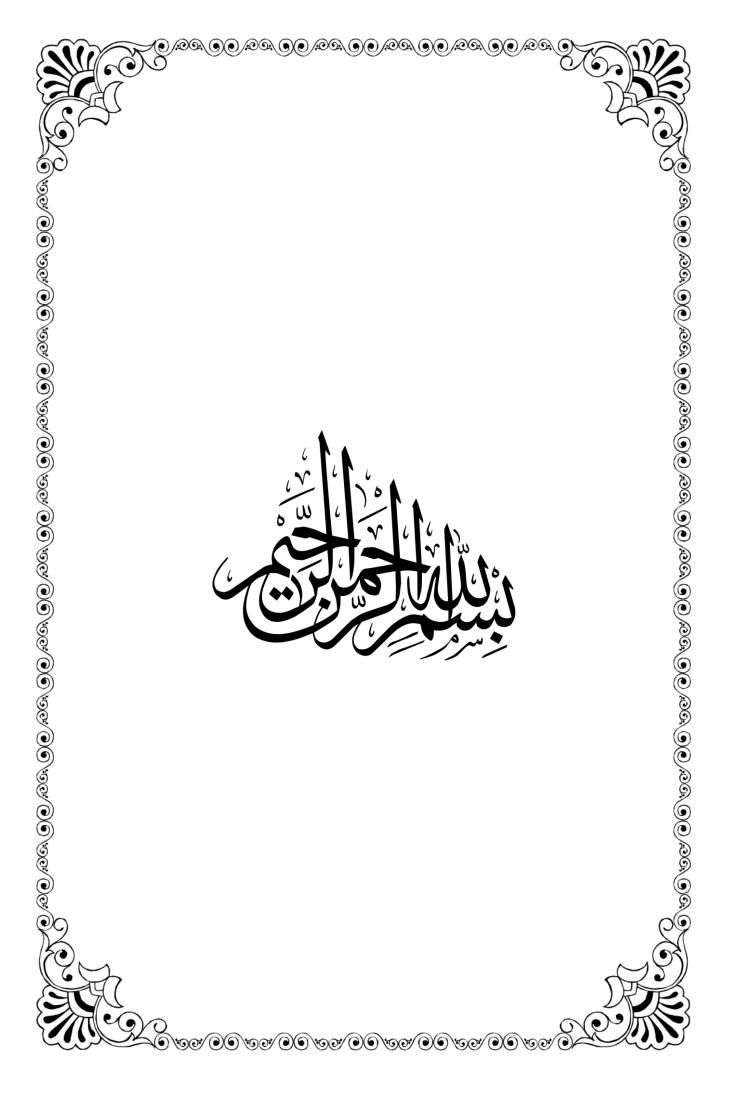
لِلشَّيْخُ العَلَّامَة

عَبْدُ الرَّحْمَن بِن ناصِر بِن عَبْدُ اللّهِ بِن سِعْدِيًّ وَحَمُدُاللَّهُ وَحَمُدُاللَّهُ وَحَمُدُاللَّهُ

شَرْحُ فَضِيلَةُ الشَّيْخ

أ.د: سليمان بن سليم الله الرحيلي

غَفَرَ اللّٰهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ







بِنْ مِلْكُهُ ٱلرَّمْ اِللَّهِ ٱلرَّمْ اِلرَّحِي مِ

الحَمْدُ اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأَتمان الأَكملان عَلَىٰ المبعوث رحمةً للعالمين، وعَلَىٰ آله وصحبه أَجْمَعِيْنَ.

أَمًا بعد؛

فمرحبًا بطلاب العِلم في درس من دروس العِلم في مسجد رَسُولُ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من القربات العظيمة والعبادات والجلوس لطلب العِلم في مسجد رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من القربات العظيمة والعبادات الكريمة، «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي الكريمة، «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيتُهُمُ الرَّحْمَةُ وَخَشَيتُهُمُ الرَّحْمَةُ وَخَشَيتُهُمُ الرَّحْمَةُ وَخَشَيتُهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ».

ومن غدا إِلَىٰ المسجد لا يريد إِلَّا أن يتعلم خيرًا أَوْ يُعلِمه فاز بأجر المعتمر الَّذِي تمت عمرته، وباجر الحاج الَّذِي تم حجه، فإن كان ذهابه إِلَىٰ مسجد رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زاد فوق ذلك أن يفوز بأجر المجاهد في سبيل الله، فهنيئًا لكم معاشر الصائمين حيث اجتمعتم هذا الاجتهاع، الَّذِي أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يجعله مباركًا.

معاشر الصائمين إن شهر رمضان شهر القرآن، وهو اللَّذِي أُنزِل فيه القرآن، فربنا سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ رحم أهل الأرض بإنزال القرآن وكان إنزاله في شهر رمضان، وهذا الإنزال له معنيان عند أهل العِلم:

• أمَّا الأوْل: فهو إنزاله من اللوح المحفوظ إِلَىٰ بيت العِزة في السهاء الدنيا دفعةً واحدة، كان ذلك

في ليلة القدر من رمضان.

وَأُمَّا المعنى النَّانِي: فهو ابتداء نزوله.

فابتداً نزول القرآن إِلَى الأرض عَلَىٰ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شهر رمضان ثُمَّ نزل منجمًا مدة حياة النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد بعثته، وكان جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يُدارِس نَبِيِّنَا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حياة النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ



القرآن في رمضان مرة، حَتَّىٰ كان آخر عامٍ لرسول لله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فدارسه جبريل عَلَيْهِ السَّلامُ القرآن مرتين.

وكان نَبِيِّنَا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفرح بهاذَا ويُسَر بهاذَا، ويتصدق كثيرًا عندما يدارسه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ القرآن، فلرَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة، وذلك لعِظَم نعمة تدارس القرآن في رمضان، وقد كان للسلف الصالح رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِمِ شأنُ عجيبٌ مع القرآن في شهر رمضان، فيقرؤنه ويتدبرونه، ويتدارسونه.

ومن أجل هلذا رأينا أن تكون دروسنا في عصر الخميس والجمعة السبت في تفسير القرآن، وكان ربنا الكريم الرحمن قد من علينا بأن ختمنا تفسير جزء: عم، الجزء الأخير فيها مضى، وفي هلذا الشهر أعني: شهر رمضان نفسر إن شاء الله عَزَّ وَجَلَّ جزء: تبارك، وطريقتنا في التفسير هي طريق السابقة؛ حيث نختار مقطعًا من السورة ثُمَّ نفسره تفسيرًا موضوعيًا، إيهانيًا، وجدانيًا نفهم به معنى الآيات الكلى، ونستفيد منه الفوائد الإيهانية، والوجدانية.

ثُمَّ بعد ذلك نفسر الآيات آية آية، ونشرح ما يحتاج إِلَىٰ شرح من الكلمات من خلال قراءة تفسير الإمام السِعدي رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، ونُعلِق عَلَىٰ ذلك ونزيد ما يحتاج إِلَىٰ زيادة، ثُمَّ إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الإمام السِعدي رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، ونُعلِق عَلَىٰ ذلك ونزيد ما يحتاج إِلَىٰ زيادة، ثُمَّ إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا ختمنا السورة، فنجمع الأمور الثلاثة: التفسير إذا ختمنا السورة: نذكر الحِكم الكلية والفوائد الكبرى من السورة، فنجمع الأمور الثلاثة: التفسير الموضوعي الإيهاني، ومعرفة المعاني التفصيلية، ومعرفة الحِكم الكلية والفوائد الكبرى.

ونبدأ اليوم إن شاء الله عَزَّ وَجَلَّ بسورة: المُلك، أَوْ سورة: تبارك، فيتفضل الابن نور الدين يقرأ لنا الآيات الأُول من هاذِه السورة.

(الماتن)

﴿ تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۞ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۞ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مَنْ فُطُورٍ ۞ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِعًا مِنْ قُطُورٍ ۞ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِعًا وَهُو حَسِيرٌ ﴾ [الملك: ١-٤].

﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ

وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِثْسَ الْمَصِيرُ ۞ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ

(Z)

تَفُورُ ۞ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِى فِيهَا فَوْجُ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۞ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ ۞ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِى فِيهَا فَوْجُ سَأَلَهُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ۞ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [اللك: ٥-١٠].

(الشرح)

هذِه السورة سورةٌ عظيمة، ولها فضلٌ عظيمٌ كريم، فهي تشفع لصاحبها، وتجادل عنه حَتَّىٰ يُغفَر له، وَحَتَّىٰ يدخل الجَنَّة، ومَن أكثر من قراءتها كان ذلك سببًا لأن يُعاذ من عذاب القبر، فهي بفضل الله مانعةٌ من عذاب القبر، ومُنجيةٌ من عذاب القبر، فقد جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ سُورَةً مِنَ القُرْآنِ ثَلاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّىٰ غُفِرَ لَهُ، وَهِيَ سُورَةً تَبَارَكَ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ سُورَةً مِنَ القُرْآنِ ثَلاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّىٰ غُفِرَ لَهُ، وَهِيَ سُورَةً تَبَارَكَ اللّذِي بِيدِهِ المُلْكُ»، هلذَا الحديث رواه أبو داود والترمذي، وحسنه الألباني، وصححه في موطنٍ آخر. وجاء في روايةٍ أن النَّبِي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سُورَةً مِنَ الْقُرْآنِ، ثَلاثِينَ آيَةً، خَاصَمَت عَنْ صاحبِها حَتَّىٰ أَدْخَلتهُ الجَنَّة، وَهِيَ: تَبَارَكَ الَّذِي بِيكِهِ الْمُلْكُ»، رواه الضياء وحسنه الألباني، فمَن أكثر من قراءة سورة المُلك حَتَّىٰ صار صاحبًا لها، والصاحب هو الملازم فإنها تشفع له لقراءته لها، حَتَّىٰ يغفر الله ذنبه، وَحَتَّىٰ يُدخِله الجَنَّة.

وجاء عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَن النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ لَا يِنَامَ حَتَّىٰ يقرأ (أَلَم تنزيل)؛ أي: السجدة، وتبارك الَّذِي بيده الملك، رواه أحمد والترمذي، وصححه الألباني، فكان نَبِيِّنَا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكثِر من قراءة سورة تبارك، وكان يقرأها قبل نومه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وجاء عن ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا؛ أي عن رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سُورَة تَبَارَكَ هِي المانِعَةُ مِنْ عَذَابِ القَبرِ» رواه أبو الشيخ، وحسنه الألباني، وجاء أَيْضًا عن ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ: "يؤتى الرجل في قبره فتؤتى رجلاه، فتقول رِجلاه: ليس لكم إِلَىٰ ما قِبلي سبيل كان يقرأ علي سورة المُلك، ثُمَّ يؤتى من قِبَل صدره فيقول: ليس لكم عَلَىٰ ما قِبلي سبيل كان يقرأ سورة المُلك، ثُمَّ يؤتى من قِبَل صدره فيقول: ليس لكم عَلَىٰ ما قِبلي سبيل كان يقرأ سورة المُلك.

وفي رواية: "كان أَوْعى في سورة المُلك"؛ أي: حفظ سورة المُلك، "ثُمَّ يؤتى برأسه فيقول: ليس لكم عَلَىٰ ما قبلي سبيل كان يقرأ بسورة المُلك"؛ رواه الحاكِم، والطبراني، وحسنه الألباني، وهلذَا الحديث وإن كان موقوفًا عَلَىٰ ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَّا أَن له حُكم الرفع فإنه عن أمر غيبي لا يُقَالَ

بالرأي.

فالإنسان إِذَا أُدخِل القبر وكان مستحقا القبر لأفعالٍ فعلها وأفعالٍ تقدمت منه يأتيه ملائكة العذاب من قِبَل رجليه فتردهم رِجلاه والسبب: أنه كان يقرأ عليها بسورة المُلك، فتذهب ملائكة العذاب إِلَى جهة صدره لتناله بالعذاب فيقول صدره: ليس لكم عَلَىٰ ما قِبَلِي سبيل إنه كان يقرأ سورة المُلك، وفي رواية: إنه كان أَوْعى في سورة المُلك؛ أي: حفظها، فتأتي الملائكة إِلَىٰ جهة رأسه لتناله بالعذاب من هناك فيقول رأسه: ليس لكم عَلَىٰ ما قبلى سبيل إنه كان يقرأ بي سورة المُلك.

وجاء عن ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ: "مَن قرأ تبارك الَّذِي بيده المُلك في كل ليلةٍ منعه الله عَزَّ وَجَلَّ من عذاب القبر"؛ رواه النسائي وحسنه الألباني، ولذلك كان السَلَف يقولون عن سورة المُلك: إنها تُجادِل عن صاحبها، كما رواه مالكٌ عن حُميد بن عبد الرحمن بن عوف.

وقد ذَكَرَ العِلمَاء لهذِه السورة عدة أسماء منها: تبارك الَّذِي بيده المُلك؛ وهندا من الحديث الَّذِي ذكرناه، ومنها: سورة المُلك؛ وهندا هو الاسم الشائع، ومنها: المانعة؛ أي: أنها تمنع من عذاب القبر، ومنها: المُنجية؛ أي: أن العبد يُوقى بها من عذاب القبر، ومنها: الواقية؛ أي: أن العبد يوقى بها من عذاب القبر، ومنها: المناعة بصيغة المبالغة؛ أي: كثيرة المنع من عذاب القبر.

فحقيقٌ بالمسلم أن يعتني بهذِه الصورة وأن يحفظها، وما هي إِلَّا ثلاثون آية، وأن يقرأها في كل ليلة، وأن يُصاحِبها، والصُحبَةُ إِنَّمَا تكون من الملازمة وكثرة القراءة، ففي هذِه الآيات الَّتِي سمعناها من هذِه السورة المكية التي اتفق العِلماء عَلَىٰ أنها: مكية، يُمجِد ربنا سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ نفسه ويُخبِر أنه تَعَالَىٰ وتعاظم، وأن البركة كلها بيده، فمبتدأ الخير منه سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ، ودوام الخير منه سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ، وغماء الخير منه سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ، وغماء الخير منه سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ، وغماء الخير منه سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ، كثر خيره وعَظُم إحسانه.

ويُخبِر سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ أنه بيده الملك فهو المتصرف في جميع المخلوقات بها يشاء سُبْحَانَهُ، لا مُعقِب لحكمه، ولا راد لحكمه، فالخلق كلهم مملوكون له، ومحتاجون إليه والخير بيديه، وله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ القدرة الكاملة عَلَىٰ كل شيء، وهو سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ أوجد البشر من العدم، ورباهم بالنِعَم، فخلق: الموت، والحياة، وجعل الحياة بين عدمين؛ بين عدم ثابت، وموتٍ لاحِق.

فحياتنا في الدنيا محوطة بالعدم، عدمٌ يسبقها في كنا شيئًا قبل أن يخلقنا الله، وعندما كنا في أرحام أمهاتنا قبل أن تُنفَخ فينا الروح فكنا عدمًا؛ لأن من معاني العدم عند العلياء: ما لا روح فيه، ثُمَّ نُفِخَت

فينا الروح، فكنا أحياء، ثُمَّ لَا بُدَّ من الموت وهو اليقين وإن تناسيناه، وهو اللاحق وإن تغافلنا عنه، فكلُ منا سيدركه الموت، فحياتنا في الدنيا قصيرةٌ محوطةٌ بالعدم.

ولم يُخلَق الإنسان هكذا عبثًا، بل خلقه الله عَزَّ وَجَلَّ من عبادته، قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وخلق الخلق كله لتحقيق عبوديته سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ، فخلق الحِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٤]، وخلق الخلق كله لتحقيق عبوديته سُبْحَانَهُ مَن هو أحسن عملًا في الموت والحياة ليبتلي الإنسان هل يُحسِن في عمله أَوْ يُسيء، ويرى سُبْحَانَهُ مَن هو أحسن عملًا في عبادته، وحُسن العبادة في: الإخلاص لله، والمتابعة لرَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَالعِبْرَة فِي العبادة: بحُسن العمل، فليس الشأن أن تُكثِر، وإِنَّمَ الشأن أن تُقبَل، فاقتصادٌ في إخلاصٌ وسنة خيرٌ من اجتهادٍ وإكثارٍ في رياءٍ أَوْ بِدعة، وهو سُبْحَانَهُ وتَعَالَى العزيز منيع الجنان، الَّذِي لا يُغلَب، فله سُبْحَانَهُ عزة الامتناع، فيسقط عنده كل كيدٍ ولا تبلغ المخلوقات ولو اجتمعت، ولو تناصرت كلها ضره سُبْحَانَهُ وتَعَالَى، والمخلوقات كلها محتاجة إليه.

وله سُبْحَانَهُ عزة القهر والغلبة، فهو سُبْحَانَهُ القاهر لأعدائه الَّذِي لا يقهر، والغالب الَّذِي لا يُغلَب، وكل المخلوقات خاضعةٌ لعظمته، وجميع نواصيها بيده سُبْحَانَهُ وتَعَالَى، وله سُبْحَانَهُ عِزَة القوة، وتقاصر كل قوةٍ عند قوته سُبْحَانَهُ وتَعَالَى، فله عِزَة القوة، ومع عزته سُبْحَانَهُ وتَعَالَى فهو الغفور، وكثير المغفرة، فيستر الذنوب ويغطيها، يُذنِب العبد ويُسرِف والله يستر ويغطي، ولا يفضح، ويعفو عنها، ولا يؤاخذ بها مها كَبُرَت، ومها كَثُرَت ومها تكررت لمن استغفر وتاب.

يُذنِب العبد والله يراه، يُذنِب العبد والله يسمعه، لكنه الغفور فيستره، ويغطي ذنبه، ويغطي عيبه، فإذا أناب وتاب ورجع إِلَىٰ الله واستغفر فرح الله به مهم كثر منفوته عزيزٌ فلا ييأس العبد من رحمته، ولا حسنات، فهو سُبْحَانَهُ مع عزته كثير المغفرة، ومع كثر مغفرته عزيزٌ فلا ييأس العبد من رحمته، ولا يقنط من عفوه مهما أذنب؛ لأنه سُبْحَانَهُ الغفور، ولا يجرؤ العبد عَلَىٰ معاصيه ولا يستهين بها؛ لأنه سُبْحَانَهُ الغزيز.

يقول العِلماء: فقبل الذنب يُقدِم العبد اسم العزيز حَتَّىٰ ينزجر عن الذنب، ويخاف أن ينتقم الله منه إن فعل الذنب، وبعد الذنب يُقدِم اسم الغفور حَتَّىٰ يرجو رحمة الله، ومغفرة الله فيدعوه ذلك إِلَىٰ أن يؤوب ويتوب، ويستغفر الله وتَعَالَىٰ، وهو سُبْحَانَهُ الَّذِي خلق سبع سمواتٍ طبقة فوق طبقة تعلو



كل واحدة الأخرى غير ملتصقات، وبينهن خلاءٌ واسع ومع ذلك لا تعتمد عَلَىٰ عَمَد، فلا ترى يا عبد الله السهاء الدنيا قائمةٍ عَلَىٰ عَمَد.

وكذلك كل سماء لا تكون قائمةً عَلَىٰ عَمَد خلقها الله عَزَّ وَجَلَّ في غاية الإتقان، ليس فيها نقصٌ، ولا عيبٌ، ولا اختلافٌ، ولا تنافُر، فلو نظرت يا ابن آدم إلى السماء لأعجبك إتقان خلقها، ولن ترى فيها تفاوتًا، وإن كررت النظر ستتيقن من هذاً.

فيا ابن آدم انظر إِلَىٰ السهاء مرة بعد مرة وتأمل هلابه السهاء هل ترى فيها عيبًا، هل ترى فيها نقصًا، هل ترى فيها خللاً، هل ترى فيها وهنًا، هل ترى فيها شقوقًا، هل ترى فيها خروقًا، هل تراها يومًا مائلة جهة اليمين، أَوْ يومًا مائلة جهة اليسار؟ لا والله مهها كررت النظر لن ترى شيئًا من ذلك، بل يرجع إليك بصرك صاغرًا ذليلًا مُتعبًا من كثرة النظر من غير تحصيل خلل تراه في السهاء مع اتساعها ورفعها بدون عَمَد وامتداد الزمان الطويل ما تغيرت، ولا تشققت، ولا وهنت، ولا ترى فيها أي عيب، ولا يقدر عَلَىٰ ذلك إِلَّا الله.

فيُدرِك هذا كل عاقل، وهذا يقتضي من العاقل: أن يؤمن بالله، وكمال قدرته، ووحدانيته، وأن يخضع لله بقلبه وبجوارحه، ولما نفى الله عَزَّ وَجَلَّ الخلل عن السماء بين سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ حُسنها، وأنه جملها وزينها فلم يتركها مُظلِمةً، بل زينها بالنجوم المتلألئة.

فَإِذَا نظر العبد إِلَىٰ السهاء في الليل رأى النجوم وتلألؤها، وكيف هي زينة، وهو أمرٌ حُرِمناه مع هانِده الأنوار في المدن، ولو خرج الإنسان إِلَىٰ الصحراء في اَللَّيْل ونظر إِلَىٰ السهاء في اَللَّيْل لرأى هلاَ الجهال، وهلنِه الزينة العظيمة بهلنِه النجوم، وجعل الله عَزَّ وَجَلَّ من جِنس النجوم شُهبًا تُحرَس بها السهاء من الشياطين المتمردة الَّتِي تسترق السمع من السهاء.

وعندما بُعِث النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُلتَت السهاء الدنيا حرسًا شديدًا وشُهبًا، فالنجوم زينةٌ للسهاء، وحراسةٌ للسهاء، وبها يهتدي أهل الارض إِلَى الأَمَّاكن الَّتِي يريدون فكلها خير، ومع أن الله عَزَّ وَجَلَّ جعل شهبًا تُرمى بها تلك الشياطين المتمردة في الدنيا، فإن الله جعل لتلك الشياطين المتمردة عذاب السعير في نار جهنم الَّتِي هي شديدة الالتهاب وشديدة الاشتعال.

هذا تفسير هذه الآيات الموضوعي الإيماني، ثُمَّ ننتقل إِلَىٰ تفسير الآيات وشرح الكلمات، ونقرأ ما كتبه الإمام السِعدي رَحِمَهُ اللَّهُ ونُعلِق عليه.

(الماتن)

قَالَ الإمام عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللهُ: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ [الملك: ١]؛ أي: تعاظم وتعالىٰ، وكثر خيره، وعم إحسانه، من عظمته أن بيده مُلك العالم العلوي والسفلي، فهو الَّذِي خلقه، ويتصرف فيه بما شاء، من الأحكام القدرية، والأحكام الدينية، التابعة لحكمته، ومن عظمته، كمال قدرته الَّتِي يقدر بها علىٰ كل شيء، وبها أوجد ما أوجد من المخلوقات العظيمة، كالسموات والأرض.

(الشرح)

(﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ [الملك: ١]؛ أي: تعاظم وتعالى، وكثر خيره، وعم إحسانه)؛ هذا معنى تبارك، وقَالَ بعض أهل العِلم: معناها أي: باسمه سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ يُبارَك كل شيء، أَوْ يُبارَك في كل شيء.

وتبارك كما تلحظون تفاعل من البركة، والبركة هي النماء والزيادة وكثرة الخير، ودوام الخير، قالَ ابن القيم رَحِمَهُ اللّهُ: "البركة نوعان أحدهم: بركةٌ هي فعله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى، والفعل فيها بارك، والله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ هو الَّذِي يُبارَك سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ، والنوع الْثَّانِي: بركةٌ تضاف إليه إضافة الرحمة، والعِزَة، والفعل منها: تَبَارك، ولهذَا لا يُقَالَ بغيره".

الآن مثلًا تقول هاذِه الأيام: رمضان مبارك، فيقول لك: علينا وعَلَى المسلمين يتبارك، فهل هاذَا خطأ؟ بعض أهل العِلم يقولون: نعم هاذَا خطأ؛ لأن تبارك لا تُقَالَ إِلَّا بالله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى، ولذلك علينا وعَلَى المسلمين يُبارَك؛ أي: يباركه الله، وشيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُ الله يقول: إن هاذَا لا بأس به أن تقول: تبارك، أوْ يتبارك؛ لأن مقصود الناس: حصول البركة، لا أن الشيء يبارك بنفسه.

فمعنى يتبارك عند الناس إذا قَالُوه، أوْ تبارك عند الناس إذا قَالُوه تحصل فيه البركة، يقول الشيخ: والناس يؤاخذون ويعاملون بعُرفهِم ومقاصدهم، فها دام أن المعنى صحيح المراد، ولا يريدون الممنوع فلا بأس بهذا، ولذلك لا ينبغي التشديد، ولو قلت لإنسان: شهر مبارك، أوْ رمضان مبارك، فقالَ لك: علينا وعَلَىٰ المسلمين يتبارك لا تزجره ولا تُشدِد عليه؛ لأن مقصود الناس واضح، لكن إن أرشدته بأسلوب لطيف وقلت: يا أخى لو قلنا يُبارَك لكان أحسن، لكان هاذا طيبًا.

أنا قلت هاذَا لأني رأيت رسائل تُحدِد وتُشدِد من قول: علينا وعَلَىٰ يتبارك، فالمسألة ليس فيها قولٌ

واحد، وَأَيضًا النظر فيها إِلَى مقاصد الناس من ألفاظهم.

(التابعة لحكمته)؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ مع كونه الملك لا يفعل شيئًا إِلَّا لِحِكمَة، ولا يشرَع شيئًا إلَّا لِحِكمَة سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ، فيُعز مَن يشاء ويُذِل مَن يشاء.

فإذَا جاءك أحد لأنك عَلَىٰ الحق يساومك ويقول: إن تركت هذَا رفعناك، وإن ثبت عليه وضعناك وفصلناك، فوالله إنهم لا يملكون، فالمُلك لله يضع به مَن يشاء، ويرفع مَن يشاء، ويُغِز مَن يشاء، ويُذِل مَن يشاء، أمَّا أَوْلئك فرفعهم وضعٌ ووضعهم رفعٌ، مَن يساومك عَلَىٰ الحق ويقولون: أتركه نرفعك، فوالله لو رفعوك لأنك تركت الحق والله إنهم يضعونك، ولو وضعوك لأنك متمسك بالتوحيد والسُّنَة ومنهج السَلف الصالح رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِم والله إنها رِفعَة، وعِزَة، فالله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ الملك فيعُز مَن يشاء، ويُغِز مَن يشاء، ويميت مَن يشاء سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ الملك

(الماتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللّهُ: وخلق الموت والحياة أي: قدر لعباده أن يحييهم ثُمَّ يميتهم؛ ﴿ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ اللهُ اللهُ: وخلق الموت والحياة أي: أخسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك: ٢]؛ أي: أخلصه وأصوبه، فإن الله خلق عباده، وأخرجهم لهذه الدار، وأخبرهم أنهم سينقلون منها، وأمرهم ونهاهم، وابتلاهم بالشهوات المعارضة لأمره، فمَن انقاد لأمر الله وأحسن الله له الجزاء في الدارين، ومَن مال مع شهوات النفس، ونبذ أمر الله، فله شر الجزاء.

﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ ﴾ [الملك: ٢]؛ اللَّذِي له العزة كلها، الَّتِي قهر بها جميع الأشياء، وانقادت له المخلوقات.

والْغَفُورُ الملك: ٢] عن المسيئين والمقصرين والمذنبين، خصوصًا إِذَا تابوا وأنابوا، فإنه يغفر ذنوبهم، ولو بلغت عنان السماء، ويستر عيوبهم، ولو كانت ملء الدنيا.

(الشرح)

(وخلق الموت والحياة أي: قدر لعباده أن يحييهم ثُمَّ يميتهم)؛ لماذا قدم الله الموت عَلَىٰ الحياة؟ بعض أهل العِلم قَالُوا: لأن الموت هو الواعِظ وكفى بالموت واعظًا، فمَن تذكر الموت أحسن العمل في حياته، فكأن الله يقول: يا عبد تذكر أنك تموت فأحسِن عملك في الحياة، فقُدِم الموت لأنه الواعِظ. وقال بعض أهل العِلم: قُدِم الموت لأن الحياء يسبقها العدم بالنسبة للإنسان فهو قبلها وبعدها،

فقُدِم الموت.

وقَالَ بعض أهل العِلم معنى الآية: الَّذِي خلقكم للموت في الدنيا، وللحياة في الأخرى، والمغبون من قُدِم الموت عَلَىٰ الحياة، فالحياة الحقيقية في الآخرة، والدنيا لَا بُدَّ فيها من الموت، قَالَوا إِذًا معنى الآية: الَّذِي خلقكم للموت في الدنيا، وخلقكم للحياة في الآخرة، فأحسِنوا العمل من أجل حياتكم الَّتِي هي في الآخرة.

(﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك: ٢]؛ أي: أخلصه وأصوبه)؛ فلا يكون مقبولًا إِلَّا إِذَا اجتمع فيه الإخلاص لله والمتابعة لرَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكلما ساد الإخلاص وعَظُمَت المتابعة وحَسُنَت ساد الثواب، فِإِذَا وُجِد أصل الإخلاص والمتابعة صح العمل.

فَإِذَا كنت في عملك حريصًا عَلَىٰ أن تفعل كما فعل رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتصلي كما صلى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تفعله، صلى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تفعله، وتحرص عَلَىٰ تمام الإخلاص كان ذلك أعظم ثوابًا، ولذلك يا إخوة نحن نصلي جميعًا في مسجد واحد صلاةً واحدة، خلف إمام واحد، لكن والله نختلف في الثواب، فلسنًا عَلَىٰ درجةٍ واحدة في الثواب، فبمقدار إخلاصك ومتابعتك لرَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعظُم ثوابك عند ربك سُبْحَانَهُ وتَعَالىٰ. (﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ ﴾ [الملك: ٢]؛ الَّذِي له العزة كلها)؛ العزة كلها بأنواعها الثلاثة: عزة القوة، وعزة الغلبة، وعزة الامتناع، كما ذكرناه في المعنى.

(و الْغَفُورُ الملك: ٢] عن المسيئين والمقصرين والمذنبين، خصوصًا إِذَا تابوا وأنابوا، فإنه يغفر ذنوبهم، ولو بلغت عنان السماء، ويستر عيوبهم، ولو كانت ملء الدنيا)؛ إِذًا الغفور هو: كثير الستر، كثير العفو، والحظوا القرن بين الاسمين: العزيز الغفور ليسير الإنسان سيرًا حسنًا فلا يجرؤ عَلَى المعاصي متكئًا عَلَىٰ أن الله غفور، ولا ييأس إِذَا فعل المعصية لأن الله عزيز، بل يعلم أن الله عزيز، غفور.

(الماتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللّهُ: ﴿ اللَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَهَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴾ [الملك: ٣]؛ أي: كل واحدة فوق الأخرى، ولسن طبقة واحدة، وخلقها في غاية الحسن والإتقان، ﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ ﴾ [الملك: ٣]؛ أي: خلل ونقص.

وإذا انتفىٰ النقص من كل وجه، صارت حسنةً كاملةً، متناسبةً من كل وجه، في لونها وهيئتها وارتفاعها، وما فيها من الشَّمْس والقمر والكواكب النيرات، الثوابت منهن والسيارات.

ولما كان كمالها معلومًا، أمر الله تعالى بتكرار النظر إليها والتأمل في أرجائها، قال:

﴿ فَارْجِعِ الْبَصَرَ ﴾ [الملك: ٣]؛ أي: أعده إليها، ناظرًا معتبرًا ﴿ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴾ [الملك: ٣]؛ أي: نقص واختلال.

﴿ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ ﴾ [الملك: ٤]؛ المراد بذلك: كثرة التكرار، ﴿ يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِتًا وَهُو حَسِيرٌ ﴾ [الملك: ٤]؛ أي: عاجزًا عن أن يرى خللا أو فطورًا، ولو حرص غاية الحرص. (الشرح)

(﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ ﴾ [الملك: ٣]؛ أي: خلل ونقص)؛ أي: خللٍ ونقص واختلافٍ واعوِجاج؛ يعني: ما ترى فيها يومًا هيئة ثُمَّ بعد شهر ترى هيئة أخرى، فها تراها مالت جهة الجنوب، وبعد سنة تراها مالت جهة الشهال، فها ترى هذا الاختلاف أبدًا.

فتولد وأنت تنظر إِلَىٰ السماء إِلَىٰ أن تموت والسماء هي السماء وما ترى فيها اختلافًا، ولا اعوِ جاجًا، فأيضًا من معاني التفاوت الاعِوجاج فلا ترى فيها اعوِجاجًا.

(هُمُلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴾ [الملك: ٣]؛ أي: نقص واختلال)؛ الفطور: هو النقص، وهو: الاختلال، وهو: العيب، وهو: الشقوق، وهو: الخروق فكلها من معاني الفطور.

(﴿ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ ﴾ [الملك: ٤]؛ المراد بذلك: كثرة التكرار)؛ أَوْلًا الكرَة هي: الرجعة مرةً بعد أخرى.

(﴿ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ ﴾ [الملك: ٤])؛ هل المراد: انظر مرتين؟ يقول لك الشيخ: لا، فالمراد: كثرة التكرار، وهاذِه من عادة العرب.

ولذلك الصواب فيها جاء أن النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول بين السجدتين: «رَبِّ إغْفِرْ لِي رَبِّ إغْفِرْ لِي وَبِّ إغْفِرْ لِي وَبِ إِنْ المَامِ وَمَن عادة العرب إِذَا ثنت الكلمة أَوْ عطفتها مثناه مرتين أنها تريد: الكثرة، والتكرار، لا التثنية.



(﴿ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِتًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ [الملك: ٤]؛ أي: عاجزًا عن أن يرى خللا أو فطورًا، ولو حرص غاية الحرص)؛ هذا معنى: خاسئًا، فخاسئًا أي: عاجزًا عن أن يرى خللًا أو فطورًا، ساخرًا أمام عظمة الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ.

وأمَّا معنى حسير فحسير تعني: في غاية التعب، والمقصود أنه: نظر ونظر وأدار ونظر يبحث وتعب من النظر، فلم ينظر مرة ولا مرتين ولا ثلاث ولا سبع ولا عشر، فَهالِه فائدة كلمة: حسير، أنه لو نظر مليون بل مليار لن يُحصِل إِلَّا التعب إِذَا كان يريد أن يرى الفطور فإنه لن يراها، فمعنى حسير: في غاية التعب من تكرار النظر.

(الماتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللّهُ: ثُمَّ صرح بذِكر حسنها فَقَالَ: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا هُمُ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾ [الملك: ٥]؛ أي: ولقد جملنا ﴿ السَّمَاءَ الدُّنْيَا ﴾ [الملك: ٥] الَّتِي ترونها وتليكم، ﴿ بِمَصَابِيحَ ﴾ [الملك: ٥] وهي: النجوم، عَلَىٰ اختلافها في النور والضياء، فإنه لولا ما فيها من النجوم، لكانت سقفًا مظلمًا، لا حسن فيه ولا جمال.

(الشرح)

وسميت النجوم مصابيح لإضاءتها.

(الماتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللّهُ: ولكن جعل الله هٰذِه النجوم زينة للسماء، وجمالًا، ونورًا وهدايةً يُهتدى بها في ظلمات البر والبحر، ولا ينافي إخباره أنه زين السماء الدنيا بمصابيح، أن يكون كثيرٌ من النجوم فوق السماوات السبع، فإن السماوات شفافة، وبذلك تحصل الزينة للسماء الدنيا، وإن لم تكن الكواكب فيها.

﴿ وَجَعَلْنَاهَا ﴾ [الملك: ٥] أي: المصابيح ﴿ رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ﴾ [الملك: ٥] الَّذِينَ يريدون استراق خبر السماء، فجعل الله هٰذِه النجوم، حراسة للسماء عن تلقف الشياطين أخبار الأرض، فَهٰذِه الشهب التّبي ترمى من النجوم، أعدها الله في الدنيا للشياطين، ﴿ وَأَعْتَدُنَا هُمْ ﴾ [الملك: ٥] في الآخرة ﴿ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾ [الملك: ٥] لأنهم تمردوا على الله، وأضلوا عباده، ولهذا كان أتباعهم من الكفار مثلهم، قد أعد الله لهم عذاب السعير، فلهذا قَالَ: ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِنْسَ المُصِيرُ ﴾ [الملك:

٦] الذي يهان أهله غاية الهوان.

(الشرح)

(وبذلك تحصل الزينة للسماء الدنيا، وإن لم تكن الكواكب فيها)؛ مقصود الشيخ: أن الكواكب حَتَّىٰ لو كانت في سماءٍ أخرى فإنها تكون زينةً للسماء الدنيا.

(﴿ وَجَعَلْنَاهَا ﴾ [الملك: ٥] أي: المصابيح ﴿ رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ﴾ [الملك: ٥] الَّذِينَ يريدون استراق خبر السماء)؛ وجعلناها أي: المصابيح التي هي النجوم، طيب هل النجوم والشُهُب هي نفس المصابيح ونفس النجوم؟ قَالَ بعض أهل العِلم: لا؛ لأن النجوم زينة فكيف شُهبًا يُرمى بها وتذهب، إذًا ما المقصود؟ قَالُوا المعنى: جعلنا من جِنسها شُهبًا فعندنا النجوم زينة، ومن جِنسِها: شُهُب تُرمى عَلَى الشياطين.

وقَالَ بعض أهل العِلم المعنى: ينفصل منها شُهُبٌ؛ يعني: النجم باقي مع ضوئه، لكن ينفصل من النجم شِهاب تُرمى به الشياطين.

وقَالَ بعض أهل العِلم: بل هي النجوم يُرمى بها ويبدلها الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ، والأمر هنا واسع لأنه لا دليل خاص.

✓ ومعنى الرجوم يا إخوة: الرمي، وما يُرمى به، فهي رجوم لأنها تُرمى بها الشياطين.

(﴿ وَأَعْتَدُنَا هُمْ ﴾ [الملك: ٥] في الآخرة ﴿ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾ [الملك: ٥] لأنهم تمردوا على الله، وأضلوا عباده)؛ أي: للشياطين؛ لأنهم أصل الضلال، وهم الَّذِين يضلون بني آدم.

(﴿ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾ [الملك: ٥])؛ السعير هي: النَّار المسعَرة المشتعلة شديدة الاشتعال.

ونقف عند هذا الموطن، وإن شاء الله عَزَّ وَجَلَّ في الدرس القادم نُكمِل تفسير هذه السورة، إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ سنجعل في الأيام القادمة في كل يومٍ تفسير سورةٍ واحدة، فإن عجِزنا نقسمها عَلَى مجلسين حَتَّىٰ نختم في هذا الشهر إِنْ شَاءَ اللهُ.

وَصَلَّ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ.





بِسْ مِلْكُهُ الرَّمْ زِالرَّحِي مِ

الحَمْدُ اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأَتمان الأَكملان عَلَىٰ المبعوث رحمةً للعالمين، وعَلَىٰ آله وصحبه أَجْمَعِيْنَ.

اً أُمَّا بعد؛

نواصل مجالسنا في تفسير كلام ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، حيث نفسر في هلّهِ المجالس: الجزء التَّاسِع والعشرين من القرآن الكريم، حيث كنا شرعنا في المجلس الماضي في تفسير السورة العظيمة سورة: المُلك؛ سورة: تبارك الَّذِي بيده المُلك، وتكلمنا في المجلس الماضي عن فضلها، وذكرنا ما ثبت في ذلك، ثُمَّ أخذنا المقطع اللَّوَ منها ففسرنا الآيات تفسيرًا موضوعيًا إيهانيًا وجدانيًا، ففسرناها تفسيرًا تفصيلًا.

واليوم إِنْ شَاءَ اللهُ نواصل تفسير لهذِه السورة، فيتفضل الابن نور الدين وَفَقَهُ اللهُ والسامعين يقرأ لنا.

(الماتن)

﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ

وَ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِثْسَ الْمَصِيرُ ۞ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ۞ تَكَادُ تَمَيَّرُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجُ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۞ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴾ [الملك: ٥-٩].

﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۞ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ۞ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ۞ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۞ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ الْحُهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۞ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۞ اللك: ١٠-١٤].

(الشرح)

لما تقدمت الآيات الَّتِي تدل عَلَىٰ توحيد الله عَزَّ وَجَلَّ ، وتضمنت تلكم الآيات: الآيات الكونية الدالة عَلَىٰ ذلك، وأخبرنا الله عَزَّ وَجَلَّ أنه يختبر عباده هل يُحسِنون أَوْ يسيئون، فبين سُبْحَانَهُ مصير كل فريق؛ مصير المُحسنين، ومصير المسيئين، فذكر سُبْحَانَهُ مصير الكافرين بعد أن ذَكرَ مصير الشياطين، وأنهم في عذاب السعير، ولذلك لأن الكفار أطاعوا الشياطين فكفروا بالله عَزَّ وَجَلَّ طاعةً للشياطين، فذكر الله مصيرهم بعد ذِكر مصير الشياطين.

فهؤلاء الكفار الَّذِي أطاعوا الشياطين سيجتمعون معهم في عذاب السعير، يُلقون فيها يوم القيامة إلقاءً فيتساقطون فيها إهانةً لهم وإزلالًا، ويُلقوا فيها يؤذون بصياحها وصوتها العالي، فأول ما يلقاهم من النَّار صياح المُنكر، وصوتٌ عالٍ من النَّار كأنه يخرج من الصدر بشدة، وهي تغلي أشد الغليان؛ لأنها نارٌ ملتهبةٌ مُسعرَة، وتغلي من غيظها عَلَىٰ هؤلاء الَّذِينَ كفروا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ويكاد غيظها عليهم يجعل بعضها ينفصل من بعض من شدة غيظها، فيؤذون بسمعهم بالصياح، ويؤذون ببصرهم وهم يتساقطون حيث يرون غليان النَّار الَّتِي يسقطون فيها، وهي تغلي بهم كغلي الحب القليل في الماء الكثير، لا يَثبُت بعضه بعضًا، بل يتحرك ويضطرب، فهم مع كونهم في العذاب الشديد يتحركون في النَّار ويضطربون ولا تستقر أجسادهم فيزداد ألمهم ألمًا، فهي عذاب، وفيها عذابٌ فوق العذاب.

وكلما أُلقي فيها جماعةٌ منهم سألهم الملائكة خزنة جهنم تبكيتًا لهم، وبينانًا لعدل الله فيهم، وأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ما ظلمهم؛ لأنه سُبْحَانَهُ قد أرسل لهم الرُسُل مبشرين ومنذرين ومبينين الحق، ومنفرين من الضلال، ومبينين مصير الكافرين، ومخوفين العباد من هلذَا المصير، فيقول لهم خزنة جهنم: ﴿ أَلَمْ يَا يُعْدَلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾ [الزمر: ٧١].

فلا يستطيعون الإنكار فيقولون: ﴿ بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [الزمر: ٧١]، وسمعناه ودلنا عَلَىٰ الله، ودلنا عَلَىٰ الهدى، ولكننا كذبنا الرُسُل في إنذارهم لنا، ولم نؤمن بالغيب بل عممنا تكذيب الرُسُل في كل شيء، وقلنا: ما نزل الله من شيء، وأتهمنا الرُسُل بأنهم في ضلالٍ كبير، وما ذاك إلَّا لجهلنا.

فلو كنا نسمع سماع المنتفعين ونعقل عقل المتدبرين لآمنا، وأدركنا أن الرسل صادقون، وما كنا محن دخل النّار، وصاحب السعير، وصار العذاب ملازمًا له لا ينفك عنه بسبب كفره بالله عَزَّ وَجَلَّ، فأقروا بعدل الله، وعادوا عَلَىٰ أنفسهم بالملامة، واعترفوا بذنوبهم، فبعدًا لهم، فقد تحقق ولا يقربون بعده، وخسارةً لهم لا يفلحون بعدها، وشقاءً لهم لا يتنعمون بعده.

ولو أدركنا هذا معاشر الفضلاء، ولو أدركنا هذا أيُّهَا الإخوة لهان علينا مع نعمة التوحيد كل ألم وتعب في الدنيا، فوالله إن كل ألم يجده الموحد في الدنيا لهين، وإن كل تعب مع نعمة التوحيد لسهل، فالألم الحقيقي هناك في النَّار لأهل النَّار، والله لو عقلت قلوبنا هذا المصير لأهل الكُفر وللفُجار من أهل الإسلام إنْ شَاءَ الله أن يعذبهم لأتعبنا أنفسنا في طاعة الله، وما رأينا ذلك تعبًا، بل رأيناه لذة، وقرة عين، فكيف لا وهو الطريق إلى نيل فضل الله بالنجاة من النَّار، وبدخول الجنَّة، وَالجَنَّة غالية لا تُنال إلا عَلى جسر من التعب.

ثُمَّ ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ جزاء من أحسن عملًا وخاف مقام ربه، ونهى النفس عن الهوى، وكان إِذَا خلا بنفسه أمرها بطاعة الله، وزجرُها عن معصية الله، فكيف به إِذَا كان أمام الناس، فهو يتقي الله في الخلوات، ويتقي الله في الجلوات، فإذَا خلا علِم أن الله يراه، وعلِم أن الله يسمعه فيخاف الله ويخاف عذاب الله.

ويا ليتنا معاشر الفضلاء نجعل الصوم مدرسةً لنا، فالصوم يعلمنا كيف نتقي الله، كيف تستوي عندنا الخلوة والجلوة، أحدنا يكون أمام الناس فيمسك عن المفطرات ثُمَّ يدخل بيته وقد في غرفته وحيدًا ليس معه أحدُّ من الناس وقد عطش عطشًا شديدًا أوْ جاع جوعًا شديدًا ومع ذلك لا يمد يده إِلَى الماء، ولا يمد يده إِلَى الطعام؛ لأنه يتقي الله؛ ولأنه يخاف الله.

فيا ليتنا نجعل ذلك شعارًا لحياتنا كلها؛ نتقي الله في خلوتنا ونتقي الله في جلوتنا، فهاذَا العبد اللَّذِي خشي الله في السر ونهى نفسه عن الهوى عندما يخلو بها لا شَكَّ أن حاله إِذَا كانت الجلوة أمام النَّاس سيكون كذلك، فَهاذَا العبد له من الله عَزَّ وَجَلَّ مغفرة ذنوبه، فتُكفَر عنه ذنوبه الَّتِي يقع فيها لضعفه، فإن الإنسان مها أتقى الله لا بُدَّ له من ذنب، وَلا بُدَّ من ضعفٍ يغلب، وكل بنى آدم خطاء.

لكن مَن خشي الله بالغيب واجتهد في طاعة الله فإن الله عَزَّ وَجَلَّ يغفر له ذنوبه ويُكفِر عنه ذنوبه التّبي وقع فيها لضعفه، وله عَلَى طاعته الثواب الجزيل من الله، والأجر الكبير في الجَنَّة الَّتِي أعد الله فيها لعباده المتقين ما لا عين رأت، ولا أذنٌ سمِعَت، ولا خطر عَلَىٰ قلب بشر.

ثُمَّ نبه الله عَلَىٰ أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا تخفى عليه خافية، فالسر عنده علانية، والجهر لا يختلط بغيره، فإن أسر الإنسان علِم الله ما أسره، وإن جهر الإنسان وجاهر لم يشتبه بغيره، ولم يختلط صوته بصوت غيره، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليمٌ بذات الصدور من الاعتقادات، والإرادات، والأعمال القلبية، ولا يُعامِل عباده بالصور، وَإِنَّمَا يؤاخذهم بالحقائق.

وفي هذا تهديدٌ للمنافقين الَّذِين يُظهِرون الإسلام ويبطنون الكفر، ويظنون أنهم يخادعون الله كما يخادعون الله علم حقيقة ما في صدورهم، وفي هذا أَيْضًا موعظة للمؤمنين ليعتنوا بإصلاح السرائر مع إصلاح الظواهر، فلا ينبغي للإنسان أن يعتني بإصلاح ظاهره ويغفل عن قلبه، فينبغي أن تكون عنايته بقلبه أعظم من عنايته بظاهره.

لكن لا ينبغي له أن يَزعُم أنه يعتني بقلبه ويهمل ظاهره، فبعض الناس إِذَا عاتبته عَلَىٰ مُنكرٍ يُظهِره قَالَ: القلب عمران، وهنا الإيهان، فوالله لو صلح القلب لصلحت سائر الجوارح، فالقلب مَلِكٌ والجوارح جنود، وإِذَا أراد الملك أطاعت الجنود، «أَلا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ القَلْبُ».

فالله يعظ المؤمنين بأن يعتنوا بإصلاح سرائرهم، وإصلاح ظواهرهم، ألا يعلم مَن خلق الخلق، ألا يعلم سرهم ونجواهم وهو سُبْحَانَهُ اللّذِي خلقهم، بلى إنه سُبْحَانَهُ لعليمٌ بهم، وهو سُبْحَانَهُ اللطيف اللّذي يعلم الأمور مها خفيت ويعلم ما في القلوب، وهو سُبْحَانَهُ الخبير اللّذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإصرار والإعلان، وبكل شيء، فها أعظمها من موعظة.

يا أَيُّهَا الإنسان إنك كادحٌ إِلَى اللطيف الخبير فملاقيه، فانظر مَاذَا تُقدِم، وانظر مَاذَا تعتقد، وانظر مَاذَا تعمل، فإن الَّذِي سيحاسبك لا تخفى عليه خافية، ثُمَّ نعود ونقرأ ما كتبه الإمام السِعدي رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ونُعلِق عَلَىٰ ذلك.

(الماتن)

قَالَ الإمام عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى: ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ﴾ [الملك: ٦]، ولهذا كان أتباعهم من الكفار مثلهم، قد أعد الله لهم عذاب السعير، فلهذا قال: ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [الملك: ٦] الّذِي يهان أهله غاية الهوان.

﴿ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا ﴾ [الملك: ٧] على وجه الإهانة والذل ﴿ سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا ﴾ [الملك: ٧] أي: صوتًا عاليًا فظيعًا، ﴿ وَهِي تَفُورُ ﴾ [الملك: ٧].

(الشرح)

يعني: كان أتباع الشياطين من الكفار مثل الشياطين، فهم يجتمعون في الكفر في الدنيا و يجتمعون في جهنم في الآخرة.

(﴿ سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا ﴾ [الملك: ٧] أي: صوتًا عاليًا فظيعًا)؛ والشهيق يا إخوة هو: الصوت الَّذِي يخرج من الصدر بقوة، والمراد هنا: الصوت العالي، والصياح المُقزع، فأوْل ما يؤذيهم من النَّار هلاَ الصوت، إِذَا أُلقوا قبل أن يصلوا إِلَى النَّار يؤذيهم صوتها وصياحها.

وترك الشيخ: (﴿ وَهِي تَفُورُ ﴾ [الملك: ٧])؛ ومعناها: تغلي، وذلك لسبين:

السبب الله أنها نارٌ مُسعَرةً، فجمرةً منها لو وضعت في أخمُص قدم عبدٍ لغلا دماغه؛ لو أن جمرة والعياذ بالله من النَّار وضعت في باطن قدم عبدٍ كما سيكون فإن دماغه تغلي من شدة غليانه، فكيف بمَن تحيط به النَّار -وَالعِيَاذُ باللهِ-.

والسبب الْثانِي: لأنها مُغتاظةٌ من هؤلاء الكفار الَّذِين يُلقون فيها بسبب كفرهم بالله عَزَّ وَجَلَّ.

(الماتن)

قَالَ: ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ [الملك: ٨] أي: تكاد عَلَىٰ اجتماعها أن يفارق بعضها بعضًا، وتتقطع من شدة غيظها عَلَىٰ الكفار، فما ظنك ما تفعل بهم، إِذَا حصلوا فيها؟ ثُمَّ ذَكَرَ توبيخ الخزنة لأهلها فَقَالَ: ﴿ كُلَّمَا أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجُ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾ [الملك: ٨] أي: حالكم هٰذَا واستحقاقكم النّار، كأنكم لم تخبروا عنها، ولم تحذركم النذر منها.

19

وقالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴾ [الملك: ٩]، فجمعوا بين تكذيبهم الخاص، والتكذيب العام بكل ما أنزل الله، ولم يكفهم ذلك حَتَىٰ أعلنوا بضلال الرسل المنذرين وهم الهداة المهتدون، ولم يكتفوا بمجرد الضلال، بل جعلوا ضلالهم، ضلالا كبيرًا، فأي عناد وتكبر وظلم، يشبه لهذا.

(الشرح)

معنى تميز يعني: تتقطع وينفصل بعضها عن بعض، فَهانِه النَّار الَّتِي تغلي هانَا الغليان غيظًا عليهم كيف ستفعل بهؤ لاء، فهي ليست مجرد نار مُسعرة، بل هي متغيظة عليهم حانِقة عليهم، فيصلهم منها أبلغ العذاب عياذً بالله من جهنم.

(ثُمَّ ذَكرَ توبيخ الخزنة لأهلها فَقَالَ: ﴿ كُلَّمَا أُلْقِى فِيهَا فَوْجُ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرُ ﴾ [الملك: ٨])؛ فوج يعني: جماعة من الكفار، فيسألهم الملائكة الخزنة عَلَىٰ سبيل التوبيخ والتقريع، وإقامة الحُجة عليهم، ونذير أي: رسول من الله يُنذِركم هلذَا المصير.

(فجمعوا بين تكذيبهم الخاص، والتكذيب العام بكل ما أنزل الله)؛ فهم مكذبون للرُسُل في كل ما جاءوا به.

(ولم يكفهم ذلك حَتَّى أعلنوا بضلال الرسل المنذرين وهم الهداة المهتدون)؛ وهكذا أهل الباطل يا إخوة لا يكتفون بفعل الباطل، بل يرون أهل الحق عَلَىٰ باطل.

فإِذَا رأى بعض الناس شابًا عَلَىٰ سُنَة وهم عَلَىٰ بِدعة، أَوْ عَلَىٰ فِسق ما يكتفون بأنهم عَلَىٰ الباطل، بل يتهمون هلذَا الشاب بأنه مُنحِرف وأنه عَلَىٰ ضلال -وَالعِيَاذُ باللهِ-.

(الماتن)

قَالَ: ﴿ وَقَالُوا ﴾ [الملك: ١٠] معترفين بعدم أهليتهم للهدى والرشاد: ﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [الملك: ١٠]، فنفوا عن أنفسهم طرق الهدى، وهي السمع لما أنزل الله، وجاءت به الرُّسُل، والعقل الَّذِي ينفع صاحبه، ويوقفه عَلَىٰ حقائق الأشياء، وإيثار الخير، والانزجار عن كل ما عاقبته ذميمة، فلا سمع لهم ولا عقل، وهذا بخلاف أهل اليقين والعرفان، وأرباب الصدق والإيمان، فإنهم أيدوا إيمانهم بالأدلة السمعية، فسمعوا ما جاء من عند الله، وجاء به رسول الله، علمًا ومع فة وعملًا.

(الشرح)

(وَقَالُوا ﴾ [الملك: ١٠] معترفين بعدم أهليتهم للهدى والرشاد)؛ وبجهلهم وجنايتهم عَلَىٰ أنفسهم؛ يعنى: معترفين بجهلهم وأنهم هم الَّذِين جنوا عَلَىٰ أنفسهم.

(فلا سمع لهم ولا عقل)؛ لا سمع لهم ينتفعون به، وَإِلَّا فالأذان تسمع لكن بلا نفع، ولا قلب لهم يعتبرون به، وَإِلَّا فلهم قلوب لكنها عمياء عن الحق وعن الاعتبار، وعن التَّفَكُّر، وَالتَّدَبُّر.

(الماتن)

قُالَ: والأدلة العقلية: المعرفة للهدى من الضلال، والحسن من القبيح، والخير من الشر، وهم -في الإيمان- بحسب ما مَنَ الله عليهم به من الاقتداء بالمعقول والمنقول، فسبحان مَن يختص بفضله مَن يشاء، ويَمُنُ على من يشاء من عباده، ويخذل من لا يصلح للخير.

قَالَ تعالىٰ عن هؤلاء الداخلين للنار، المعترفين بظلمهم وعنادهم: ﴿ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِير ﴾ [الملك: ١١] أي: بعدًا لهم وخسارة وشقاء.

فما أشقاهم وأرداهم، حيث فاتهم ثواب الله، وكانوا ملازمين للسعير، الَّتِي تستعر في أبدانهم، وتطلع عَلَىٰ أفئدتهم.

(الشرح)

﴿ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ ﴾ [الملك: ١١]؛ أي: بكفرهم.

(أي: بعدًا لهم وخسارة وشقاء)؛ هلاً معنى: سُحقًا، وقالَ بعض العِلماء: السُحقُ وادٍ من أودية جهنم.

(الماتن)

قَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [الملك: ١٦] لما ذكر حالة الأشقياء الفجار، ذكر حالة السعداء الأبرار فقالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ ﴾ [الملك: ١٦] الأشقياء الفجار، ذكر حالة السعداء الأبرار فقالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ ﴾ [الملك: ١٢] أي: في جميع أحوالهم، حَتَّىٰ في الحالة الَّتِي لا يطلع عليهم فيها إلَّا الله، فلا يقدمون عَلَىٰ معاصيه، ولا يقصرون فيما أمر به، ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ﴾ [الملك: ١٢] لذنوبهم، وإذا غفر الله ذنوبهم؛ وقاهم شرها، ووقاهم عذاب الجحيم، ولهم أجر كبير وهو ما أعده لهم في الجَنَّة، من النعيم المقيم، والملك



الكبير، واللذات المتواصلات، والمشتهيات، والقصور والمنازل العاليات، والحور الحِسان، والخدم والولدان، وأعظم من ذلك وأكبر، رضا الرحمن، الذي يحله الله على أهل الجِنان.

(الشرح)

(﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشُوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [الملك: ١٦])؛ الخشية ليست مجرد خوف هي خوف مع العِلم بمَن يخافه، فإذا جمع الإنسان الخوف مع العِلم بمَن يخافه فقد خشيه، فالمؤمن يعلم الله عَزَّ وَجَلَّ ويعرفه بأسمائه وصفاته ويخافه.

و بِالْغَيْبِ ﴾ [الملك: ١٢]؛ يعني: عندما يكون أحد غائبًا عن الناس يخاف الله، وإِذَا كان يخاف الله في الغيب فمَن باب أَوْلى أن يخاف الله في الحضور، إِذَا كان بحضرة الناس.

وقَالَ بعض أهل العِلم: أي: يخشون ربهم وهو غائبٌ عنهم، فخافونه ولم يروه، فهم يخافونه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - ولم يروه وذلك لعِظم إيهانهم.

(أي: في جميع أحوالهم، حَتَّىٰ في الحالة الَّتِي لا يطلع عليهم فيها إِلَّا الله، فلا يقدمون عَلَىٰ معاصيه، ولا يقصرون فيما أمر به، ﴿ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [الملك: ١٦])؛ الإنسان يقدُم يوم القيامة بذنوبٍ وأعمالٍ صالحة، والكلام عن الموحد، والله عَزَّ وَجَلَّ يحب المغفرة، ويحب العفو وهو عفو، وقد جعل أسبابًا كثيرة لمغفرته وعفوه شُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أعظمها: رحمته سُبْحَانَهُ، وعفوه سُبْحَانَهُ؛ فقد يعفو الله بلا سببٍ من العبد، وهلذا أعظم أسباب العفو، ويَقدُم بأعماله الصالحة والله يضاعفها له، ويعظم له الثواب.

فوالله يا إخوة إننا إِذَا أيقنا بهٰذَا؛ أن نحرص عَلَىٰ توحيدنا أحرص من حرص الأغنياء عَلَىٰ أموالهم، فهو والله أغلى من كل أموال الدنيا، ونحرص عَلَىٰ أن نطيع ربنا، فإننا إن وحدنا وأطعنا جمع الله لنا بين الثواب عَلَىٰ الطاعة والمغفرة للذنوب، فيا ليتنا نفقه ونُحرِك هٰذِه القلوب.

(الماتن)

قَالَ: ﴿ وَأُسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۞ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۞ ﴾ [الملك: ١٣-١٤].

هذا إخبار من الله بسعة علمه، وشمول لطفه فَقَالَ: ﴿ وَأُسِرُّوا قَوْلَكُمْ أُوِ اجْهَرُوا بِهِ ﴾ [الملك: ١٣] أي: ١٦] أي: كلها سواء لديه، لا يخفى عليه منها خافية، ف ﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [الملك: ١٣] أي: بما فيها من النيات، والإرادات، فكيف بالأقوال والأفعال، التي تسمع وترى.

ثُمَّ قَالَ مستدلًا بدليل عقلي على علمه -: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ۞ ﴿ [الملك: ١٤] فمن خلق الخبيرُ وأَلَا والخلق وأتقنه وأحسنه، كيف لا يعلمه ﴿ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۞ ﴾ [الملك: ١٤] الذي لطف علمه وخبره، حَتَىٰ أدرك السرائر والضمائر، والخبايا والخفايا والغيوب.

وهو الَّذِي ﴿ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه: ٧]، ومن معاني اللطيف: أنه الَّذِي يلطف بعبده ووليه، فيسوق إليه البِّر والإحسان من حيث لا يشعر، ويعصمه من الشر، من حيث لا يحتسب، ويرقيه إلَىٰ أعلىٰ المراتب، بأسبابٍ لا تكون من العبد عَلَىٰ بال، حَتَّىٰ إنه يذيقه المكاره، ليتوصل بها إلَىٰ المحاب الجليلة، والمقامات النبيلة.

(الشرح)

(﴿ وَأُسِرُّوا قَوْلَكُمْ ﴾ [الملك: ١٣])؛ أي: أخفوه فتكلموا خِفية، فإن الله يسمعه. ﴿ أُو اجْهَرُوا بِهِ ﴾ [الملك: ١٣] أي: أظِهروه فإن الله يسمعه، ولا يختلط بغيره.

الملايين من المسلمين يدعون الله، وربها اجتمعوا في وقتٍ واحد في رمضان يدعون الله فلا يختلط عَلَىٰ الله صوت واحدٍ منهم بآخر، ولا تختلط حاجة أحدهم بحاجة الآخر، الله أكبريا إخوة، فإن تكلمت بخير سمعه الله أخفيته أَوْ أظهرته، وإن تكلمت بشر سمعه الله أخفيته أَوْ أظهرته.

ولذلك: «وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»؛ لأن الله عَزَّ وَجَلَّ يسمع كلامك أَمَّا تستحي من الله، فوالله يا إخوة ولله المثل الأعلى لو قيل لنا: إن حاكمًا، أَوْ أميرًا، أَوْ ملِكًا، أَوْ رئيسًا موجود في المجلس لتأدبنا، وحرصنا عَلَىٰ ألا نقول كما يقالَ إِلَّا كلاما موزونًا، فكيف ونحن بين يد الملك سُبْحَانَهُ يسمع كلامنا، ألا نتأدب مع الله.



يا أخي إِذَا أمسكت الهاتف وأنت بمفردك تيقن أن الله يسمع ما تقول، إن تكلمت في أخيك فالله يسمع، إن تكلمت في حرام فالله يسمع، إن كتبت في الهاتف هلاً فالله يسمع ما تقول ويرى ما تكتب، والملائكة تكتب، وجوارحك عليك يوم القيامة تشهد، ألا نستحي من الله فيا ليتنا الله نفقه، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سميعٌ بصير، لطيفٌ خبير.

(كيف لا يعلمه ﴿ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤] الذي لطف علمه وخبره)؛ اللطيف كما يقول العِلماء هو: الَّذِي يعلم دقائق الأمور وخفاياها، ويعلم ما في الضمائر والصدور، ومع عِلمه يُحسِن إلى عباده من حيث لا يحتسبون، بل يُحسِن إليهم حَتَّىٰ وهم يسيئون.

فيفعل الواحد المعصية ويُحسِن الله إليه ويستره وما يفضحه، وهو قادرٌ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ فضحه، سُبْحَانَهُ لطيف يعلم دقائق الأمور وخفاياها ويُحسِن إِلَىٰ عباده حَتَىٰ عندما يسيئون، من لطفه: أن العبد إِذَا أذنب الذنب، أَوْ قَالَ الذنب يُمسِك الملك عن الكتابة وما يكتب، لعله أن يرجع عن ذلك فلا يُكتب عليه أصلًا، هذا قبل المغفرة يقول الإنسان الكلمة فيُمسِك الملك ما يكتبها عليه في كتابه الكلمة السَّيِّنَة، رجاء أن يرجع عنها فلا تُكتَب أصلًا، ثُمَّ إِذَا كُتِبَت فإنه لا يجازي بالسيئة إلَّا بمثلها، ويعفو عن كثير سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(ومن معاني اللطيف: أنه الَّذِي يلطف بعبده ووليه، فيسوق إليه البِّر والإحسان من حيث لا يشعر، ويعصمه من الشر، من حيث لا يحتسب، ويرقيه إِلَىٰ أعلىٰ المراتب، بأسبابٍ لا تكون من العبد عَلَىٰ بال، حَتَّىٰ إنه يذيقه المكاره، ليتوصل بها إِلَىٰ المحاب الجليلة، والمقامات النبيلة)؛ ولذلك قَالَ ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "واسمه اللطيف يتضمن علمه بالأشياء الدقيقة، وإيصاله الرحمة بالطُّرُق الخفية".

قَالَ: ﴿ هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النَّشُورُ ﴿ أَأْمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۞ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَكِيرِ ﴾ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ ۞ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٍ ﴾ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾ الملك: ١٥-١٩] ﴿ أُمَّنْ هَذَا الَّذِى هُوَ جُنْدُ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ۞ أُمَّنْ هَذَا الَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عُتُو وَنُفُورٍ ۞ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى هَذَا الَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عُتُو وَنُفُورٍ ۞ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۞ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْهِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ۞ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۞ الملك: ٢٠-٢٤]. وَالْأَفْهِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ۞ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الملك: ٢٠-٢٤].

في هلِذه الآيات يذكر الله عَزَّ وَجَلَّ ويُذكِر عباده بنِعَم عظيمة من نِعَمِه عَلَىٰ خلقه، ومنها: تسخيره الأرض لهم، وتذليل إياها لهم بأن جعلها مستقرةً ساكنة لا تتحرك باضطرابٍ واهتزاز، وجعل فيها جبالًا راسيات، وهيأ فيها السبُل والمنافع، فأخبرهم سُبْحَانَهُ أنه جعل الأرض سهلةً لهم كالجمل الذلول، كيفها يُقاد ينقاد، ولو قاده ولدٌ صغير.

والعرب تسمي الجمل: بالذلول؛ لأنه سهل الانقياد، فكيفها قيد ينقاد، فالله جعل الأرض سهلة للناس ينتفعون بها، ولم يجعلها مستصعبة عليهم، بل جعلها قرارًا ومِهادًا وثبتها بالجبال، وأجرى فيها العيون والأنهار، وجعل فيها الأرزاق، فالأرض كلها مُذللة حَتَّىٰ أعاليها وجبالها يستطيع الإنسان أن يمشى فيها، وإذا كان هلذا في أعاليها فالمشى في سهولها وأوْديتها أيسر.

وأمر الله عَزَّ وَجَلَّ لما ذَكَرَ ذلك أمر الكفار بالسير في الأرض والمشي في أرجائها متطلبين الرِزق، وأشعرهم أنهم لن ينالوا إلَّا ما كتبه الله لهم من رزقه، ولذلك قَالَ: ﴿ وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ﴾ [الملك: ١٥]، هذا الرزق لا تحصلونه بسعيكم، وَإِنَّمَا السعي سبب والرزاق هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فكلوا من رزقه وإليه سُبْحَانَهُ سترجعون يوم القيامة، فمع تهيئة الأرض لكم فإنكم لن تستقروا عليها، ولن تدوموا عليها، بل أنتم فيها كمسافر استظل في ظل شجرة، ثُمَّ راح وتركها، فسيُدرِكُكم الموت وتصيرون إلى الله، فالدنيا وإن ذُلِلَت أرضها دار ممر وليست دار مقر.

فدلهم بهذا سُبْحَانَهُ عَلَى ربوبيته، وأظهر لهم حِكمته، ولطفه، وقدرته، وذكرهم باليقين الَّذِي يتناسونه وهو الموت، وبين لهم أن الَّذِي ذلل لهم الأرض سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قادر عَلَىٰ أن يعذبهم بكفرهم يتناسونه وهو الموت، وبين لهم أن الَّذِي ذلل لهم الأرض وتهتز اهتزازًا شديدًا فيكون عذابهم من تحتهم. في أرضهم، بأن يخسف بهم الأرض فإذَا هي تضطرب وتهتز اهتزازًا شديدًا فيكون عذابهم من تحتهم وهو سُبْحَانَهُ قادرٌ أَيْضًا عَلَىٰ: أن يُرسِل عليهم من فوقهم حجارةً صِغارًا مع ربحٍ أَوْ بدون ربح تُسقَط عليهم فتهلكهم كما كان مع أصحاب الفيل، فيكون عذابهم من فوقهم، الله الَّذِي خلقهم وخلق



لهم وذلل لهم الأرض قادرٌ عَلَىٰ أن يأتيهم بعذابٍ من تحت أرجلهم، وقادرٌ عَلَىٰ أن يأتيهم بعذابٍ من فوقهم، وعند ذلك سيعلم الكفار المكذبون كيف إنذار الله وعقاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويعلم الكفار صِدق الرُسُل الَّذِين خوفوهم من عذاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وذلك لا ينفعكم في ذلك الوقت.

وبين لهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: أن العاقل هو الَّذِي يعتبر بغيره، ولا يكون عِبرةً لغيره، وهم يمشون في الأرض يسافرون ويمرون عَلَىٰ ديار القوم الَّذِين سبقوهم بالكفر فعذبهم الله عَزَّ وَجَلَّ، وأهلكهم، ودمرهم، ويرون كيف كان إنكاره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ مَن كفر من الأُمَم قبلهم، لكنهم لا يعتبرون بذلك.

وبين سُبْحَانَهُ: أن الآيات والبراهين واضحة أمامهم فيرونها بأعينهم، ولكن لا يرونها بقلوبهم فقلوبهم مُنكِرة، فأبصارهم ترى وقلوبهم عمي لا يرون الآيات، ولا يعتبرون بها، فلا ينتفعون بها يرون، فهم يرون الطيور وهي تطير في السهاء تبسط أجنحتها حينًا وتقبض أجنحتها حينًا آخر ومع ذلك هي مُعلقةً في الهواء لا تقع.

فمَن الَّذِي علمها كيف تطير، ومَن الَّذِي علمها كيف تمد جناحها، ومَن الَّذِي علمها كيف تقبض جناحها، ومَن الَّذِي يمسكها عندما تطير إنه الله، ولا أحد غير الله، وهو سُبْحَانَهُ بصيرٌ بها يُصلِحهُم وما يصلح لهم، لكن الكفار مع رؤيتهم براهين الربوبية بأعينهم لا يرونها رؤية انتفاع، ولا يعتبرون بها يرون.

لعلنا نقف عند هٰذَا لأننا ما نريد أن نُطيل عَلَىٰ الإخوة، ونُكمِل إِنْ شَاءَ اللهُ عَدًا بقية هٰذَا المقطع، ونُعلِق عليه، ونختم السورة غدًا إنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

وَصَلَّ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ.







بِسْ مِلْكُهُ الرَّمْ زِالرَّحِي مِ

الحَمْدُ اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأَتمان الأَكملان عَلَىٰ المبعوث رحمةً للعالمين، وعَلَىٰ آله وصحبه أَجْمَعِيْنَ.

أَمًا بعد؛

فمعاشر الفضلاء نحن بعد عصر الجمعة في شهر رمضان المبارك، فيجتمع لنا في هذا الوقت سببان عظيهان من أسباب إجابة الْدُّعَاء؛ أَوْلها: الساعة في يوم الجمعة الَّتِي لا يوافقها عبدٌ مسلمٌ قائمٌ يصلى يسأل الله شيئًا إلَّا أعطاه إياه، وأرجح الأقوال وأقواها في هذه الساعة قولان:

- القول اللول: أنها من حين صعود الإمام عَلَىٰ المنبر إلىٰ حين الفراغ من صلاة الجمعة.
 - **والقول الثاني:** أنها بعد العصر من يوم الجمعة، وهاذا القول قولٌ قوي.

فيقول أحدكم: إنكم قلتم لا يوافقها عبدٌ مسلمٌ قائمٌ يصلي، ونحن الآن لا نصلي، فأقول: إن مَن صلى ثُمَّ جلس في المصلى فهو كالقانت، كالقائم الَّذِي يصلي، والسبب الْثَّانِي أننا صائمون، وثلاثةٌ لا تُرَد دعوتهم الوالد، والصائم، والمسافر، والصائم يدعو في أي وقتٍ من يومه؛ بعد الفجر، وقبل الظهر، وبعد الظهر، وقبل العصر، وبعد العصر، وقبل الفِطر.

ونحن الآن في آخر يومنا، والعلماء يقولون: إن آخر وقت العبادة أسمَع ما يكون للدعاء فيها، فأسمَع ما يكون الدعاء في الصلاة في أخرها، والصوم في آخره قبل الفطر، نعم روايات: والصائم حتى يُفطِر ضعيفة من جهة الإسناد، لكن من حيث قاعدة الشريعة: أن آخر العبادة أسمَع للدعاء فيها هي قاعدة صحيحة، فنرجو الله عَزَّ وَجَلَّ هلذَا الوقت إِذَا دعونا أن يجيب دعائنا.



فأوْصي نفسي وإخواني بالدعاء الخاص والعام، فأدعوا لنفسك، ولوالديك، ولأهلك ولذريتك، ولأحبابك، وأدعوا لولاة أمرِك، وادعوا لبلادك، وادعوا لعلماء بلادك، وادعو لكل مَن يقوم بمصلحة عامة للمسلمين، فاجتهد في الدُّعَاء.

كما أنبه نفسي وإخواني إِلَى أمرٍ يخصنا في هلاً المجلس ومَن جلس مثل مجلسنا: وهو أن نملاً قلوبنا رجاء برحمة الله، ومغفرة الله، وجنة الله، وخوفًا من عذاب الله، وأن نسأل الله ذلك في أثناء جلوسنا في المجلس، فإن لله ملائكة سيارين يلتمسون حِلَق الذِّكر، فإذَا وجدوا حلقة ذِكر جلسوا مع أهلها، وحف بعضهم بعضًا حَتَّىٰ يبلغوا ما بينهم وبين السهاء الدنيا.

فعندما يعرجون إِلَىٰ السماء يسألهم الله وهو أعلم بعباده: من أين جئتم؟ فيقولون: من عبادٍ لك يذكرونك، ويثنون عليك، ويمجدونك، ويسألونك، فيقول الله عَزَّ وَجَلَّ: وما يسألونني، فيقولون: يذكرونك الجنَّة، فيقول ربنا الكريم سُبْحَانَهُ: وهل رأَوْا جنتي؟ فيقولون: لا، فيقول سُبْحَانَهُ: كيف لو رأَوْها؟ ويقولون: ويستجيرونك، فيقول ربنا الكريم: وَمِمَّا يستجيرونني؟ فيقولون: من النَّار، فيقول وهل رأَوْا ناري؟ فيقولون: ويستغفرونك فيقول السُبْحَانَهُ: كيف لو رأَوْها؟ فيقولون: ويستغفرونك فيقول الكريم سُبْحَانَهُ: أُشْهِدُكم أني قد غفرت لهم، وأعطيتهم ما سألوا، وأجرتهم مِمَّا استجاروا.

فتقول الملائكة عليهم السلام: فيهم فلانٌ عبدٌ خطاء ليس منهم جاء لحاجةٍ فجلس معهم، فيقول الكريم سُبْحَانَهُ: وله غفرت فهم القوم يشقى بهم جليسهم، ونحن في مجلس ذِكرٍ للله عَزَّ وَجَلَّ، وأسأل الله عَزَّ وَجَلَّ: أن نكون فيه من المخلصين، فنسأل الله أن يستجيب دعائنا؛ اللهم أرزقنا الجنَّة، اللهم ارزقنا الجنَّة، اللهم أجرنا من النَّار، اللهم أجرنا من النَّار، اللهم أخرنا من النَّار، اللهم اغفر لنا، اللهم اغفر لنا.

ونحن بحمد الله معاشر الفضلاء قد اجتمعنا في بيت من بيوت الله، بل اجتمعنا في ثاني أفضل بيوت الله في مسجد: مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جلسنا في ثاني أحب بِقاع الأرض إِلَى ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نتدارس كتاب الله، ونتلوه، ونتدبر معانيه، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلَّا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمَن عنده، فأسأل الله عَزَّ وَجَلَّ: أن يحقق لنا هذا، وأن يزيدنا من فضله.

فمجلسنا كم تعلمون أيُّهَا الإخوة في تدبر كلام ربنا في تفسير القرآن الكريم، ونحن لا زلنا نفسر سورة المُلك، وقد تقدم الكلام عن تفسير بعض آياتها، وفي آخر المجلس الماضي قرأنا مقطعًا، ثُمَّ



فسرناه تفسيرًا إيهانيًا وجدانيًا موضوعيًا، وتوقفنا لأننا شعرنا أننا قد أطلنا عَلَىٰ الإخوة، فنواصل في هذَا المجلس، فيتفضل الأخ نور الدين يعيد لنا تلاوة المقطع، ثُمَّ نفسر الآيات تفسيرًا تفصيليًا بقراءة ما سطره الإمام السِعدي رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

(الماتن)

قَالَ: ﴿ هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النَّشُورُ ﴿ أَأْمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِى تَمُورُ ﴿ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِى تَمُورُ ﴿ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٍ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ اللَّهُمْ أَوْلَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾ [الملك: ١٥-١٩].

قَالَ الإمام عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ الله: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا ﴾ [الملك: ١٥] أي: هو الَّذِي سخر لكم الأرض وذللها، لتدركوا منها كل ما تعلقت به حاجتكم، من غرسٍ وبناءٍ وحرثٍ، وطُرقٍ يتوصل بها إلىٰ الأقطار النائية والبلدان الشاسعة، ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا ﴾ [الملك: ١٥] أي: لطلب الرزق والمكاسب.

﴿ وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النَّشُورُ ﴾ [الملك: ١٥] أي: بعد أن تنتقلوا من لهذه الدار الَّتِي جعلها الله امتحانًا، وبُلغةً يتبلغ بها إِلَىٰ الله، ليجازيكم بأعمالكم الحسنة وَالسَّيِّئَة.

(الشرح)

(﴿ ذَلُولًا ﴾ [الملك: ١٥] أي: هو اللَّذِي سخر لكم الأرض وذللها)؛ يعني: سهلةً، عليها، والذلول هو السهل المُنقاد، فالله عَزَّ وَجَلَّ بقدرته جعل لكم الأرض مستقرةً مُنقادةً، ممدودةً مبسوطةً تستقرون عليها.

(﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا ﴾ [الملك: ١٥])؛ يعني: عَلَىٰ الأرض؛ لأن الإنسان لا يمشي في داخل الأرض، وَإِنَّمَا يمشي عَلَىٰ الأرض، وقد تقدم معنا: أن حروف الجرينوب بعضها عن بعض، وأن في تأتي بمعنى: عَلَىٰ، كما أن عَلَىٰ تأتي بمعنى: في، ففي هنا بمعنى: عَلَىٰ.



والمناكب قَالَ بعض أهل العِلم: هي جوانب الأرض، ونواحي الأرض المختلفة، وأطراف الأرض، فالمقصود: سيروا في نواحي الأرض وسافروا.

وقالَ بعض أهل العِلم: المناكب هي الأشياء العُليا في الأرض؛ وهي: الجبال؛ يعني: فامشوا عَلَى الجبال فمن باب أَوْلى أنكم الجبال فإنكم تستطيعون السير عليها، وإذا كنتم تستطيعون السير عَلَى الجبال فمن باب أَوْلى أنكم تستطيعون السير عَلَى الجهاد والوديان، فالمناكب هنا مشبهة بمنكِب الإنسان؛ وهو: أعَلَى الإنسان دون رأسه، فالمقصود بها: الجبال، وكلا المعنيين صحيح، فمناكبها: نواحيها وأطرافها، ومنها: أعاليها الَّتِي هي الجبال.

(﴿ وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النَّشُورُ ﴾ [الملك: ١٥])؛ النشور: هو الرجوع بعد الموت. (المتن)

قَالَ: ﴿ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾ [الملك: ١٦] هذا تهديدٌ ووعيد، لمن استمر في طغيانه وتعديه، وعصيانه الموجب للنكال وحلول العقوبة، فَقَالَ: ﴿ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ﴾ [الملك: ١٦] وهو الله تعالى، العالى على خلقه.

﴿ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾ [الملك: ١٦] بكم وتضطرب، حتى تتلفكم وتهلككم.

(الشرح)

(﴿ أَأُمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ﴾ [الملك: ١٦])؛ السماء هنا إِمَّا أن يُراد بها: السماء المعلومة الَّتِي هي طبقةٌ من الطِباق السبعة، فتكون في هنا بمعنى: عَلَىٰ، أأمنتم من عَلَىٰ السماء، فإن ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له العلو المُطْلَق، فهو سُبْحَانَهُ مستوِ عَلَىٰ عرشه فوق سماواته، مَن الَّذِي أخبرنا بهلذَا؟ ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومن تلك الأخبار ما في هذِه الآية، وَلاَ شَكَّ أنه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ونحن نقول ما قَالَ ربنا فربنا عَلَىٰ السماء.

وَإِمَّا أَن يُراد: العلو، فكل ما علاك سماء فتكون السماء بمعنى: العلو، فتكون في عَلَىٰ بابها، فربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في علو فهو سُبْحَانَهُ العلى الأعَلَىٰ وله العلو اَلْمُطْلَق.

(﴿ أَنْ يَخْسِفَ ﴾ [الملك: ١٦])؛ أي: يميد بها إِلَىٰ أسفل.



(فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾ [الملك: ١٦])؛ أي: تضطرب وتهتز اهتزازًا شديدًا، والله يُذيق عباده بعض هلاً ليدركوا النِعمة، ألا ترون ما يحصل للأرض عند الزلزال، إِذَا وقع الزلزال اضطرب الأرض واهتزت اهتزازًا شديدًا فتسقط الأبنية، ولا يستطيع الإنسان أن يَثبُت، والزلزال إِنَّمَا يأخذ جزءًا يسيرًا جدًا من الزمن.

فأنت يا ابن آدم تأمل لو كانت الأرض غير مستقرة كيف تعيش وأنت لا تستطيع أن تتحكم في الأرض، والله قد تطوروا تطورًا عجيبًا في العلو ومع ذلك تصيبهم الزلازل ولا يستطيعون منعها ولا يستطيعون دفعها، فإن المُنعِم عَلَىٰ العباد في الأرض المستقرة هو الله، وإذَا شاء سُبْحَانَهُ أن هلاً فعل ويُذيق عباده بعض هلذًا في الزلازل.

(الماتن)

قَالَ: ﴿ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴾ [الملك: ١٧] أي: عذابًا من السماء يحصبكم، وينتقم الله منكم، ﴿ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ ﴾ [الملك: ١٧] أي: كيف يأتيكم ما أنذرتكم به الرُسُل والكتب، فلا تحسبوا أن أمنكم من الله أن يعاقبكم بعقاب من الأرض ومن السماء ينفعكم، فستجدون عاقبة أمركم، سواءً طال عليكم الزمان أَوْ قَصُر، فإن من قبلكم، كذبوا كما كذبتم، فأهلكهم الله تَعَالَىٰ، فانظروا كيف إنكار الله عليهم، عاجلهم بالعقوبة الدنيوية، قبل عقوبة الآخرة، فاحذروا أن يصيبكم ما أصابهم.

(الشرح)

(﴿ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴾ [الملك: ١٧])؛ قَالَ بعض العلماء يعني: يُرسِل عليكم ريحًا فيها حصًا صِغار تسقط عَلَىٰ رؤوسكم فتهلككم، وقَالَ بعض العلماء: الحاصِب هو الحجار الصغيرة بدون ريح، فيُرسِل عليكم حجارة صغيرة كما أرسلها عَلَىٰ أصحاب الفيل، فلو شاء أن يفعل سُبْحَانَهُ لفعل.

✓ والمقصود: أن الله عليكم قادر، ولو شاء أن يُهلِككُم من تحت أرجلكم لفعل، ولو شاء أن يُهلِككُم من فوق رؤوسكم لفعل، لكنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لطيفٌ خبير يُعصى فيغفر ويُمهِل، ولا يُغفَر أن يُشرَك به سُبْحَانَهُ.



(﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٍ ﴾ [الملك: ١٨])؛ يعني: كيف كان إنكاري عليهم بعقوبتهم وإهلاكهم، والعاقل يعتبر بغيره، والسفيه يعتبر به غيره، فإن كانت عندكم عقول والخطاب للمشركين فاعتبروا بالأُمَّم الماضية.

(الماتن)

قَالَ: ﴿ أُولَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرً ﴾ [الملك: ١٩] وَهٰذَا عتاب وحث عَلَىٰ النظر إِلَىٰ حالة الطير التي سخرها الله، وسخر لها الجو والهواء، تصف فيه أجنحتها للطيران، وتقبضها للوقوع، فتظل سابحة في الجو، مترددةً فيه بحسب إرادتها وحاجتها.

وَمَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ ﴿ [الملك: ١٩] فإنه الذي سخر لهن الجو، وجعل أجسادهن وخلقتهن في حالة مستعدة للطيران، فمَن نظر في حالة الطير واعتبر فيها، دلته على قدرة الباري، وعنايته الربانية، وأنه الواحد الأحد، الَّذِي لا تنبغي العبادة إِلَّا له، ﴿ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾ [الملك: ١٩] فهو المدبر لعباده بما يليق بهم، وتقتضيه حكمته.

(الشرح)

(﴿ أُولَمْ ﴾ [الملك: ١٩])؛ الهمزة هنا: للاستفهام، والواو للعطف، والعطف عَلَىٰ مُقدر، فتقدير الكلام: أغافلوا فلم يروا، فهاذا تقدير الكلام.

(صَافَّاتِ ﴾ [الملك: ١٩])؛ يعني: باسطاتٍ اجنحتهن، فالطيور تكون في الهواء باسطة أجنحتها، وغالبًا تطير الطيور معًا مجموعات فتراها كأنها صفوف.

(﴿ وَيَقْبِضْنَ ﴾ [الملك: ١٩])؛ يعني: يضربن بأجنحتهن، هكذا قَالَ بعض أهل العِلم: يقبضن فيحركن أجنحتهن، وقَالَ بعض أهل العِلم: معنى يقبضن يضممن أجنحتهن إِلَىٰ أجسادهن وهن طائرات، وذلك من أقدار الله عَزَّ وَجَلَّ لهن عَلَىٰ ذلك.

(﴿ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ ﴾ [الملك: ١٩])؛ يعني: ما يبقيهن هكذا معلقاتٍ في الهواء إِلَّا الرحمن، وَقَالَ الله هنا: ﴿ إِلَّا الرَّحْمَنُ ﴾ [الملك: ١٩]؛ لأن هاذا من رحمة الله بخلقه، فالله يرحم هاذِه الطيور ويمسكها معلقةً في الهواء، وهاذَا من رحمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.



(فإنه الذي سخر لهن الجو، وجعل أجسادهن وخلقتهن في حالة مستعدة للطيران)؛ وعلم الله الطير الطير الطير الطيران، الطير عندما يُولَد وعندما يفقس من البيضة في أوْل الأمر لا يحاول أن يطير؛ لأنه غير مهيأ للطيران، ثُمَّ إِذَا استعد للطيران وخرج الريش يطير، فمَن الَّذِي فهمه ومَن الَّذِي أهمه، ومَن الَّذِي علمه؟ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وجعل له هله القدرة العجيبة عَلَىٰ الطيران والبقاء في الهواء.

(الماتن)

﴿ أُمَّنْ هَذَا الَّذِى هُوَ جُنْدُ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ۞ أُمَّنْ هَذَا الَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عُتُو وَنُفُورٍ ۞ أَفَمَنْ يَمْشِى مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى هَذَا الَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عُتُو وَنُفُورٍ ۞ أَفَمَنْ يَمْشِى مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِى سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۞ قُلْ هُوَ الَّذِى أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْهِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ۞ قُلْ هُوَ الَّذِى ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۞ قُلْ هُو الَّذِى ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۞ قُلْ هُوَ الَّذِى ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۞ الملك: ٢٠-

(الشرح)

في هلِذه الآيات يخبر الله تَعَالَىٰ المشركين الَّذِين عبدوا معه غيره يبتغون عند تلك الآلهة أن تكون وسيلةً لهم تُقرِبهُم إِلَىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بزعمهم، ويريدون منها النصر والرزق، فيخبرهم أن تلك الآلهة لا تُغنى عنهم شيئًا، ولا تملك لأنفسها نفعًا فضلًا عن أن تملكه لغيرها من عُبادها.

فهانِه الآلهة الَّتِي تُعبَد وتُرجى عند أَوْلئك المشركين لا تكون لهم عونًا من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، إن الكافرون إِلَّا في خديعة فخدعتهم الشياطين، وخدعتهم أنفسهم، ومَن ذا الَّذِي يرزق الإنسان أن حبس الله عنه رزقه؟، والجواب: لا أحد، فلا أحد يرزق أَوْ ينصر إِلَّا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. وأَوْلئك المشركون يعلمون أن الَّذِي يرزق هو الله وأن الَّذِي ينصر هو الله، فهم يُقِرون بربوبية الله، لكنهم يُشرِكون بالله في ألوهيته، فهم مع علمهم بأن الَّذِي يرزق هو الله، والَّذِي ينصر هو الله في غيره، ويستمرون في طغيانهم وفي كفرهم وفي ضلالهم.

وانظروا يا إخوة جمع الله في هاتين الآيتين بين النصر والرزق؛ لأن الإنسان مضطرٌ ومحتاجٌ حاجةً شديدة إِلَىٰ أن يُدفَع عنه ما يضره، ومن أعَلَىٰ ذلك أن يُنصَر عَلَىٰ عدوه، وأن يُدفَع عنه عدوه، فإن عدوه لو تسلط عليه لأضره ضررًا عظيمًا، كما أن الإنسان مضطرٌ ومحتاجٌ حاجةً شديدة إِلَىٰ جلب المنفعة له، وأعَلَىٰ ذلك وأجلاه أن يُرزق.



والله عَزَّ وَجَلَّ أقام الحجة عَلَىٰ هؤلاء المشركين، فالَّذِي يرزق هو الله، فوالله لو اجتمع الجن والإنس عَلَىٰ أن يرزقوا الإنسان حبةً ما كتبها الله له ما استطاعوا ذلك، ولو اجتمعت الجن والإنس عَلَىٰ أن يرزقوا الإنسان حبةً قد كتبها الله له ما استطاعوا أن يمنعوه، وهم أَيْضًا يعلمون أن الله هو الله ينصر.

ولذلك لما جاء أبرهة ليهدم الكعبة أخذوا يدعون الله، ويسألون الله النصر، وأن يدفع عن بيته، وما دام ذلك كذلك فالَّذِي يستحق العبادة هو الَّذِي يرزق وينصر، والَّذِي يُسأل الرزق هو الله، لا يُسأل الرزق من مخلوق، ولا يُسأل الرزق من مقبور يُقَالَ إنه صالح، فوالله لو كان حيًا ما يملك من نفسه إلَّا ما كتبه الله له، فكيف وهو ميت، فلا يُسأل الرزق إلَّا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهاذَا من عبادة الله فإن السؤال والدعاء من العبادة، فهاذَا يقتضي إخلاص العبودية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثُمَّ ضرب الله مثلًا للكافر ومثلًا للمؤمن، فالكافر مثله فيها هو فيه كمَن يمشي مُنكِسًا رأسه ينظر إلى الأرض لا يدري أين يذهب ولا يعرف الطريق، فهو خائفٌ ذليل، وهو أَيْضًا ساقطٌ لأنه يعصي الله، والله لا يوجد كافرٌ عزيز، والله الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَا هو لا يوجد كافرٌ عزيز، فكل كافر ذليل.

فلا تغتروا بالدنيا ولا تنظروا إِلَى ما في أيديهم إِنَّمَا يستدرجهم الله، فمثل الكافر في كُفرِه كمثل الَّذِي يسير مُنكِسًا رأسه ينظر إِلَى الأرض لا يدري أين يذهب، ولا يهتدي والمؤمن مثله في إيهانه كمَن يمشي منتصب القامة، ويمشي باعتدال، وطريقه واضحٌ بين توصله إِلَى المطلوب، وهلذَا مثلها في الدنيا، وهلذَا حالها في الآخرة.

ففي الحشر يكون الكافر ذليلًا مُهانًا، فزِعًا خائفًا حَتَّىٰ يُقذَف ويلقى في النَّار إلقاءً، وَأُمَّا المؤمن فمن عند الموت يُطمَن قلبه، ويُبشَر قبل أن تفارق روحه جسده، أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب أخرجي حمدية وأبشري بروحٍ وريحان ورب راضٍ غير غضبان، فها ألطفها من كلمات تُخاطب بها الروح عند سكرات الموت.

فإذَا بُشِر المؤمن أحب لقاء الله، فيحب الله لقاءه، حَتَّىٰ يساق إِلَىٰ الجنة بإكرام، يقوده رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهكذا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهكذا مثل اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهكذا مثل الكافر في الدنيا وهو يطابق حاله في الآخرة، ومثل المؤمن في الدنيا وهو يطابق حاله في الآخرة، فأي الطرفين أهدى وأعرف بالطريق وأوصل إِلَىٰ المطلوب؟ لَا شَكَّ أنه المؤمن.

ثُمَّ يذكرهم الله بنِعمه العظمى عليهم فهو سبحانه الَّذِي ابتدأ خلقهم بعد أن لم يكونوا شيئًا، وأنعم عليهم بالسمع، فأنعم الله عَلَىٰ الناس بالسمع، ولو وُلِد الإنسان لا يسمع لا يستطيع الأطباء، ولو اجتمعوا أن يوجدوا له سمعًا، إن وجد خللًا عالجوه بها رزقهم الله من عِلم، لكن أن يوجدوا له سمعًا والله لا يستطيعون، وأنعم عليهم بالبصر بهذه العين العجيبة، وأنعم عليهم بالقلوب الَّتِي يفهمون بها، وهذه أعظم جوارح الإنسان: السمع، والبصر، والقلب، لِمَا؟ لأنه بها يكون العِلم والفهم، وَإِنَّمَا يتميز الإنسان عن المخلوقات بالعلم والفهم.

ووالله يا إخوة الَّذِي لَا إِلَهُ إِلَّا هو لو عبدنا الله ليلًا ونهارًا بلا انقطاع ما شكرنا نعمة من هٰذِه النِعَم الثلاث، لكن ربنا كريم أنعم علينا بالنعم الكثيرة وطلب منا القليل، ثُمَّ هٰذَا القليل مصلحة ترجع لنا، ويُثيبنا عَلَىٰ القليل بالجزيل، والله لا يهلك عَلَىٰ الله إِلَّا هالك، فيا ليتنا نتدبر يا إخوة، ويا ليتنا نعقل ونفهم والله نكون في خير الأحوال، وعَلَىٰ خير ما يكون.

لكن الكفار لم يشكروا الله عَلَىٰ هٰذِه النِعَم، واستعملوها في الكفر والعصيان، ولم يستعملوها في توحيد الرحمن وطاعته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ثُمَّ يُذكِرهم سُبْحَانَهُ أنه بعد أن خلقهم بعد أن لم يكونوا شيئًا مذكورًا كثرهم، وبث منهم رجالًا ونساءً فيخرج من الزوج والزوجة ذرية، ونشرهم في أقطار الأرض، وهم من أبٍ واحد وأم واحدة، ومع ذلك ألوانهم مختلفة، وألسنتهم مختلفة، والمرجع إلى أبٍ واحد وأم واحدة، فإنه صنع الله وخلق الله.

- فائدة أقولها وإن لم تكن في التفسير هنا فيقول العلماء: لا يُمدَح بخلق الله، ولا يُعاب بخلق الله؛ بمعنى: لا يُمدح أحد عَلَىٰ أحد بخلق الله فيُقَالَ: هذَا أبيض، وهذَا أسمر، ولا يُعاب خلق الله، فالله هو الخالق وهو الحكيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وَإِنَّمَا العيب في الدين والأخلاق فيمُدح الإنسان بدينه وأخلاقه، ويُعاب في دينه إن انحرف وفي أخلاقه.
 - وأَيضًا للفائدة ذَكر بعض أهل العِلم: أن الألوان في البشر مناسبةً لأحوا لهم.

ففي كل منطقةٍ يعيش فيها الناس رزقهم الله لونًا يتناسب مع تلك البيئة، فلو لم يكن ذلك اللون لما استطاعوا العيش في ذلك المكان، وإن كان الأفراد قد يختلفون.

فالشاهد: أن الله بعد أن أو جدهم وخلقهم كثرهم.

فمَن الَّذِي يرزق الذرية؟ الله، فتجد الطبيب المتخصص في مسائل الولادة المشهور عَلَىٰ مستوى العالم ثُمَّ تجده بلا ذرية، وأنا أعرف شيئًا بعينه من هلذًا، هو يُسافَر إليه من كل مكان للعلاج ومع ذلك ما رزقه الله ذرية، وما استطاع أن يفعل لنفسه شيئًا، فالله هو الَّذِي كثرهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والَّذِي ما خلقهم من العدم، ورباهم بالنِعَم وكثرهم، فهو قادرٌ عَلَىٰ بعثهم بعد الموت، فإن الإعادة أسهل من الابتداء.

فالله ابتدأ خلقهم بعد أن لم يكونوا شيئًا مذكورًا، والَّذِي ابتدأ خلقهم قادرٌ عَلَىٰ أن يعيدهم، فإن الإعادة أيسر من الابتداء، وفي هذَا تهديد لأَوْلئك الكفار.

[(الماتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللّهُ: يقول تَعَالَىٰ للعتاة النافرين عن أمره، المعرضين عن الحق: ﴿ أُمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدُ لَكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ ﴾ [الملك: ٢٠] أي: ينصر كم إِذَا أراد بكم الرحمن سوءًا، فيدفعه عنكم؟ أي: مَن ذَا الَّذِي ينصر كم عَلَىٰ أعدائكم غير الرحمن؟ فإنه تَعَالَىٰ هو الناصر المُعِز المُذِل، وغيره من الخلق، لو اجتمعوا عَلَىٰ نصر عبد، لم ينفعوه مثقال ذرة عَلَىٰ أي عدوٍ كان، فاستمرار الكافرين عَلَىٰ كفرهم، بعد أن علموا أنه لا ينصرهم أحد من دون الرحمن، غرور وسفه.

وأمّنْ هَذَا الّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ الملك: ٢١] أي: الرزق كله من الله، فلو أمسك عنكم رزقه، فمن الذي يرسله لكم؟ فإن الخلق لا يقدرون على رزق أنفسهم، فكيف بغيرهم؟ فالرزاق المنعم، اللّذِي لا يصيب العباد نعمة إلا منه، هو الذي يستحق أن يفرد بالعبادة، ولكن الكافرون ﴿ لَجُوا ﴾ [الملك: ٢١] أي: قسوة وعدم لين للحق، ونُفُورٍ ﴾ [الملك: ٢١] أي: شرود عن الحق.

(الشرح)

(﴿ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ ﴾ [الملك: ٢١])؛ يعني: منع رزقه، أَوْ قطع رزقه.

(فَقِ عُتُو الملك: ٢١] أي: قسوة وعدم لين للحق)؛ وتكبر، فهم قُساة القلوب متكبرون، وهلاً اللّذي منعهم من اتباع الحق، فجحدوا بالحق بعد أن استيقنته أنفسهم قسوةً منهم وتكبرًا.

(وَنُفُورِ ﴾ [الملك: ٢١] أي: شرود عن الحق)؛ بمعنى: الشرود عن الحق، والرفض له.

(الماتن)

قَالَ: ﴿ أَفَمَنْ يَمْشِى مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِى سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الملك: ٢٢] أي: أي الرجلين أهدى؟ مَن كان تائها في الضلال، غارقًا في الكفر قد انتكس قلبه، فصار الحق عنده باطلا والباطل حقًا؟ ومن كان عالمًا بالحق، مؤثرًا له، عاملًا به يمشي عَلَىٰ الصراط المستقيم في أقواله وأعماله وجميع أحواله، فبمجرد النظر إلَىٰ حال هذين الرجلين يُعلِم الفرق بينهما، والأحوال أكبر شاهدٍ من الأقوال.

(الشرح)

(﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ ﴾ [الملك: ٢٧])؛ أي: مُنكِسًا رأسه، والعلماء لهم هنا قولان:

◄ القول اَلْأُوّل: أنه ينظر إِلَى الأرض يبحث عن الطريق، ومثل هلذا يتعثر في مشيته ويقع ويُصاب.

وبعض أهل العِلم قال: أنه مُنكسٌ في المعاصي فهو ذليلٌ بها، وتنكيس الرأس كناية عن الذِّلة، فهو ذليلٌ بمعصية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(أي: أي الرجلين أهدى؟)؛ السوي: هو منتصب القامة الَّذِي يمشي باعتدال.

(﴿ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الملك: ٢٢])؛ نحن في سورة الفاتحة نقولها، يقول العلماء: الصراط المستقيم هو الطريق معتدل الواضح الموصل إِلَى المطلوب، فهو يتصل بصفتين: معتدل واضح، ليس فيه اعوجاج، والصفة الْثَّانِية: يوصل إِلَى المطلوب، فليس كل طريقٍ معتدل يوصلك إِلَى مطلوبك، فأحيانا تقود السيارة في طريق معتدل لكن تكون تتجه إِلَى خلاف الجهة الَّتِي أنت ذاهب إليها، فالصراط المستقيم هو الَّذِي يتصف بالصفتين؛ هو معتدلُ لا اعوجاج فيه، ويوصل إِلَى المطلوب.

فالمؤمن يمشي سويًا معتدلًا عَلَىٰ طريقٍ معتدل يوصله إِلَىٰ المطلوب، ولذلك المؤمن بحاجة أن يسأل الله دائمًا أن يهديه الصراط المستقيم؛ لأن الهداية إِلَىٰ الصراط المستقيم تعني: الدلالة عليه والثبات عليه، فليس كل مَن طلب الصراط وجده، فكم من مسلمٍ عَلَىٰ بِدعة، وكم من مسلمٍ يريد الدين وهو عَلَىٰ غير ما جاء به مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبعاض الدين في البِدَع، وكم من عبدٍ صار عَلَىٰ الصراط لكن ما ثبت وما استطاع أن يواصل.



فالمؤمن بحاجة أن يسأل الله، ولذلك شُرِع لنا أن نقرأ الفاتحة في كل ركعة في الصلاة لعظم حاجتنا إِلَىٰ أن نُهدى إِلَىٰ الصراط المستقيم، وينبغي عليك يا عبد الله وأنت تقرأ الفاتحة أَوْ تسمع الفاتحة من الإمام: أن تستشعر أن هلذا دعاء لتدخل في جملة من دعا ويُرجى أن يستجيب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قَالَ: ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِى أَنْشَأَكُمْ ﴾ [الملك: ٣٣] يقول تعالىٰ مُبينًا أنه المعبود وحده، وداعيًا عباده إلى شكره، وإفراده بالعبادة -: ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِى أَنْشَأَكُمْ ﴾ [الملك: ٣٣] أي: أوجدكم من العدم، من غير معاون له ولا مظاهر، ولما أنشأكم، كمل لكم الوجود بالسمع والأبصار والأفئدة، الَّتِي هي أنفع أعضاء البدن وأكمل القوى الجسمانية، ولكنه مع هٰذَا الإنعام ﴿ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴾ [الملك: ٣٣] الله، قليل منكم الشاكر، وقليل منكم الشكر.

(الشرح)

(والأفئدة)؛ هي: القلوب، وهانِه كما قلنا أدوات العلم والفهم، فالعلم يحتاج إِلَىٰ سمع ويَكمُل بالبصر، ويحتاج إِلَىٰ قلب والفهم يكون في القلوب.

فتعرفون كلام أهل العِلم: هل العقل في الرأس، أَوْ العقل في القلب؟ بمعنى: هل محل الفهم في الرأس الَّذِي يسمى بالمخ، أَوْ في القلب؟ والَّذِي يظهر واللهُ أَعْلَمُ: أن أصله في القلب وله اتصال بالرأس، لكن أصله وتمامه في القلب.

(مع هٰذَا الإنعام ﴿قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴾ [الملك: ٢٣] الله، قليل منكم الشاكر، وقليل منكم الشكر)؛ نعم فهم لم يستعملوا نِعَم الله في طاعة الله ولا في توحيد الله، بل كفروا وأعرضوا.

لعلنا نقف هنا؛ لأنها الجمعة فما نُحِب الإطالة عَلَىٰ الإخوة، ونُكمِل غدًا إِنْ شَاءَ اللهُ.

وَصَلَّ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ.







بِسْ مِلْكُهُ ٱلدَّمْ زِٱلدَّحِي مِ

الحَمْدُ اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأَتمان الأَكملان عَلَىٰ المبعوث رحمةً للعالمين، وعَلَىٰ آله وصحبه أَجْمَعِيْنَ.

أَمًا بعد؛

فمعاشر الفضلاء نعقد هذا المجلس لنتلو كتاب ربنا، ونتدارسه فيها بيننا في مسجد رسولنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالحمد لله الَّذِي أنعم بهذه النعمة، وأسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يرزق شكرها، لا زلنا معاشر الفضلاء مع تفسير سورة: المُلك، وقد فسرنا عددًا من آياتها، فيتفضل الابن نور الدين وفقه الله والسامعين يقرأ لنا المقطع الأخير من السورة.

(الماتن)

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرُ مُبِينً ۞ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ ۞ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۞ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاوُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينِ ۞ وَالملك: ٢٥-٣٠].

(الشرح)

هذِه الآيات يُخبِر الله عَزَّ وَجَلَّ عن الكفار المُنكرين للبعث والجزاء أنهم يقولون للرُسُل: مَتَىٰ وقت هذَا البعث والجزاء إن كنتم صادقين فيها تقولون، يقولون ذلك لرُسُلِهم جهلًا وتكذيبًا وإنكارًا للبعث والجزاء، واستهزاءً بالرُسُل عَلَيْهِم السَّلَامُ، ويأمر الله عَزَّ وَجَلَّ رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بأن يجيبهم بأنه لا يعلم وقت ذلك عَلَىٰ التعيين إلَّا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو عِمَّا استأثر الله بعلمه، ولكنه واقع قريبًا.



وإِنَّهَا هو صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُخوفٍ لهم من مصير الكافرين العُصاة، ومبينًا لهم الحق بوحي الله عَزَّ وَجَلَّ لا يُخرج عها أَوْحاه الله إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وقد أدى ما عليه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فبين وأَوْضح وأرشد، وهدى بالبيان، وخوف وبشر فها ترك شيئًا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا بلغه وبينه.

ثُمَّ يتوعد الله المُنكرين للبعث بأنهم مبعوثون بعد الموت، وسيلاقون الجزاء الَّذِي أخبرهم به النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا بُدَّ قريبًا يوم القيامة، وكل آتٍ قريب، فالساعة قد اقتربت لأنها آتية، والآتي المنتظر قريب، وبعثة النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمارةٌ وعلامةٌ عَلَىٰ قربها، وسيرون هلذا العذاب عن قرب يوم القيامة، حيث تُقرَب منهم النَّار يجرها الملائكة عَلَيْهِمْ السَّلامُ.

وهناك إِذَا رأى الكفار النَّار تسود وجوههم وتغشاهم الذِّلة ويحيطهم الخوف، ويحيط بهم العذاب الَّذِي كانوا يستهزئون به، ويزيدهم حسرة أنهم في الدنيا ببيان رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم يؤمنوا وتحقق لهم العذاب، ويُقالَ لهم توبيخًا وتقريعًا عند ذلك: هذا هو العذاب الَّذِي كنتم تستعجلون به في الدنيا، وتزعمون أنكم تطلبونه من الله عَزَّ وَجَلَّ فها هو قد تحقق وها هو قريبُ منكم.

ثُمَّ يأمر الله نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقول لأَوْلئك المُشركين المتقلب هلاكه العاملين عَلَى قتله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والساعين في إهلاك المؤمنين به رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِمِ ما الَّذِي ينفعكم به هلاكي، وهلاك المؤمنين، فهل يُنجيكم ذلك من عذاب الله؟ وهل ينجيكم ذلك من غضب الله؟ هل ينجيكم ذلك من انتقام الله؟ لا والله، فلو أن الله أهلك النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأهلك المؤمنين ما نفع ذلك الكفار شيئًا.

ثُمَّ يأمر الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَن يُظهِر إيهانه وإيهان المؤمنين، واعتزازهم بدينهم، وتوكلهم عَلَى ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأن يقول لأَوْلئك الكفار: أنا ومَن معي ومَن اتبعني نؤمن بالرحمن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأن يقول لأَوْلئك الكفار: أنا ومَن معي ومَن اتبعني نؤمن بالرحمن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وعليه توكلنا واعتمدنا وتعمدنا بقلوبنا في جميع أمورنا.

فما من أمر من أمورنا إِلَّا ونحن نتوكل فيه عَلَىٰ الرحيم الرحمن، العزيز القوي الجبار سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وستعلمون مَن منا أَوْ منكم في ضلالٍ عن الحق، وانحرافٍ عن الدين ظاهر، ولمَن تكون العاقبة في الدنيا والآخرة، وهاذَا عَلَىٰ سبيل الوعيد لهم، فإن الحق معلومٌ



أصحابه مُحَمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومَن معه، والكفار هم الَّذِين انحرفوا، وهم في ضلالهم يعمهون، فهاذَا تهديدٌ لهم أنهم سيجدون عاقبة كفرهم، وسيعلمون عاقبة كفرهم.

ثُمَّ يأمر الله عَزَّ وَجَلَّ نبيه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَن يُذكِرهم بشيءٍ من رحمة الله بالخلق، لما قَالَ النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أمنت ومَن معي بالرحمن»، ناسب أن يُذكِر أَوْلئك الكفار بشيءٍ من رحمة الله بخلقه، وهي تدل دلالةٌ بينة عَلَىٰ أنه سُبْحَانَهُ هو الَّذِي يستحق أن يُعبَد، ولا يستحق أحدٌ أن يُصرَف له من العبادة ولو بمقدار شعرة.

فيأمر الله عَزَّ وَجَلَّ النَّبِيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَن يُذكرهم بشيءٍ من تلك الرحمة؛ وهو: أن الله سُبْحَانَهُ خلق الماء لهم عذبًا يمكن شربه، وما جعله مِلحًا أُجاجًا، وأراهم قدرته فجعل أكثر الماء الَّذِي عَلَىٰ الأرض مِلحًا أُجاجًا، ولو شاء سُبْحَانَهُ لجعل بقية الماء مِلحًا أُجاجًا، ولكنه رحم الخلق ورحم البشر فجعل الماء ماءً عذبًا زُلالًا يمكن أن يُشرَب، وجعله قريبًا من أيديهم، منه: ما يجري عَلَىٰ وجه الأرض من الأنهار ونحوها من العيون، ومنه ما هو في داخل الأرض ولكنه قريب، فَإِذَا حفروا شيئًا وجدوه واستخرجوه، وهلذا من رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولو شاء الله أن يجعل الماء نازلًا في أسافل الأرض بحيث لا يستطيع البشر أن يصلوا إليه لفعل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإذَا فعل فمَن الَّذِي يرحمهم ويجعل لهم ماءً سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإذَا فعل فمَن الَّذِي يرحمهم الرحمن، ومَن الَّذِي يرحمهم ويجعل لهم ماءً قريبًا منهم إن لم يرحمهم الرحمن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والله لا يستطيع الخلق كلهم ولو اجتمعوا في صعيد واحد أن يجروا الماء عَلَىٰ وجه الأرض، وأن يجعلوه قريبًا من الناس يرونه بأعيانهم، إنَّمَا ذلك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ رحِم عباده، ولو شاء أن يغير ذلك لغير لكنه سُبْحَانَهُ لطيفٌ خبير.

(الماتن)

قَالَ الإمام عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى: ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِى ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ [الملك: ٢٤] أي: بثكم في أقطارها، وأسكنكم في أرجائها، وأمركم، ونهاكم، وأسدى عليكم من النِعَم، ما به تنتفعون، ثم بعد ذلك يحشركم ليوم القيامة.

ولكن هذا الوعد بالجزاء، ينكره هؤلاء المعاندون ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ [الملك: ٢٥] تكذيبًا:

﴿ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الملك: ٢٥] جعلوا علامة صدقهم أن يخبروا بوقت مجيئه، وهذا ظلمٌ وعِناد، فإنما العِلم عند الله لا عند أحد من الخلق، ولا ملازمة بين صدق هٰذَا الخبر



وبين الإخبار بوقته، فإن الصِّدْق يُعرَف بأدلته، وقد أقام الله من الأدلة والبراهين عَلَىٰ صحته ما لا يبقىٰ معه أدنىٰ شَّكً لمَن ألقىٰ السمع وهو شهيد.

(الشرح)

(هُمَّتَى هَذَا الْوَعْدُ ﴾ [الملك: ٢٥])؛ فالوعد: هو الجزاء الَّذِي يُخبِر به الأنبياء.

(جعلوا علامة صدقهم أن يخبروا بوقت مجيئه، وهذا ظلمٌ وعناد)؛ واستهزاءٌ وتكذيب، فيقولون للرُسُل عَلَيْهِمْ السَّلَامُ وهذا حاصلٌ من جميع الكفار لرسولهم: أنتم تخبروننا أن هناك بعثًا، وأن هناك جزاءً وهذا لا بُدَّ له من وقت، فأخبرونا عن وقته إن كنتم صادقين، فيجعلون الإخبار عن الوقت هو الدليل عَلَىٰ الصِّدْق، وهذا من جهلهم، وعنادهم، وكفرهم، واستهزائهم برُسُل الله عَلَيْهِمْ السَّلَامُ.

(فإن الصِّدْق يُعرَف بأدلته، وقد أقام الله من الأدلة والبراهين عَلَىٰ صحته ما لا يبقى معه أدنى شكّ لمَن ألقى السمع وهو شهيد)؛ ﴿ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ [الملك: ٢٦]؛ النذير هو: المخوف عِمَّا يضر، فالنَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُخوف مِ مَن عذاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، مبينٌ موضح لكم دين الله بوحي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(الماتن)

قَالَ: ﴿ فَلَمَّا رَأُوهُ زُلْفَةً سِيعَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا هَذَا الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ ﴾ [الملك: ٢٧] يعني: أن محل تكذيب الكفار وغرورهم به حين كانوا في الدنيا، فإذا كان يوم الجزاء، ورأوا العذاب منهم ﴿ زُلْفَةً ﴾ [الملك: ٢٧] أي: قريبًا، ساءهم ذلك وأفظعهم، وقلقل أفئدتهم، فتغيرت لذلك وجوههم، ووبخوا عَلَىٰ تكذيبهم، وقيل لهم هٰذَا الَّذِي كنتم به تكذبون.

ولما كان المكذبون للرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، الَّذِينَ يردون دعوته، ينتظرون هلاكه، ويتربصون به ريب المنون، أمره الله أن يقول لهم: إنكم وإن حصلت لكم أمانيكم وأهلكني الله ومن معي، فليس ذلك بنافع لكم شيئًا، لأنكم كفرتم بآيات الله، واستحققتم العذاب، فمن يجيركم من عذاب أليم قد تحتم وقوعه بكم؟ فإذًا، تعبكم وحرصكم عَلَىٰ هلاكي غير مفيد، ولا مجدٍ عنكم شيئًا.

(الشرح)

نعم فلما رأوه عبر بالماضي لتحقق الوقوع، فلما رأوه أي: رأَوْا العذاب وذلك يوم القيامة.

(﴿ زُلْفَةً ﴾ [الملك: ٢٧])؛ أي: قريبًا منهم مكانًا، وقريبًا منهم زمانًا، قريبٌ منهم بالزمان؛ لأنه يوم القيامة والساعة قريبة، وقريبٌ منهم بالمكان؛ لأن النار تُجر إِلَىٰ المُوقف تجرها الملائكة عَلَيْهِمْ السَّلامُ. (﴿ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ ﴾ [الملك: ٢٧])؛ قَالَ بعض العِلماء تدعون يعني: تطلبونه في الدنيا مت حداد في من اللهُ عَامَ أَمَن أَن معالم منه منه المناه في الدنيا منه منه المناه في الدنيا منه منه المناه في الدنيا منه منه المنه المنه منه المنه المنه المنه منه المنه المن

وتستعجلون به استهزاءً وتكذيبًا، فتدعون هنا بهلاً المعنى من الْدُّعَاء؛ أي: أنهم يطلبونه، وقيل معنى: تدعون أي: تكذبون، أي: هلاً اللَّذِي كنتم به تكذبون، فيكون تدعون هنا من الدعوة فترون خبر الأنبياء عَلَيْهِمْ السَّلامُ دعوة، والدعوة كما تعلمون هي الَّتِي تحتمل الصِّدْق والكذب.

ولذلك الإنسان إِذَا رفع قضية في المحكمة يُقَالَ: دعوة؛ لأنه يمكن أن يكون صادقًا ويثبت ما يقول، ويمكن أن يكون كاذبًا؛ فتدعون يعني: تكذبون؛ لأنكم ترون خبر الأنبياء عليهم دعوة، فيكون تدعون من الدعوة، وعَلَىٰ المعنى اَلْأُوَّلُ: تدعون من الدُّعاء.

(الماتن)

قَالَ: ومن قولهم، إنهم عَلَىٰ هدى، والرسول عَلَىٰ ضلال، أعادوا في ذلك وأبدوا، وجادلوا عليه وقاتلوا، فأمر الله نبيه أن يخبر عن حاله وحال أتباعه، ما به يتبين لكل أحد هداهم وتقواهم، وهو أن يقولوا: ﴿ آمَنّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ [الملك: ٢٩]، والإيمان يشمل التصديق الباطن، والأعمال الباطنة والظاهرة، ولما كانت الأعمال، وجودها وكمالها، متوقفة علىٰ التوكل، خص الله التوكل من بين سائر الأعمال، وإلاّ فهو داخل في الإيمان، ومن جملة لوازمه كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٣٣]، فإذا كانت هٰذِه حال الرسول وحال من اتبعه، وهي الحال الّتِي تتعين للفلاح، وتتوقف عليها السعادة، وحالة أعدائه بضدها، فلا إيمان لهم ولا توكل، عُلِم بذلك من هو عَلَىٰ هدى، ومن هو في ضلال مبين.

(الشرح)

(والإيمان يشمل التصديق الباطن، والأعمال الباطنة والظاهرة)؛ الإيهان: هو اعتقادٌ بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالجوارح، فالإيهان يشمل الدين كله؛ فيشمل: اعتقاد القلب، وأعهال القلوب، وقول اللسان، وأعهال الجوارح كها دلت عليه الأدلة.

وانظر أن الله أمر نبيه أن يقول: هو الرحمن آمنا به، وأنتم ترون آثار رحمته في الأرض، وهي دليلٌ عَلَىٰ وحدانيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فآمنا به فصدقنا بقلوبنا واعتقدنا، وقلنا بألسنتنا وعملنا بجوارحنا.

(﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٢٣])؛ عليه توكلنا أي: اعتمدنا بقلوبنا، فالتوكل هو الاعتهاد بالقلب، والاعتهاد بالقلب لا يجوز أن يكون إلَّا عَلَىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

طيب للفائدة: هل يجوز أن تقول لإنسان: توكلت عَلَىٰ الله ثُمَّ عليك، أَمَّا التوكل بمعنى: عمل القلب واعتهاد القلب فلا يجوز فيه قول هذَا؛ لأنه لا يجوز للإنسان أن يعتمد بقلبه عَلَىٰ أحد، وَإِنَّمَا الاعتهاد بالقلب عَلَىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لكن إِذَا كان المراد بقوله توكلت عَلَىٰ الله ثُمَّ عليك: اعتمدت بقلبي عَلَىٰ الله واسندت ظاهر الأمر إليك تنوب عني وتكون وكيلًا عني، بعض العِلماء: منع من هلذا من باب سد الذرائع، وقَالُوا: لا يجوز أن تقول إِلَّا توكلت عَلَىٰ الله فإن التوكل عمل القلب.

وبعض أهل العِلم قَالُوا: إِذَا صح المعنى جاز القول، ويجوز للإنسان أن يعتمد عَلَىٰ الله بقلبه ويفوض العمل إِلَىٰ غيره، فيعتمد في ظاهر العمل عَلَىٰ غيره أن يُراجِع المحكمة مثلًا أَوْ يراجع الدائرة ونحو ذلك.

فالشاهد؛ أنه ينبغي أن يتنبه المؤمن أن اعتهاد القلب لا يجوز إسناده إِلَىٰ المخلوق، فلا يجوز أن تقول: توكلت عَلَىٰ الله ثُمَّ عليك، وإِنَّهَا تقول: توكلت عَلَىٰ الله ثُمَّ عليك، وإِنَّهَا تقول: توكلت عَلَىٰ الله ثُمَّ عليك، وإِنَّهَا تقول: توكلت عَلَىٰ الله.

أَمَّا إِذَا عنيت بقولك: توكلت عَلَىٰ الله ثُمَّ عليك؛ أنك تعتمد بقلبك عَلَىٰ الله وحده وتعتمد عَلَىٰ هلاً المكلف في ظاهر العمل أن يؤدي العمل نيابة عنك فالمعنى صحيح، لكن هل يجوز؟ بعض مشايخنا وعلمائنا قَالَ: لا يجوز، وبعض علمائنا قَالُوا: يجوز، ولو ترك المسلم هلاً لكان هلاً أحسن وأكمل له.

(الماتن)

(الشرح)

يعني -كَمَا قُلْنَا-: هو بيان بعض آثار رحمة الله الَّتِي تدل عَلَىٰ أنه سُبْحَانَهُ هو المستحق للعبادة، وأنك لتعجب كيف أن العبد الَّذِي عرف الإسلام ينصرف عن الرحيم إِلَىٰ غيره حَتَّى في شكواه، فَإِذَا شكوت فاشكوا إِلَىٰ الله، وإِذَا سألت فاسأل الله، وإِذَا استعنت فاستعن بالله، فتعجب من أقوامٍ يُعلِقون قلوبهم بالأسباب وهلذا مُنكرٌ عظيم، فيعلق قلبه بالطبيب، أَوْ يعلق قلبه بالتجارة أَوْ نحو ذلك.

فالواجب: أن يُعلِق المؤمن بالله، وأن يجعل حاجته عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهلذَا يعطي المؤمن عِزةً وقوة، فلا يُخاف غير الله، فيتمسك بالحق ولا يترك الحق من أجل الدنيا؛ لأنه لا يُخاف إِلَّا الله، ولا يُخاف أحدًا من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(غائرًا)؛ ومعنى الغائر: هو الذاهب في أعماق الأرض.

(﴿ مَعِينٍ ﴾ [الملك: ٣٠])؛ المعين: هو الجاري عَلَىٰ وجه الأرض والَّذِي تراه العيون، فمعين مادتها من: العين، وَالَّذِي تراه العيون هو الَّذِي يكون جريًا عَلَىٰ الأرض كما في الأنهار والعيون.

(أي: لا يقدر أحد عَلَىٰ ذلك غير الله تَعَالَىٰ)؛ والكفار وكل البشر يعلمونها أنه لا يقدر عَلَىٰ ذلك إلاّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وبهذا نكون ختمنا تفسير سورة المُلك، وكها قلنا: نحن في التفسير نأخذ مقطعًا نفسره تفسيرًا إيهانيًا وجدانيًا موضوعيًا، ثُمَّ نفسره تفسيرًا تفصيليًا حَتَّىٰ إِذَا فرغنا من السورة ننبه عَلَىٰ بعض حِكمِها الكبرى، وهانِه السورة العظيمة فيها حِكُم عظيمة وفوائد كريمة فمن حِكمِها العظيمة، وفوائدها الكبرى، أن التدبر لآيات القرآن وَالتَّفَكُّر في الآيات الكونية أعظم أسباب معرفة الحق والثبات عليه، وزيادة الإيهان واجتناب الباطل، والتخلص منه.

فأعظم الأسباب لمعرفة الحق ولأن تثبت عَلَى الحق بعد أن عرفته؛ لأن الثبات أمرٌ عسير أن تثبت وتستمر وتصبر أمرٌ صعب، وأن يزيد إيهانك فالإيهان يا إخوة يزيد، وإذا زاد الإيهان أقبل الإنسان عَلَى الطاعات أكثر؛ ولأن تجتنب الباطل أعظم الأسباب أن تتدبر القرآن.

فوالله لو أقبلت الأُمَّة عَلَىٰ كتاب ربها تقرأه وتتدبره وتعرف معانيه كما ذكرها السكف الصالح رضوانُ الله تَعَالَىٰ عَلَيْهِم لرأيت الأُمَّة في خيرٍ وعِزَة، ولكن للأسف نُحي القرآن عن الحياة عند كثيرٍ من المسلمين، القرآن أصبح عند بعض المسلمين علامة عَلَىٰ الموت عند بعض المسلمين، فَإِذَا سمعوا القرآن يُتلى في بيته قالوا: خير إِنْ شَاءَ اللهُ هل عندهم ميت، فلا يتدبر ولا يتفكر في معانيه، فضعف الإيهان، وقل الإحسان، وكثرت البدع، وانتشر الباطل في كثير من الأرجاء.

والأمر الْثَّانِي: التفكر في الآيات الكونية، والتفكر في الآيات النفسية، فإنه والله يجعل المؤمن يزداد إيهانًا بربه، فوالله لو فقط جلست تتفكر في عينك، فَهانِه العين كيف وضعت في هاذَا التجويف من فوقها عظمٌ صلبٌ، وكيف خُلِقَت بهاذَا القدر، وكيف أنها مع ضعفها وصغرها ترى، لازددت إيهانًا، وتمسكت بالحق ولزمته، فهانِه الفائدة العظمى.

والمقصود: أن نجعلها عملًا لنا، وأن نقرأ القرآن بتدبر، وأن نتدبر القرآن، وأن نتفكر في معاني القرآن حَتَّىٰ ونحن نصلي خلف الإمام.

عدما يقرأها الإمام، فيقرأ الإمام فنتدبر المعاني، والمراد، فتبقى قلوبنا حاضرة وأجسادنا لينة في صلاتنا، فهاذَا الأمر الأوَّلُ.

الحكمة الكبرى الْثَانِية، والفائدة الكبرى الْثَانِية: أن الموعظة والجدال بالَّتِي هي أحسن، فتقتضى سوق الآيات الظاهرة الَّتِي لا يستطيع المخاطب إنكارها أَوْ ردها.

في الدعوة يا إخوة لا بُدَّ من الحِكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالَّتِي هي أحسن، لكن أحيانًا يُغلَب هلذًا، وأحيانًا يُغلَب، فالجاهل: يُغلَب له جانب العِلم والحِكمة، والغافل: يُغلَب هلذًا، وأحيانًا يُغلَب له جانب الموعظة الَّتِي يعلم لكنه يغفل عن العمل يُغلَب له جانب الموعظة الَّتِي تخاطب القلب، والمُعانِد: يُغلَب له جانب المجادلة بالَّتِي هي أحسن، والحِكمة والموعظة والجدال بالَّتِي هي أحسن تقتضي أن تسوق

الأدلة والآيات الظاهرة الَّتِي لا يستطيع مَن تخاطبه أن يدفعها، حَتَّىٰ لا تدخل معه في جدالٍ عَلَىٰ الدليل، فتنتقل من المدلول إِلَىٰ الدليل، فَإِذَا سُقت له الآيات والأدلة الَّتِي لا يستطيع أن يدفعها فإن هلذا يجعله واقفًا عند المدلول، ولا ينقل الحديث إلىٰ الدليل.

يعني: بعض الناس إِذَا تكلم في دعوته يضيع؛ لأنه يأتي بدليلٍ ضعيف، فيقول له المُخاطَب: هلاً الحديث ضعيف، فيبدأ ويحاول أن يُثبِت أنه صحيح، ثُمَّ يذهب عن المقصود، إِذًا من الحكمة في الدين ضعيف، فيبدأ ويحاول أن يُثبِت أنه صحيح، ثمَّ يذهب عن المقصود، إِذًا من الحكمة في الدين المناسب لعقل المُخاطَب، بحيث لا يستطيع مَن تخاطبه أن يرده أَوْ يدفعه.

- الحكمة الْتُالِثَة: أن الموفق من عباد مَن علِم نِعَم الله عليه، وقدرها حق قدرها وشكرها، والمخذول مَن غفل عن نِعَم الله عَزَّ وَجَلَّ عليها.
- الفائدة الرَّابِعَة: أن أعظم جوارح الإنسان: السمع، والبصر، والقلب؛ لأنها أدوات العِلم والفَهم.

وهاذا يدل عَلَى: أن أعظم ما ينفع إنسان العِلم، فوالله لا يزال الإنسان بخير ما أقبل عَلَىٰ العِلم، فإن تكبر عن العِلم خُذِل.

ولذلك يا إخوة العالم حقًا يعلم أنه فقيرٌ إِلَىٰ العِلم، وكلما زاد عِلمًا أدرك جهله، وتواضع لعباد الله، ولذلك يا إخوة العالم حرفين أو يعرف كلمتين فينتفخ، ويصبح شيخ الإسلام ويتكبر عَلَىٰ الناس والله لا ينتفع بعِلمِه ولا ينفع.

إِذًا يا إخوة أعظم ما ينفع الإنسان المسلم: العِلم، وأعظم ما يكون في العِلم: الفَهَم، فتعلم وتفهم، وإذَا فهمت لزِمت واستقمت عَلَى الحق والهدى.

الفائدة الخَامِسَة: أن الَّذِي يدبر أمر العبد هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فيجب عَلَىٰ العبد أن يوحده ويتوكل عليه، وأن يخاف منه، ولا يخاف أحدًا من دونه.

فالَّذِي يدبر أمرك هو الله، والله ما تقوم إِلَّا بتدبير الله، والله ما تجلس إِلَّا بتدبير الله، والله ما تتخلم إِلَّا بتدبير الله، والله ما من حركةٍ ولا سكونٍ أنت فيها إِلَّا بتدبير الله، فيجب عليك أن توحد الله، وأن تكون قويًا في توحيدك، فتُحِب التوحيد وتحقق التوحيد وتدعو إِلَىٰ التوحيد، وأن تكون قويًا في توكلك عَلَىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فتفعل الأسباب وأنت تعلم أنها



أسباب، وأن الأمر كله لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فقلبك يكون معتمدٌ عَلَىٰ ربك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فتخرج الصباح تبتغي الرزق وهلذا أمرٌ محمود ولكن قلبك متعلق بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فإن فعلت ذلك رزقك الله، وأغناك الله، ولا تخاف إلا من الله، فإن الله هو الَّذِي يدبر أمرك، فإن فعلت ذلك رزقك الله وأراد أحد أن يؤذيك ولم يُرِد الله ما استطاع، والله لو قاد الجيوش ولو جمع الخلق يريد أن يؤذيك ما أراد الله ما يستطيع، فالأمر كله لله، فلا تخافوا غير الله، وننتقل إلى سورة: القلم.

(الماتن)

﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۞ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۞ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۞ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ۞ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۞ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ ۞ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۞ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ۞ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۞ وَلَا تُطِعْ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۞ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ۞ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۞ وَلَا تُطِعْ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُو أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۞ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ۞ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۞ وَلَا تُطِعْ لَلْحَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۞ عَتُلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ۞ أَنْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ۞ هَمَّاذٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ۞ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۞ عَتُلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ۞ أَنْ كَلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ۞ هَمَّاذٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ۞ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۞ عَتُلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ۞ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۞ إِذَا تُعْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۞ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ۞ القلم: (13-1).

(الشرح)

في هانده الآيات الكريمات يبدأ الله عَزَّ وَجَلَّ بحرف النون، وهو من حروف العرب الَّتِي يعرفونها للدلالة عَلَى: أن كلمات القرآن من هانده الحروف الَّتِي يستعملها العرب، ومع ذلك يعجزون ويعجز فصحاؤهم عن الإتيان بمثل القرآن، بل عن الإتيان بسورة من سور القرآن؛ أي: مثل سورة من سور القرآن. القرآن.

ثُمَّ يُقسِم سُبْحَانَهُ بالقلم، والله يُقسِم بها شاء من مخلوقاته إظهارًا لشرفه، وليس للمخلوق أن يُقسِم بغير الخالق، فلا يجوز للمخلوق أن يُقسِم بأبيه، أوْ بأمه، أوْ برأس أبيه، أوْ بحياته، أوْ بالكعبة، أوْ بغير ذلك من المخلوقات، والله سُبْحَانَهُ يُقسِم بها شاء من مخلوقاته لبيان شرفه.

والقلم نِعمَةٌ عُظمى من الله وهو أصل حفظ العلوم، ولولا أن الله أنعم عَلَىٰ الناس بالقلم لاندثرت علومهم، فإن الكتابة أعظم وسيلةٍ للحفظ، ولذلك الصحابة رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِم لما



استحر القتل بالقُراء، رأوا أن يجمعوا القرآن وأن يكتبوه في مصحفٍ حَتَّىٰ لا يضيع، فالكتابة أعظم وسيلةٍ لحفظ العلوم، والكتابة إِنَّمَا هي بالقلم.

ففي هذا القسم بيانٌ لشرف القلم، وبيانٌ لفضله، ويُقسِم الله عَزَّ وَجَلَّ أَيْضًا بها يُكتَب بالقلم، وهذا يشمل كل ما يكتب بالقلم؛ ما كتبه القلم في اللوح المحفوظ، وما تكتبه الملائكة في الصُحُف من أعهال العباد، وما يكتبه العباد، فكلها تدخل في هذا القسَّم.

والمُقسَم عليه أمرٌ عظيم ألا وهو: تنزيه مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا يصفه به الكافرون المجرمون المفترون، فالرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو أُميٌ لا يقرأ ولا يكتب جاءهم بخير مكتوب؛ بالقرآن الكريم، وجاءهم بأعظم حِكمَة، وجاءهم بأكرم عِلمٍ مِمَّا يَعشُر عَلَىٰ العِلماء بالقراءة والكتابة والعلوم أن يأتوا بجزءٍ منه.

فَلَا شَكَ عند كل عاقل: أنه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكمل البشر، وأكرم الخلق، فها هو بنِعمَةِ الله عليه حيث أكمل له عقله، وطهر صدره من صِغرِه، وكمله بالوحي ما هو بمجنون كها يقول أَوْلئك المفترون، ولا يقول عنه مجنونٌ إِلَّا مفتونٌ كذاب يعلم أنه كذاب، فالقليل من شأن النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والقليل مِيَّا جاء به النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينفي عنه هاذِه الصفة.

فَمَنَ عَرِفُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علِم يقينًا أنه ليس بمجنون، بل أكمل البشر عقلًا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومَن عرف بعض ما جاء به صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أدرك يقينًا أنه لا يمكن أن يأتي بمثل هلاً مجنون، وإِنَّمَا جاء به من عند الله أكمل البشر صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَهِلْذَا يدل دلالةً قاطعة عَلَىٰ أنه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكمل البشر عقلًا، وأَوْسعهم عِلمًا، وأفصحهم لِسانًا، ثُمَّ ذَكَرَ الله نعمته عَلَىٰ نبيه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الآخرة تصبيرًا له وتثبيتا عَلَىٰ يلقى من أذى قومه، فذكر الله أن له الأجر العظيم، والثواب الجزيل الدائم الَّذِي لا ينقطع، والكثير المتتابع الَّذِي لا يقل في الفردوس الأعَلَىٰ.

وفي هذا تصبيرٌ للنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ ما يلقاه من الأذى من الناس، وتصبير للدُعاة إِلَى الحق، وإِلَىٰ السُّنَّة، وإِلَىٰ ما كان عليه سلف الأُمَّة رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِم عَلَىٰ ما يلقون من أذى الناس، وما يلقون من القِلَة، ومن قلة ذات اليد، فتصبيرٌ لهم بأن لهم الجزاء عند الله، والأجر

العظيم الَّذِي لا ينقطع ولا يقل؛ لأنهم أتباع مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في طريقه، فهم دعاةٌ إِلَىٰ الحق، وينالهم الأذى بسبب دعوتهم إِلَىٰ الحق.

فيا مَن تدعو إِلَىٰ الله لا يفُتَن في عَضُدَك أن الَّذِين معك قِلَة، ولا يفُتَن في عَضُدَك الَّذِين يستجيبون لك عددٌ محدود، ولا يفُتَن في عَضُدَك أنك تُسَب من الناس، وتلقب بالأوصاف، فها دام أن الَّذِي بينك وبين الله عامر، وأنك عَلَىٰ طريق مُحَمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأبشر بالخير في الدنيا والحياة الطيبة.

والله لو أخلص المسلم لله وأخلص الداعية لله يبيت وسط الأذى وهو مطمئن، فشيخ الإسلام البن تَيْمِيَّة رَحِمَهُ الله رأس من رؤوس الدعوة إِلَى الحق يُسجَن في القلعة والَّذِي رأى سجن القلعة كم هو كئيبٌ جدًا، الآن مع هذا التطور الموجود إِذَا رأيت هذا السجن تُصيبُك الكآبة، فكيف بالزمان الأُوَّلُ؟ فسُجِن شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة رَحِمَهُ اللَّهُ لأنه يُنافِح عن سُنَة رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكان تلاميذه ابن القيم ومَن معه إِذَا ضاقت عليهم الدنيا وهم في خارج السجن يذهبون إليه يسليهم وهو في سجنه، ويقول: أنا ما يصنع أعدائي بي، فكن مع الله، وسِّر عَلَىٰ طريق رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وعِش عزيزًا وعِش الحياة الطيبة، ويُقسِم الله عَزَّ وَجَلَّ أن نبيه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم عَلَيْهِ وَسَلَّم، وطبع سليم، وأدبِ رفيع يعلو به عَلَىٰ جميع الخلق.

ولما كان ذلك كذلك قَالَ الله لنبيه صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: «ستعلم يا مُحَمَّد ويعلم مُكذِبوك ومُنتقِصوك مَن المفتون الضال عن الحق الناقص المهين منك ومنهم، بما يُظهِر الله من آيات فضلِك، وكمال عقلك في الدنيا، ثُمَّ سيُظهِر الله ذلك عَلَىٰ رؤوس الأشهاد يوم القيامة، حيث يعلم مُكذِبوك عِلم اليقين مَن الكذاب الأشِر».

وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يعلم أي الفريقين هو المهتدي، وأي الفريقين هو الضال، وأظهره بهذه الآيات في هذه السورة، وسيظهره يوم القيامة، وما دام ذلك كذلك وأنت يا رسولنا عَلَىٰ الحق المبين فلا تُطع المكذبين؛ وهم: الكفار، والمنافقون، فلا تُطِعهُم فيها يشيرون به عليك فإنهم لا يشيرون إلَّا الباطل، ولا تُطِعهُم فيها يطلبونه منك فإنهم لا يطلبون إلَّا الباطل، وإنهم ليتمنون لو تميل إليهم فيميلون إلىك لو تتنازل عن بعض الحق ليتنازلوا هم عن بعض ما هم عليه، فتترك بعض دين الله لتلتقي بهم، كأن تقبل أن تعبد آلهتهم معهم مدة، ويعبدون هم الله معك مدة، فيتمنون هلاًا ويريدون هلاًا.



فالله يأمر نبيه صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألا يُطيعَهُم، ولا تُطِع كثير الحلِّف فإنه من الكذابين، ويعلم أنه كاذب، وأن الناس يعلمون أنه كاذب، ولذلك يُكثِر الحلف لعلهم يصدقونه، ولذلك يقول العِلماء: "كثرة الحلِف أمارة الكذب"؛ هذا دليل عَلَىٰ: أنه كثير الكذب وضعيف في نفسه فيشعر أن الناس ما تصدقه، ولذلك يُكثِر من الحلِف، ولذلك هو حقيرٌ خسيس النفس، لا يريد إلَّا الباطل الكذب، ويشعر دائمًا أن الناس تكشف كذبه.

ومن صفاته: أنه همازٌ يُكثِر عيب الناس بحضرتهم بالعبارة أَوْ الإشارة فهو سيء الأدب، يعيب الحاضرين بكلامه أَوْ إشارته، ويغتابهم عند غيبتهم فهو هماز ويمشي بين الناس بِالنَّمِيْمَةِ، وينقل الحديث بينهم عَلَىٰ سبيل الإفساد والوقيعة بين المتحابين، ويمنع الخير كثيرًا، فلا يبذل الخير ولا يسمح ببذله.

بالمناسبة للفائدة؛ يروج عند العوام يقولون فلان لا يرحم ولا يخلي رحمة ربنا تنزل، هذا ما يجوز، لو قيل: لا يرحم ويكره أن تنزل رحمة ربنا عَلَىٰ العباد نعم، لكن هو لا يملك أن يمنع رحمة الله، فَهلذا ما يجوز أن يُقَالَ.

فالشاهد: أن هلاً الا يبذل الخير ولا يسمح ببذل الخير، فلا يبذل من ماله، ولا يسمح لغيره إن أطاعه أن يبذل من ماله هو، ولا يؤمن ولا يسمح لغيره أن يؤمن، فهو مناعٌ للخير، وهو معتدٍ عَلَىٰ حق الله، وعَلَىٰ حق خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويتناول المحرمات ويلابسها كالملازم لها، ومع ذلك فهو: فظ، غليظ، قاسى القلب متكبرٌ عن الحق مع صحة وعافية.

والعوام عندهم: أن الكفار في صحة، لكن في بتر وتكبر، ولذلك بعض عوام المسلمين إِذَا أرادت الله مَتكبِرٌ الله يرزقك عافية كافر؛ يعني: قوة وصحة مع بتر وكبر، فهلاً مُتكبِرٌ مع صحةٍ وعافية، فهو شديد الخلق سيء الخُلُق، وشديدٌ في الخصومة بالباطل، ومع ذلك هو ليس كها يَزعُم من أشراف القوم، بل هو دعيٌ مُلصقٌ بهم.

ومع أن الله أنعم عليه بكثرة الأموال وكثرة الأولاد لم يشكر الله عَلَىٰ ذلك، بل تكبر وكفر واستهزأ بالرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وزعم أن القرآن من أساطير الأوْلين الَّتِي أغلبها كذب، وأن النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا هو ساحر، وما يأتي به تعلمه من البشر الَّذِين يحكون أساطير الأولين، وهو يعلم أنه كاذب، لكنه يريد أن يُنفِر من الحق الَّذِي جاء به النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



واليوم أهل الباطل يُنفِرون من دُعاة الحق بهذا، ويصفون دُعاة الحق بأوصافٍ يعلمونهم أنهم بُراء منها، وأنهم يكذبون عليهم، لكن لا يستطيعون أن يواجهوا الحق، فهاذا يفعلون؟ يشوهون أهل الحق حَتَّىٰ لا يقترب الناس منهم.

وهذا الكذاب الحلاف المهين سيفضحه الله في الدنيا ويوم القيامة، فيكون مفضوحًا في الدنيا ذليلًا حقيرًا، ومفضوحًا يوم القيامة حيث يسود وجهه يوم القيامة.

لعلنا نقتصر عَلَىٰ هٰذَا، ونؤخر تفسير الآيات تفسيرًا تفصيليًا إِلَىٰ المجلس القادم إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّىٰ ما نطيل عَلَىٰ الإخوة، ونسأل الله أن يُعين، وأن يرزقنا وَإِيَّاكُمْ الإخلاص، وأن يجعلنا نافعين لأُمَّة مُحَمَّد صَلَىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَصَلَّ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ.



المجلس (٥)

بِسۡ ___ِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰزِ ٱلرَّحِي حِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، إِنَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغَفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّنَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رَجَّالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۞ [النساء: رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۞ [النساء: ١٠].

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۞ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ؛

فَإِنَّ خَيرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهُدَىٰ هُدَىٰ مُحَمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَاتُها، وَكُلُّ مُحْدَثَاتُها، وَكُلُّ مُحْدَثَاتُها، وَكُلُّ مُحْدَثَاتُها، مَحْدَثَاتُها، وَكُلُّ مُحْدَثَاتُها، وَكُلُّ مُحْدَثَاتُهُا، وَكُلُّ مُحْدَثَاتُهُا، وَكُلُّ مُحْدَثَاتُها، وَلَا مُعْدِلًا مُعْدِلًا مُعْدِلًا مُعْدِلًا مُعْدِلًا مُعْدِلًا مُعْدَلِها مُعْدِلًا مُعْدِلًا مُعْدِلًا مُعْدَلِقًا مُعْدَلِها مُعْدِلًا مُعْدِلًا مُعْدِلًا مُعْدَلِها مُعْدَلِها مُعْدَلًا مُعْدَلًا مُعْدَلًا مُعْدَلِها مُعْدِلًا مُعْدَلًا مُعْدَلِها مُعْدَلِها مُعْدَلًا مُعْدَلِها مُعْدَلًا مُعْدُلًا مُعْدَلًا مُعْدَلِها مُعْدَالًا مُعْدَالِهِ مُعْدَلًا مُعْدَلًا مُعْدَلًا مُعْدَلًا مُعْدَلً

ثُمَّ يا معاشر الفضلاء إنه بغروب شمس اليوم تدخل علينا العشر الأَوْاخر المباركات؛ وهذه الليلة تجتمع فيها ثلاثة أمور:

- **1 الأمر اللولُ:** أنها مُفتتَح العشر الأَوْاخر.
 - **الأمر الثاني:** أنها ليلةٌ وترية.
 - **3 والأمر الْثَالِث:** أنها ليلة الجمعة.



وقد ذَكَرَ العِلمَاء: أنه إِذَا وافقت الليلة الوترية ليلة الجمعة فهي أرجى لإصابة ليلة القدر، فهاذِه الليلة من الليالي المرجوة عند المؤمنين، فأوْصي نفسي وإخواني بالجد والاجتهاد فيها، والحرص عَلَىٰ الإخلاص لله عَزَّ وَجَلَّ، والتقرب إليه بها يُحِب ويرضى.

ومن جميل الفعل: لو أن المسلم إِذَا كان لا يريد الاعتكاف العشر الأَوْاخر كلها، فلو أنه في هلِّه الليلة دخل المسجد عند المغرب ونوى الاعتكاف وبقي إِلَىٰ أن يصلي الصبح فإن هلاً من جليل الأعمال، ومن الأعمال الَّتِي يُجتهد فيها في العشر الأَوْاخر.

ع والَّذِي دلت عليه النصوص أن أقل مدة الاعتكاف: ليلةٌ كاملة، أَوْ نهارٌ كامل.

فإن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نذر أن يعتكف ليلة في المسجد الحرام، فقالَ له النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْفِ بِنَذْرِكَ»، وَهاذَا أقل ما ورد في النصوص في مدة الاعتكاف، وَالنَّهار مثل اَللَّيْل، فلو أن المسلم دخل المسجد عند المغرب ونوى الاعتكاف ليلة، ثُمَّ خرج بعد أن صلى الصبح فإنه يكون حصل له بذلك الاعتكاف، ولو انه دخل المسجد عند الفجر فصلى الفجر ونوى الاعتكاف في النَّهار وبقي حَتَّىٰ صلى المغرب فإنه يكون قد حصل له الاعتكاف، واعتكاف اللَّيْل خيرٌ وأفضل من اعتكاف النَّهار.

فأَوْصي من يستطيع من إخواني أن يعتكف الليلة أن يحرص عَلَىٰ ذلك فإنها ليلةٌ مرجوة، أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يعيننا جميعًا عَلَىٰ الاجتهاد فيها، والقيام فيها إيهانًا واحتسابًا، وأن يجعلنا مِمَن قُبِل عمله، وزُكيت نفسه، وأُعين عَلَىٰ الخير.

ثُمَّ معاشر الفضلاء درسنا في التفسير، حيث شرعنا في آخر مجلس في تفسير سورة: القلم، فأخذنا المقطع اللهُ وقفنا، فنُكمِل اليوم إِنْ شَاءَ اللهُ فنأخذ المقطع اللهُوَّ وقفنا، فنُكمِل اليوم إِنْ شَاءَ اللهُ فنأخذ تفسير الآيات مع التعليق عَلَىٰ ما ذكره الإمام السِعدي رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، فيتفضل الابن نور الدين وفقه الله والسامعين يقرأ لنا من حيث وقفنا.

(الماتن)

قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ [القلم: ١].

قَالَ الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: يُقسِم تعالىٰ بالقلم، وهو اسم جِنسٍ شامل للأقلام، الَّتِي تكتب بها أنواع العلوم، ويُسطَر بها المنثور والمنظوم، وذلك أن القلم وما يسطرون به من أنواع الكلام، من آيات الله العظيمة، الَّتِي تستحق أن يقسم الله بها، علىٰ براءة نبيه محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ



وَسَلَّمَ، مِمَّا نسبه إليه أعداؤه من الجنون فنفى عنه الجنون بنعمة ربه عليه وإحسانه، حيث مْنَ عليه بالعقل الكامل، والرأي الجزل، والكلام الفصل، الَّذِي هو أحسن ما جرت به الأقلام، وسطره الأنام، وهذا هو السعادة في الدنيا، ثُمَّ ذَكرَ سعادته في الآخرة.

(الشرح)

نون هذا من الحروف المقطعة في أَوْائل السور، فهناك سورٌ تبتدأ بحروف ليست كلمات، وإِنَّمَا هي حروفٌ مقطعة: الم، ص، ق، ن، كهيعص، يس، فَهلِزه حروفٌ مقطعة في أَوْائل السور، وأقوى ما قيل فيها قولان:

لله القول أَلْأُوَّلُ: أن هلاً من باب التحدي للعرب.

وذلك أن القرآن إِنَّمَا هو من هلِه الحروف الَّتِي هي حروفهم ويعرفونها، ومع ذلك يعجزون عن أن يأتوا بمثل القرآن، أَوْ أن يأتوا بسورةٍ من مِثله حَتَّىٰ لو اجتمع فُصحائهم عَلَىٰ هلاً الأمر، ويؤيد ذلك أيها الإخوة انه دائمًا إِذَا ذُكِرَت الحروف المقطعة فإنه يُذكر بعدها القرآن إِمَّا أن يُقسِم به الرحمن، وإلَّا في موضعين من القرآن لم يُذكر بعد الحروف المقطعة القرآن:

🖘 أَمَّا أَوْلَهُما: فهو هٰذَا الموطن الَّذِي معنا؛ نون والقلم.

وَأَهًا الْلَانِي: فهو في سورة: مريم؛ كهيعص، فلم يُذكر القرآن عقبها، وَأَمَّا في بقية المواطن فكلما ذُكِر الحرف المقطوع ذُكِر القرآن عقبه، وهذا يؤيد هذا القول الَّذِي ذكرناه.

لله والقول الثَّانِي: أنها من المتشابه الَّذِي استأثر الله عَزَّ وَجَلَّ بعلمه.

ولذلك يقول بعض المفسرين: الله أعْلَمُ بمراده منها، وبعض المفسرين ذكروا أمورًا بعيدة، مثلًا قَالَ بعض أهل العِلم: نون يعني: والحوت، فمن أسهاء الحوت: نون، فيقولون: هذا قَسمٌ بالحوت لأنه أكبر المخلوقات في الأرض، وبعضهم ذكر شيئًا بعيدًا جدًا، قَالَوا: هذا قَسمٌ بحوتٍ مخصوص، وهو حوتٌ كبير تحت الأرض فُرِشَت عليه الأرض، لكن هذا القول بعيد وليس عليه دليل.

(وهو اسم جِنسٍ شامل للأقلام)؛ قيل إن هلاً اهو جِنس القلم، وإِذَا قيل جِنس القلم يعني: كل قلم، فهو قسَمٌ بكل قلم.

وقَالَ بعض أهل العِلم: بل هٰلَا قسَمٌ بقلمٍ مخصوص؛ وهو: القلم الَّذِي خلقه عَزَّ وَجَلَّ أَوْل ما خلق، وأمره أن يكتب المقادير، والأظهر: اَلْأَوَّلُ أنه جِنس القلم، وهٰلَذَا أَيُّهَا الإِخوة ينفي أن يكون

(00)

المقصود بأُمَةُ مُحَمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث قَالَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَحْنُ أُمَّةُ أُمِّيُّونَ»؛ ينفي أن يكون المقصود بالأُمَّيةُ هنا: أنها لا تعرف القراءة ولا الكتابة.

فالله عَزَّ وَجَلَّ أقسم بالقلم وأقسم بالمكتوب، وهاذَا يدل عَلَىٰ: أنها أُمَّةُ قراءة وكتابة، نعم نبينا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُميٌ لا يقرأ ولا يكتب وهو الوحيد في الدنيا الَّذِي يُمدَح بهاذَا؛ لأنه مع كونه لا يقرأ ولا يكتب جاء الناس بها أعجز جميع القُراء وجميع الكتبة، فلو اجتمع جميع الَّذِين يقرأون من أول ما خلق الله الناس إلى يوم القيامة، والَّذِين يكتبون ما جاءوا بمثل ما جاء به مُحَمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، فهاذَا إعجازٌ في حقه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم.

أمَّا الأُمَّة فليس المقصود بأميتها: أنها لا تقرأ ولا تكتب، بل الأُمَّة أُمَّةُ عِلم تقرأ وتكتب وتُعظِم شأن القلم، وتُعظِم شأن الكتاب، ولكن المقصود بالأُمية في الأُمَّة: أن دينها معلق بالأمور الظاهرة التي يدركها كل أحد، فنحن نصوم إِذَا رأينا الهلال ولم نؤمر بأن نصوم إِذَا وُلِد الهلال؛ لأن ولادة الهلال أمرٌ خفي تحتاج إِلَى عِلم مخصوص، لكن أُمِرنا أن نصوم إِذَا رأينا الهلال، وكل صاحب عينٍ يستطيع أمرٌ خفي الهلال.

فمواقيت الصلاة هي مُعلقَة بأمور ظاهرة، فالمقصود بأننا أُمَّةُ أُمية: أن ديننا ظاهر مُعلَق بأمورٍ ظاهرة، وليس المقصود: أننا لا نعرف القراءة والكتابة، بل ديننا دين عِلم والحمد لله.

(وَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ [القلم: ١])؛ (ما) هنا تحتمل أن تكون: مصدرية، فيكون القسَم: بالكتابة، وتحتمل أن تكون: موصولة، فيكون القسَم: بالمكتوب.

فَإِذَا كانت ما مصدرية؛ فيكون القسم: بالكتابة، وفي هلاً بيان شرف الكتابة، وإِذَا كانت ما موصولة؛ فيكون القسم: بالمكتوب.

(﴿ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ [القلم: ١])؛ يعني: ما يكتبون، لكن مَن هم الَّذِين يكتبون؟ قَالَ بعض أهل العِلم: هم الملائكة الكَتبَة الَّذِين العِلم: هم الملائكة الكَتبَة الَّذِين يكتبون أعمال العباد.

والظاهر والله أَعْلَمُ: شمول الآية لكل قلم، ولكل كاتبٍ، ولكل مكتوب، فيدخل في الآية كل قلم، ويدخل في الآية كل قلم، ويدخل في الآية كل مكتوب.

(حيث مْنَ عليه بالعقل الكامل، والرأي الجزل، والكلام الفصل، الَّذِي هو أحسن ما جَرت به الأقلام، وسطره الأنام، وهذا هو السعادة في الدنيا)؛ مع أنه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يقرأ ولا يكتب جاء الناس بأكمل ما يكون صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ [القلم: ٢])؛ يعني: يا رسولنا، و(ب) الباء هنا قيل سببية؛ أي: ما أنت بسبب نعمة ربك عليك بالعقل بمجنون.

وقيل متعلقة بحالٍ مُقدر؛ والمعنى: ما أنت بمجنونٍ فأنت بريءٌ من الجنون، حال كونك متلبسًا بنِعمَة النبوة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وقيل المعنى: ما أنت بها جئت به من الوحي بمجنون كها يتهمك الكفار.

المعلوم يا إخوة: أن الناس قبل بعثَة النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مكة كانوا يمدحون النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مكة كانوا يمدحون النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مدحًا عظيمًا، فلما بُعِث قَالُوا: إنك مجنون، إِذًا عَلَىٰ هلاَ القول يكون المعنى: ما أنت بما بُعِثت به بمجنون، بل أنت رَسُولُ اللهِ أرسلك الله إِلَىٰ العالمين.

(الماتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللّهُ: ثُمَّ ذَكَرَ سعادته في الآخرة، فَقَالَ: ﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونِ ﴾ [القلم: ٣]؛ أي: عظيمًا، كما يفيده التنكير غير مقطوع، بل هو دائمٌ مستمر، وذلك لما أسلفه النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأعمال الصالحة، والأخلاق الكاملة، ولهذا قَالَ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤] أي: عاليًا به، مستعليًا بخُلُقِك الَّذِي مْنَ الله عليك به.

وحاصل خلقه العظيم، ما فسرته به أم المؤمنين، عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لمن سألها عنه، فقالت: "كان خُلُقه القرآن"، وذلك نحو قوله تَعَالَىٰ له: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأُمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ وَالْعراف: ١٩٩]، ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ وَالْعراف: ١٩٩]، ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ وَالْعراف: ١٩٩]، ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ وَسُولٌ مِنْ وَالْعراف: ١٩٩]، ﴿ فَيِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللّهِ لِنْتَ لَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ وَسُولٌ مِنْ وَالْعرفُ مَنْ وَاللّهِ مَا عَنِتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وما أشبه ذلك من الآيات الدالات علىٰ اتصافه صلىٰ الله عليه وسلم بمكارم الأخلاق والآيات الحاثات عَلَىٰ الخلق العظيم.

(الشرح)

(﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ [القلم: ٣]؛ أي: عظيمًا، كما يفيده التنكير غير مقطوع، بل هو دائمٌ مستمر)؛ فمعنى غير ممنون أي: أنه غير مقطوع بل هو دائمٌ مستمر، ولا منقوص بل هو كاملٌ، وقيل يعنى: غير محسوب.

قَالَ العِلمَاء: "الشيء الَّذِي يُحسَب ينتهي، والشيء الَّذِي لا يُحسَب يُبارَك فيه"؛ يعني: إِذَا كان إِذَا كان الإنسان عطاءً بلا وزن؛ يعني: ليس في البيوع وغيرها فيُبارَك في هذَا العطاء، فالَّذِي يُحسَب ينقضي وينتهي، أَمَّا الَّذِي لا يُحسَب يُبارَك فيه، فقَالُوا غير ممنون يعني: غير محسوب، بل هو متتابعٌ مُبارَك.

(﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤] أي: عاليًا به، مستعليًا بخُلُقِك الَّذِي مْنَ الله عليك به)؛ يعني: إنك لعَلَىٰ خُلُقٍ علوت به عَلَىٰ جميع الناس، وَلا شَكَّ أَن الإنسان بخلقه الحسن يعلو عَلَىٰ غيره، وكلما حَسُن خُلُقِك كلما ارتفعت، فبالأخلاق يرتفع المؤمن عَلَىٰ غيره، وأكمل الناس أخلاقًا هو مُحَمَّدٌ صَلَىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو بهذَا الخلق علا عَلَىٰ غيره صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو بهذَا الخلق علا عَلَىٰ غيره صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقَالَ بعض السَلَف معنى هلْذَا يعني: وإنك لعَلَىٰ دينٍ عظيم، وسهاها الله خُلُقًا لأن الخُلُق من أعظم الدين، فالنَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ دينٍ عظيم، ومن عظمة دينه: أنه دينٌ يعتني بالأخلاق، وبُعِث النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو ذو الخُلُق العظيم، والداعي لكل خُلُقٍ عظيم، فهو عاملٌ مُعلِم، هو عامل بالخلق فهو صاحب الأخلاق الحسنة، وهو مُعلِمٌ للأخلاق صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فالنَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مطبوعٌ عَلَىٰ الطبع الكريم، ومتخلقٌ بالدين العظيم والأدب الرفيع، فطبعه سليم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ودينه عظيم، وخُلُقه رفيع صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(وحاصل خلقه العظيم، ما فسرته به أم المؤمنين، عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لمن سألها عنه، فقالت: "كان خُلُقه القرآن")؛ فإذَا أردت أن تكون عالي الأخلاق، سابقًا غيرك، ومقتديًا برسولك صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعليك بالقرآن؛ اهتدي بهديه، واستنِر بنوره، واعمل بها فيه تكن ذا خُلُقٍ عظيم مقتديًا برسولك صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولو أن الأُمَّة تدبرت القرآن وعَمِلَت بها في القرآن لفاقت الناس، ولظهر عِزُها، ولظهر خيرها، ولأرهب الله أعداءها منها، ولكننا للأسف وصلنا إِلَىٰ درجةٍ لا يكاد المسلم يقرأ فيها القرآن، بل إِذَا



سمع المؤمن القرآن يُقرأ في بيت جيرانه يظن أن عندهم ميت، وَهلاَ امن تقصيرنًا، فيا عبد الله إِذا أُدرت أن تكون من خيار خلق الله فعليك بكتاب الله، أجعله صديقك وأنيسك، وأجعل له خير وقتك، فاقرأ وتدبر، واهتدي واعمل تكن من المُقلحين.

(وذلك نحو قوله تَعَالَىٰ له: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأُمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩])؛ هلذَا مِثالٌ عن خُلُق النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من القرآن، خذ العفو فاقبل من الناس ما يستطيعون، ولا تكلِفهم ما لا يطيقون.

وأكثر مشاكل الناس: أن يتطلب الإنسان من غيره ما لا يستطيعه؛ فيتطلب الأب من ابنه ما لا يستطيعه الابن، ويتطلب الزوج من زوجها ما لا تستطيعه الزوجة، وتتطلب الزوجة من زوجها ما لا يستطيعه الزوج، وهلذا في الحقيقة يؤدي إلى نكد الحياة، وتنغيص العيش، لكن لو أن الإنسان أخذ العفو فرضى بها يمكن فإنه يعيش سعيدًا، ويُسعِد مَن حوله من الناس.

✓ والعُرف: هو كل أمرٍ حسنٍ جاء به النَّصّ، أوْ تعارفه المسلمون، وكان لا يخالف شرع الله.
 ولا تكن جاهلًا، ولا تكن مع الجاهلين، فتكن من المُفلحين.

(﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللّهِ لِنْتَ لَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٩])؛ ما أعظم هذا الخُلُق وما أحوجنا إِلَىٰ أن نتعلمه، فهي رحمةٌ جعلها الله في قلبك فلنت لهم، واللين والرفق من غير ترك للحق طريق جمع قلوب الناس.

فَإِذَا أردت أن تجمع أو لادك في بيتك فكن لينًا معهم، لكن من غير تفريطٍ في الحق، إِذَا أردت السعادة في بيتك فكن لينًا مع زوجتك لكن من غير تفريطٍ في الحق، وإِذَا أردت أن تكون مجبوبًا مِمَن حولك لينًا معهم، إِذًا كان الله يقول لنبيه صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولو كنت فظًا غليظ القلب وفظ القول قاسي القلب لانفضوا من حولك، فهو خُلُقٍ عظيم من أخلاق النَّبِيِّ صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي جاء بها القرآن.

(﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَعُوفُ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨])؛ وهلاه صفة الأكارِم؛ أن يشق عليك ما يشق عَلَىٰ أهلك، وأن يشق عليك

ما يشُق عَلَىٰ إخوانك، فأن تكون حريصًا عَلَىٰ مَن حولك ترأف بهم وترحمهم هذِه صفة الأكارم، وكل ما يَشُق عَلَىٰ إخوانك، فأن تكون حريصًا عَلَىٰ مَن حولك ترأف بهم وترحمهم هذِه صفة الأكارم، وكل ما تخلقت بهذِه الخليقة كلما تقربت من نبيك صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصفًا في الدنيا ومجلسًا في الآخرة.

وأي شرفٍ أعظم من أن تكون قريبًا من مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فوالله لا شرف في الدنيا يوازي هلذَا، فتكون قريبًا من النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصفًا، وتكون قريبًا من النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصفًا، وتكون قريبًا من النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِعلسًا يوم القيامة، فإنه كلما حَسُن خُلُق المسلم كلما كان أقرب مجلسًا إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة.

ألا يستحق هذا أن نُجاهد أنفسنا في الأخلاق الحسنة، وأن نصبر أنفسنا، وأن نربي أنفسنا عَلَى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأقرب الناس إِلَى النَّبِيّ صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأقرب الناس إِلَى النَّبِيّ صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصفًا ألا يستحق صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصفًا ألا يستحق هلاً النه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والله يستحق، في أحوجنا يا إخوة إِلَىٰ أن ننشر هله الفضيلة بين أهلينا؛ فضيلة: التخلق بأخلاق النَّبيّ صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَلَىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(الماتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللّهُ: فكان له منها أكملها وأجلها، وهو في كل خصلة منها، في الذروة العليا، فكان صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سهلا لينا، قريبًا من الناس، مجيبًا لدعوة من دعاه، قاضيًا لحاجة من استقضاه، جابرًا لقلب من سأله، لا يحرمه، ولا يرده خائبًا، وإذا أراد أصحابه منه أمرًا وافقهم عليه، وتابعهم فيه إذا لم يكن فيه محذور، وإن عزم عَلَىٰ أمر لم يستبد به دونهم، بل يشاورهم ويؤامرهم، وكان يقبل من محسنهم، ويعفو عن مسيئهم، ولم يكن يعاشر جليسًا له إلّا أتم عشرة وأحسنها، فكان لا يعبس في وجهه، ولا يُغلِظ عليه في مقاله، ولا يطوي عنه بشره، ولا يمسك عليه فلتات لسانه، ولا يؤاخذه بما يصدر منه من جفوة، بل يحسن إلَىٰ عشيره غاية الإحسان، ويحتمله غاية الاحتمال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(الشرح)

(وإذا أراد أصحابه منه أمرًا وافقهم عليه، وتابعهم فيه إذا لم يكن فيه محذور)؛ نعم حَتَّىٰ مع أهله، فكان النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلًا سهلًا إذا هويت زوجته شيئًا وافقها ما لم يكن مُحرمًا، فكان صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أسهل الناس وألين الناس صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



فائدة تربوية يذكرها العِلماء بناءً على هذا فيقولون: إِذَا أردت أن تُطاع فيها تأمر فكن لَينًا فيها ليس بمُحرَم.

إِذَا أردت أن تُطاع في بيتك إِذَا أمرت: فكن لينًا مع أهلك فيها ليس بحرام، فإن طُلِب منك وأنت قادر عليه أجب، حَتَّىٰ إِذَا أمرت أُجِبتَ، وما أحوجنا إِلَىٰ هلذَا.

(ولا يُمسِك عليه فلتات لسانه)؛ الإنسان إِذَا تكلم قد تسبق كلمة، فالكريم العاقل يتغاضى كأنه ما سمع، ولا ينقل ما حصل في المجلس من فلتات اللسان، ولا يتأثر هو كأنه ما سمع شيئًا، ولا ينقل فلتات لسان جليسه، ولا سيما مَن يُعلَم أنه لا يقصد هذا الكلام، لكنها فلتة وغلطة وسقطة أحيانًا، وهذا من أحسن الأخلاق وأكمل الأخلاق.

(الماتن)

قَالَ: فلما أنزله الله في أعلى المنازل من جميع الوجوه، وكان أعداؤه ينسبون إليه أنه مجنون مفتون قَالَ: ﴿ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۞ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ ﴾ [القلم: ٥-٦]، وقد تبين أنه أهدى الناس، وأكملهم لنفسه ولغيره، وأن أعداءه أضل الناس، وشر الناس للناس، وأنهم هم الله فين فتنوا عباد الله، وأضلوهم عن سبيله، وكفى بعلم الله بذلك، فإنه هو المحاسب المجازي.

﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥]، وَهٰذَا فيه تهديدٌ للضالين، ووعدٌ للمهتدين، وبيان لحكمة الله، حيث كان يهدي من يصلح للهداية، دون غيره.

(الشرح)

(﴿ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۞ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ ﴾ [القلم: ٥-٦])؛ فترون رأي العين، بأي المفتون يعنى: أيكم المصاب بالجنون.

 (TI)

وقالَ بعض أهل العِلم: الباء هنا بمعنى: في، والمعنى فستبصر ويبصرون في أيكم الشيطان الَّذِي يؤدي إِلَىٰ الجنون.

وقَالَ بعض أهل العِلم: الباء زائدة.

وانتبهوا يا إخوة إِذَا قَالَ العِلماء: هلاً ازائلًا في القرآن، فليس المقصود: أنه زائد من جهة المعنى، فليس في القرآن شيء زائد، وإِنَّمَا المقصود: من جهة الإعراب اللغوي، أَمَّا من حيث المعنى فليس في القرآن شيءٌ زائد.

(وقد تبين أنه أهدى الناس، وأكملهم لنفسه ولغيره، وأن أعداءه أضل الناس، وشر الناس للناس، وأنهم هم الله عن البينات من هو في للناس، وأنهم هم الله عن فتنوا عباد الله، وأضلوهم عن سبيله)؛ نعم ظهر بالآيات البينات من هو في ضلال، ومَن هو مفتون، ومَن هو مفتون، ومَن هو مهتدي، ويكفي ما أخبر الله عَزَّ وَجَلَّ به وهو الأعلم بعباده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥])؛ أي: انحرف عن صراطه المستقيم؛ إن ربك هو أعلم بمَن انحرف عن صراطه المستقيم.

(الماتن)

قَالَ: يقول الله تَعَالَىٰ، لنبيه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [القلم: ٨] الَّذِينَ كذبوك وعاندوا الحق، فإنهم ليسوا أهلًا لأن يُطاعوا، لأنهم لا يأمرون إلَّا بما يوافق أهواءهم، وهم لا يريدون إلا الباطل، فالمطيع لهم مُقدِمٌ عَلَىٰ ما يضره، وَهٰذَا عام في كل مكذب، وفي كل طاعة ناشئة عن التكذيب، وإن كان السياق في شيء خاص، وهو أن المشركين طلبوا من النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، أن يسكت عن عيب آلهتهم ودينهم، ويسكتوا عنه.

ولهذا قَالَ: ﴿ وَدُّوا ﴾ [القلم: ٩] أي: المشركون، ﴿ لَوْ تُدْهِنُ ﴾ [القلم: ٩] أي: توافقهم عَلَىٰ بعض ما هم عليه، إِمَّا بالقول، أَوْ الفعل، أَوْ بالسكوت عما يتعين الكلام فيه، ﴿ فَيُدْهِنُونَ ﴾ [القلم: ٩]، ولكن اصدع بأمر الله، وأظهر دين الإسلام، فإن تمام إظهاره، بنقض ما يضاده، وعيب ما يناقضه.

(الشرح)

(﴿ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [القلم: ٨] اللَّذِينَ كذبوك وعاندوا الحق، فإنهم ليسوا أهلًا لأن يُطاعوا)؛ وكذا كل مَن عُرِف بالكذب، فلا تصاحب كذابًا ولا تُجالِس كذابًا، ولا تُطِع كذابًا، فوالله لا خير في

(TT)

الكذاب، مَن عُرِف بكثرة الكذب أحذره فلا تجالسه، ولا تصاحبه، ولا تُطِعه إن أمرك، فلن يأمرك كذابٌ بخيرٍ، ولن يشير كذابٌ بأمرٍ فيه رُشد، والكذاب -كَمَا قُلْنَا-: هو مَن يُعرَف بكثرة الكذب.

ولذلك يا إخوة النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إِذَا علِم عن أحدٍ كذبة سقط من عينه حَتَّىٰ يُحدِث منها توبة صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(﴿ وَدُّوا ﴾ [القلم: ٩] أي: المشركون)؛ أي: تمنوا، وأحبوا.

(﴿ لَوْ تُدْهِنُ ﴾ [القلم: ٩])؛ أي: تلين لهم وتوافقهم في آلهتهم، مأخوذٌ من الدُهن، والدُهن يا إخوة هو: الزيت، والزيت إِذَا وُضع عَلَىٰ الأشياء فإنه يُلينها، فودوا لو أنك تلين لهم وتوافقهم عَلَىٰ ما يقولون.

(﴿ فَيُدْهِنُونَ ﴾ [القلم: ٩])؛ معناها: فيلينون لك، وقيل: ودوا لو تلين لهم فتوافقهم عَلَىٰ بعض كُفرِهم، فإذا وافقتهم عَلَىٰ بعض كفرهم تمادوا في الكُفر، ما دام أنك أطعتهم في نوعٍ من الكُفر فإنه يعطيهم عذرًا فيتهادون في كفرهم.

وقَالَ بعض أهل العِلم: ودوا لو أنك تُطيعهم في عبادة آلهتهم بعض الوقت، وهم يطيعونك في عبادة الله بعض الوقت؛ يعني: -وَالعِيَاذُ باللهِ- يريدون أن يكون مثلًا في شهر تُعبَد الأصنام والنّبِيّ صَلّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، لِمَاذَا؟ لأن صَلّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ معهم حاشاه، وفي شهرٍ يعبدون الله مع النّبِيّ صَلّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، لِمَاذَا؟ لأن دينهم هوى؛ أمّا صاحب الحق ما يترك الحق، أمّا صاحب الهواء يمكن أن يتركه ويرجع إلى غيره ثُمَّ يرجع وهكذا يتقلب، أمّا صاحب الحق فهو ثابت عَلىٰ صراطٍ مستقيم.

(الماتن)

قَالَ: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ﴾ [القلم: ١٠] أي: كثير الحلف، فإنه لا يكون كذلك إلَّا وهو كذاب، ولا يكون كذابًا إِلَّا وهو ﴿ مَهِينٍ ﴾ [القلم: ١٠] أي: خسيس النفس، ناقص الهمة، ليس له همة في الخير، بل إرادته في شهوات نفسه الخسيسة.

﴿ هَمَّانِ ﴾ [القلم: ١١] أي: كثير العيب للناس والطعن فيهم بالغيبة والاستهزاء، وغير ذلك.

﴿ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ [القلم: ١١] أي: يمشي بين الناس بالنميمة، وهي: نقل كلام بعض الناس لبعض، لقصد الإفساد بينهم، وإلقاء العداوة والبغضاء.

(الشرح)

(﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ ﴾ [القلم: ١٠])؛ أي كثير الحلف في الحق والباطل، وهذَا الْثَانِي، اَلْأُوَّلُ: الكذاب، فاحذر الكذاب لا تجالسه ولا تسمع له ولا تجالسه، وَالثَّانِي: الحلاف كثير الحلِف؛ لأن كثرة الحلِف لا تكون إِلَّا عن كذِب، فهو يكذب ويشعر أن الناس لا تصدقه.

ولذلك يحلف بدون أن يُطلَب منه، فكلما قَالَ شيئًا قَالَ والله، لِماذَا؟ لأنه يعرف أنه يكذب، ويشعر أن الناس لا يصدقونه، فكثرة الحلِف علامةٌ عَلَىٰ الكذِب، كما أنها علامةٍ عَلَىٰ قلة الورع، ولذلك لا تسمع لحلافٍ، الَّذِي يُعرَف بكثرة الحلِف انتبه لكلامه لا تنقل عنه، ولا تسمع منه.

(﴿ مَهِينٍ ﴾ [القلم: ١٠])؛ فمعنى مهين: حقيرٌ، وقيل كذاب، وقيل: مِكثارٌ من الشر، فكثير الحلِف حقيرٌ في نفسه، وكذابٌ في قوله حقيرٌ في نفسه، وكذابٌ في قوله في الغالب، وكثير الشر، ولذلك لا تُطِع كل حلاف.

(هُمَّارٍ) [القلم: ١١] أي: كثير العيب للناس والطعن فيهم بالغيبة والاستهزاء، وغير ذلك)؛ يطعن في الناس همزًا بالإشارة ونحوها، فإذا رأى إنسانًا يسير وهو قصير قَالَ: كذا، أَوْ بغير ذلك من الإشارات أَوْ بالغيبة، فمَن عُرِف بكثرة هلاً فلا خير فيه، فلا تُجالِس الهاز، ولا تسمع له، فإن هلاه ليست من صفات الأخيار.

(﴿ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ [القلم: ١١])؛ هلّه النَّمِيْمَة: أن يمشي الإنسان وينقل الكلام بين الناس من أجل أن يُفسِد بينهم، الحظوا يا إخوة أن الله قدم الهماز عَلَىٰ المشاء بنميم، قَالُوا: أن الهماز يكون في المجلس جالس يهمز ويغتاب وهو في المجلس، والنهام لَا بُدَّ أن يمشي فهو متحرك، والحركة بعد القعود، أَوْلاً: الجلوس في المجلس ثُمَّ المشي، فقدم الهماز عَلَىٰ النهام.

(الماتن)

قَالَ: ﴿ مَنَّاعِ لِلْحَيْرِ ﴾ [القلم: ١٢] الَّذِي يلزمه القيام به من النفقات الواجبة والكفارات والزكوات وغير ذلك، ﴿ مُعْتَدٍ ﴾ [القلم: ١٢] على الخلق في ظلمهم، في الدماء والأموال والأعراض، ﴿ أَثِيمٍ ﴾ وغير ذلك، ﴿ مُعْتَدٍ ﴾ [القلم: ١٢] على المتعلقة في حق الله تَعَالَىٰ.

وَنِيمٍ القلم: ١٣] أي: عليه أصل ولا مادة ينتج منها الخير، بل أخلاقه أقبح الأخلاق، ولا يُرجى منه فلاح، له زنمة أي: علامة في الشر، يُعرَف بها.

وحاصل هٰذَا أن الله تعالى نهى عن طاعة كل حلاف كذاب، خسيس النفس، سيئ الأخلاق، خصوصًا الأخلاق المتضمنة للإعجاب بالنفس، والتكبر عَلَىٰ الحق وعَلَىٰ الخلق، والاحتقار للناس، كالغيبة والنميمة، والطعن فيهم، وكثرة المعاصى.

(الشرح)

(﴿ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ ﴾ [القلم: ١٢])؛ أي: أنه كثير المنع للخير: الحسي، والمعنوي، فيمنع المال وما يتصدق، ويمنع الخير إِذَا رأى ابنه، أَوْ أخاه، أَوْ جاره قد استقام عَلَىٰ دين الله غضب ونهاه، وقَالَ: أنت متشدد لِماذَا تُعفي لحيتك؟ لِماذَا تُقصِر ثوبك إِلَىٰ الكعب، فيمنع الخير حِسًا أَوْ معنى، والَّذِي لا يُقرِبُك من الخير لا فائدة من مجالسته بل مجالسته شر.

فلا تُطِع من عُرِف بمنع الخير، ومَن عُرِف بالبخل، ومَن عُرِف بمعاداة الدعوة الصحيحة، ومَن عُرِف بمعاداة السُّنَّة لا تُطِعه فإنه لا يأتيك بخير.

(الَّذِي يلزمه القيام به من النفقات الواجبة والكفارات والزكوات وغير ذلك)؛ والراجح والصواب: أن هلاً يشمل كل منع خير سواء كان في المال أَوْ غير المال.

(القلم: ١٢])؛ نعم فالَّذِي عُرِف بالعدوان عَلَىٰ خلق الله وبالجرأة عَلَىٰ محارم الله أحذره، فلا تُجالِسه، ولا تسمع له، ولا تُطِعه.

(له زنمة أي: علامة في الشر، يُعرَف بها)؛ وأصل الزنمة: الأمران المتدليان من حَلقِ الشاه، أحيانًا يكون هناك شيئان متدليان من حلقِ الشاة وليس في جميع الغنم، وإنَّمَا في بعضها فتُعرَف بها علامة، وكل هله عليه يا إخوة أخلاقٌ مذمومة، وهي صفاتٌ يجب الحذر من أهلها وعدم مجالستهم.

 (الماتن)

قَالَ: وَهٰذِه الآيات وإن كانت نزلت في بعض المشركين، كالوليد بن المغيرة أَوْ غيره لقوله عنه: وأَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿ إِذَا تُتُكَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأُوّلِينَ ﴾ [القلم: ١٤-١٥] أي: لأجل كثرة ماله وولده، طغى واستكبر عن الحق، ودفعه حين جاءه، وجعله من جملة أساطير الأولين، الَّتِي يمكن صدقها وكذبها، فإنها عامةٌ في كل مَن اتصف بهذا الوصف؛ لأن القرآن نزل لهداية الخلق كلهم، ويدخل فيه أول الأُمَّة وآخرهم، وربما نزل بعض الآيات في سببٍ أَوْ في شخص من الأشخاص، لتتضح به القاعدة العامة، ويعرف به أمثال الجزئيات الداخلة في القضايا العامة.

﴿ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴾ [القلم: ١٦] ثُمَّ توعد تَعَالَىٰ من جرى منه ما وصف الله، بأن الله سيسمه عَلَىٰ خرطومه في العذاب، وليعذبه عذابًا ظاهرًا، يكون عليه سمة وعلامة، في أشق الأشياء عليه، وهو وجهه.

(الشرح)

و سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ القلم: ١٦]؛ سنضع علامةً عَلَى وجهه، وهانِه العلامة بعض أهل العِلم قَالَ: حسية؛ فسيُضرَب بالسيف عَلَىٰ وجهه فتكون هانِه علامة، وبعض العِلم قَالَ: معنوية؛ فيعرف الناس أنه كذاب، ويوم القيامة يسود وجهه حيث تسود وجوه أهل الشر، وتبيض وجوه أهل الخير، وَالسُّنَة.

وَالْخُرُطُومِ ﴾ [القلم: ١٦]؛ الخرطوم أصله: الأنف، ويُطلَق عَلَىٰ الوجه، والمقصود: سنفضحه في الدنيا والآخرة.

بهذا نكون انتهينا من الكلام عن المقطع اَلْأُوَّلُ، وغدًا إن شاء الله في مثل هذا الوقت نأخذ المقطع الثَّانِي وَالَّذِي يليه ونفسر ها إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

الأسئلة

السؤال: امرأة جاءتها الدورة ومرت بالميقات ولم تُحرِم وهي الآن في مكة، فإذا طَهْرَت مَاذَا تفعل؟ الجواب: نقول: إن كانت عند مرورها بالميقات مريدةً للعمرة غير أن الحيض جاءها فلم تنوي، فإذَا طَهْرَت يجب عليها أن ترجع إلى الميقات الَّذِي مرت به أَوْ إِلَىٰ أبعد منه وتُحرِم.

أمَّا إِذَا كانت عندما مرت بالميقات لم تنوي العمرة بمعنى: هي تعرف أن حيضها سبعة أيام، وأن رفقتها سيغادرون مكة بعد ستة أيام، فقالَت: ما أستطيع أعتمر خلاص سأذهب معهم وأبقى في الفندق وأسافر معهم فلا أريد العمرة، ثُمَّ عندما وصلت مكة بعد خمس أيام طَهُرَت وذهب الحيض وأرادت أن تعتمر نقول: تخرج إِلَى التنعيم، أَوْ إِلَى أي حِلٍ وتُحرِم منه؛ لأنها عندما مرت بالميقات ما كانت تريد العمرة فلا يلزمها أن ترجع إِلَى الميقات.

طيب لو أنها نوت من الميقات ثُمَّ طَهُرَت نقول: ما تحتاج إِلَىٰ شيء مباشرةً تذهب إِلَىٰ الكعبة، فها يحتاج أن تخرج إِلَىٰ الحِل كها يظن العوام، فالحائض إِذَا نوت من الميقات العمرة وبقيت مُحرِمَة إِلَىٰ أن طَهُرَت فَإِذَا طَهُرَت تغتسل في الفندق وتنزل إِلَىٰ الكعبة ما يحتاج تخرج إِلَىٰ الحِل.

السؤال: يقول مَن وصل إِلَى مكة في هلاه الليالي المباركة هل يشتغل بصلاة القيام، أم يعتمر؟ الجواب: أظن أن السائل يقصد: إِذَا وصلت في الليل مُحرِمًا فهل أشتغل بالعمرة، أم اشتغل بالقيام إِلَى طلوع الفجر وبعد الفجر آتي بالعمرة.

أَوْلًا: يجب أن تعلم يا أخي أنه لا يلزمك أن تعتمر فور وصولك فلك أن تذهب إِلَىٰ الفندق وتنام، ولك أن تصلى مع الإمام لك أن تفعل ما تشاء، وإن كانت السُّنَّة المبادرة.

فبعض الناس يشق عَلَىٰ نفسه يصل إِلَىٰ مكة في غاية التعب وفي غاية النُعاس فيقول: لا لَا بُدَّ أن اعتمر ويذهب وربها أضاع حَتَّىٰ عدد أشواط الطواف من النُعاس فها يستفيد شيئًا، فلا يا أخي ما يلزم تعبان أذهب إِلَىٰ الفندق ونام بإحرامك وَمَتَىٰ ما نشطت تذهب إِلَىٰ الكعبة وتأتي بالعمرة.

وإِذَا وصلت إِلَىٰ المسجد الحرام وهم يصلون أن تصلي معهم القيام صلي، وهلذَا أمر حسن وفيه جمع بين الحُسنيين؛ تصلي مع الإمام حَتَّىٰ ينصرف ثُمَّ تؤدي عمرتك بعد ذلك، ولو أنك اشتغلت بالعمرة ما فيه بأس، ولكن يجب أن نعلم أن الأمر واسع، وإِذَا متعت نفسك بكثير من الخير فهلذَا خيرٌ ونور، فكونك تصلى مع الإمام ثُمَّ العمرة هلذَا خيرٌ عظيم.

نعم أحسن إليكم هذا يقول إِذَا كذب الرجل عَلَىٰ زوجته وقالَت له أحلف هل يجوز له أن يُحلف؟ أَوْلًا: ما أباحه الشارع إِنَّمَا أباحه لحِكمَة فلا ينبغي للإنسان أن يضيع تلك الحِكمَة، فالشارع أباح المعاريض ليدفع الإنسان عن نفسه الحرج، ما هي المعاريض؟ أن يقول كلمة يسمعها السامع فيفهمها عَلَىٰ شيء وهو يريد شيئًا آخر.

يعني: جاءني رجل إِلَىٰ البيت وهو مثلًا كثير الغيبة، فيا أريد أن أراه أَوْ كثير الكلام وأنا مُتعَب، وإِذَا نزلت إليه يأخذ ساعة يتكلم، فأقول للولد قل له: أبي راقد، هو يفهم راقد يعني نائم، وأنا أقصد براقد: مضطجع عَلَىٰ الفراش، فَهلِزه المعاريض هي ممدوحة عن الكذب، لكن لا يجب أن نستعملها كثيرًا لأن إذا استعملناها كثيرًا سقطت الثقة فينا.

كذلك الكذب عَلَىٰ الزوجة كذب الزوجة عَلَىٰ الزوج أباحه الشرع لتطيب الحياة لا لتضيع الحقوق، انتبهوا يا إخوة يقول العِلماء: "الكذب عَلَىٰ الزوجة جائزٌ في غير الحقوق"، أمَّا الحقوق ما يجوز فيها الكذب يعطيها حقها، لكن يكذب عليها بها تطيب به الحياة، لكن يا إخوة لا ينبغي للزوج ولا للزوجة الإكثار من هلذًا؛ لأنه إذًا أكثر من هلذًا ذهبت فائدته.

ويمكن للزوج أن يحلف معرضًا؛ هي مثلًا: لا تحب منه أن يكلم زيدًا من الناس وإذا عرفت أنه يكلمه أو كلمه بالهاتف تزعل، فلو جاءت و قالَت: أنت تكلم فلان؟ قالَ: لا أنا أكلم أخي، قالَت: احلف، قالَ: والله كنت أكلم أخي وهو يقصد في الله، وهي تفهم أخوه الَّذِي ترضى أن يكلمه، وأعود وأقول يا إخوة: ينبغى أن نستعمل المباح فيها يحقق المقصود.

السؤال: يقول قائل: توفي صديق لي فهل يصح أن أعمل عمرة عنه؟

الجواب: أَوْلًا يا إخوة دائمًا: أُرشد إِلَىٰ هلذَا؛ إِذَا ذكرت ميتًا فقل رَحِمَهُ اللَّهُ، عود نفسك عَلَىٰ أن تقول رَحِمَهُ اللَّهُ تنفعه بهذِه الدعوة، والسامع يقول: أمين فتنفعه بذلك، هلذَا أَوْلًا.

ثانيًا: الميت الَّذِي مات عَلَىٰ الإسلام يجوز لك أن تعتمر عنه ولو لم يكن قريبًا لك، بشرط: أن تكون قد اعتمرت عن نفسك، ولا تحتاج أن تستأذن أحدًا؛ فما يحتاج أن تستأذن أهله فيجوز أن تنوي العمرة عنه وتعتمر عنه، ما دام أنه مات عَلَىٰ الإسلام، ولو لم يكن قريبًا ولو لم يكن صديقًا.

يعني: لو سمعت عن مسلم كان يعمل أعمالًا حسنة وطيبة ومات وأردت أن تبره بعمرة يجوز وتعتمر عنه، بشرط: أن تكون قد اعتمرت عن نفسك.

السؤال: هلنه امرأة تقول هل للمرأة أن تقرأ القرآن حال حيضها؟

الجواب: المرأة لا يجوز لها أن تمس المصحف حال حيضها، ويجوز لها أن تقرأ من حفظها عَلَى الراجح، فتقرأ القرآن غيبًا أَوْ تستمع القرآن، وإِذَا احتاجت أن تقرأ من المصحف فإنها تقرأ بالنظر من غير مس، واليوم الجوال حل هذه المشكلة؛ لأن مس المرأة الحائض للجوال ليس مسًا للمصحف وإن كان فيه المصحف، فيمكن أن تُمسِك المصحف وتقرأ في الجوال، أَوْ إِذَا كان المصحف فإنها تقرأ بالنظر، لكنها لا تمس المصحف وَإِنَّمَا تقلبه بالقلم مثلًا من غير مس للمصحف.

أسأل الله أن يفقهنا في دينه، وأن ينفعنا بالعِلم، والله تَعَالَىٰ أَعَلَىٰ وأعلم. وَسَلَّمَ اللهُ عَلَى نَبِيبِنا وَسَلَّمَ.





بِبْسَــِمِٱللَّهِٱلرَّحْمَٰزِٱلرَّحِيبِ

الحَمْدُ اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأَتمان الأَكملان عَلَىٰ المبعوث رحمةً للعالمين، وعَلَىٰ آله وصحبه أَجْمَعِيْنَ.

أَمَّا بعد؛

فإننا نحمد الله عَزَّ وَجَلَّ أن جمع لنا شرف المكان؛ حيث نجتمع في مسجد رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وشرف الزمان؛ حيث نجتمع في شهر رمضان في العشر الأواخر منه، في عصر يوم الجمعة نورٌ عَلَىٰ نور، وشرف العمل حيث نجتمع في مسجد رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذَا الزمان الفاضل لنتدبر القرآن، ولنعرف معاني آيات ربنا سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ، وذاك فضلٌ من الله عظيم، وخيرٌ عميم.

أَيُّهَا الإخوة في هذِه الساعة تجتمع لكم أمورٌ عظيمة يُرجى معها إجابة دعائكم، فأنتم صائمون أعظم صيام وهو: الفريضة، والصائم له دعوةٌ لا تُرَد، وأنتم جالسون في حلقة ذِكرٍ في مسجد رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتتهيأ لكم ثلاثة أسباب لإجابة الْدُعَاء:

- **اَوْلها:** أنكم في مجلسٍ تحضره الملائكة، ويستجيب الله دعاء أهله.
- و و انبها: أن مَن فعل مثل فعلكم تُخلِصًا لله عَزَّ وَجَلَّ يكون له كأجر الحاج الَّذِي تم حجُه، والحج من مواطن إجابة الْدُّعَاء.
- ع وثالثها: أن مَن أتى مسجد النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليتعلم الخير أَوْ يُعلِم الخير كان كالمُجاهِد في سبيل الله، والمُجاهِد في سبيل الله يُجاب دعاؤه.

إِذًا هَلَاهُ ثَلاثَة أسباب تتعلق بالمجلس، وسببٌ يتعلق بالحال: وهو: أنكم صائمون، وسببٌ يتعلق بالزمان؛ وهو: أن هلِّه آخر ساعةٍ من يوم الجمعة، وفي يوم ساعةٍ لا يوافقها عبدٌ مسلمٌ قائمٌ يصلي يسأل الله شيئًا إِلَّا أعطاه إياه، فمن صلى العصر وجلس في المسجد فهو كالقانت القائم الَّذِي يصلي،



وهاذِه الساعة هي أرجى ساعات يوم الجمعة لتلك الساعة عَلَىٰ ما جاء في الأدلة، وفي كلام السَلَف الصالح رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهم.

فَأُوْصِي نَفْسِي وَإِخُوانِي: بالإكثار من الصلاة عَلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وكثرة الدعاء العام والخاص في هلذا الوقت، اللهم يا ربنا يا حي يا قيوم يا بديع السَّمُوات والأرض نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العُلا أن تصلي عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّد، اللهم صلي عليه وسلم، اللهم صلي عليه وسلم، اللهم الرزقنا العفو اللهم ارزقنا العفو والعافية، اللهم ارزقنا العفو والعافية، اللهم ارزقنا العفو والعافية، اللهم إنك عفوٌ تحب العفو فاعف عنا، اللهم إنك عفوٌ تحب العفو فاعف عنا.

اللهم اغفر لنا، وارحمنا، وعافنا، واهدنا، وارزقنا، ويسر الخيريا رب العالمين، اللهم إننا نسألك من اللهم اغفر لنا، وارحمنا، ما علِمنا منه وما لم نعلم، ونعوذ بك من الشركله عاجله وآجله ما علِمنا منه وما لم نعلم، اللهم يا ربي نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العَلَىٰ: أن تهدي المسلمين إلى ما تحب وترضى.

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، اللهم مَن علمته مهمومًا من المسلمين ففرج همه يا رب العالمين، اللهم من علمته مدينًا من المسلمين اللهم فاقضي الدين عنه يا رب العالمين، اللهم من علمته مريضًا من المسلمين أوْ علمت له مريضًا من المسلمين اللهم فاشفه، واشفي مريضه يا رب العالمين شفاءً عاجلًا لا يُغادر سُقيًا.

اللهم يا ربنا يا حي يا قيوم مَن علمته منا مقيمًا عَلَىٰ طاعة اللهم فثبته عليها، وتقبلها منه، وزده خيرًا إِلَىٰ خيره، ومَن علمتهم منا مقيمًا عَلَىٰ معصية اللهم فكره فيها اللهم فكره فيها، وارزقه توبةً صادقةً منها يا رب العالمين، اللهم يا ربنا أرنا في أعدائك اللهيميا ربنا أرنا عجائب قدرتك يا رب العالمين، اللهم يا ربنا أرنا فيهم عجائب قدرتك، اللهم يا ربنا أرنا عجائب قدرتك.

اللهم أطفئ الفِتن في ديار المسلمين، اللهم أطفئ الفتن في ديار المسلمين، اللهم اكسر البِدَع يا رب العالمين، اللهم أقِم سُنَة نبيك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ديار المسلمين، اللهم يا ربنا أرنا في أنفسنا وفي أهلينا وفي أمتنا خيرًا يا رب العالمين، اللهم اغفر لنا، ولوالدينا ولأهلينا، ولذرياتنا، ولأحبابنا، وللمسلمين والمسلمين والمسلم



معاشر الإخوة نواصل تفسيرنا لسورة: القلم، حيث تقدم تفسير المقطع اَلْأُوَّلُ من هلِّه السورة، ونشرع اليوم إِنْ شَاءَ اللهُ في تفسير المقطع الْتَّانِي فيتفضل الابن نور الدين وفقه الله والسامعين يقرأ لنا.

(المتن)

﴿إِنَّا بَلُوْنَاهُمْ كَمَا بَلُوْنَا أَصْحَابَ الْجُنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ۞ وَلَا يَسْتَغْنُونَ ۞ فَطَافَ عَلَيْهَا طَابِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَابِمُونَ ۞ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ۞ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ۞ أَنِ الْعُدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ ۞ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ۞ أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينً ۞ وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قادِرِينَ ۞ فَلَمَّا رَأُوهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ۞ بَلْ خَنُ مَحْرُومُونَ ۞ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ۞ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا طَالِمِينَ ۞ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضِهُمْ مَنْ يَتَعَلَاوَمُونَ ۞ قَالُوا يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ۞ عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا عَلَى وَلِينَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا عَلَى مَنْ يَتَكُومُونَ ۞ قَالُوا يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ۞ عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا وَلَا يُعْمُونَ ۞ قَالُوا يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنّا طَاغِينَ ۞ عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا وَلَا مُنُولُونَ ۞ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَحْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۞ وَالْفَامِ الْمُ كَنَا عَلَامِونَ ۞ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَحْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۞ وَلَعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَحْبُولُ وَلَانُوا يَعْلَمُونَ ۞ وَلَعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَحْبَهُ لَوْكَا وَالْمُوا يَعْلَمُونَ ۞ وَلَعَذَابُ وَلَعَذَابُ وَلَا يَعْلَمُ وَلَا وَالْمُعْتَالَ عَلَى الْعَذَابُ وَلَا وَالْمَا عَلَامُونَ ﴾ وَلَعْمُونَ هَا إِلَالْمَا يَعْلَمُونَ ۞ وَلَعْمُونَ ۞ وَلَعْذَابُ وَلَا وَالْمَا يَعْلَمُونَ ﴾ والسَامِ المُعْتَا وَلَا عَلَيْكُولُ وَلَا فَالْمُا إِلَا الْمَالِمَ عَلَى الْمَالِمُ الْمَالِمُ الْمُعْلَى الْمُعْلِقِهُمْ الْمَالِمُ الْمُؤْلِقُولُ وَلَعْلَقُوا لَكُولُ الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْتَالِقُوا يَعْلُوا عَلَيْكُوا الْمُعْلِقُولُ عَلَيْكُوا مِنْهُا إِلَا الْمَالَعُوا لَعُلُوا لَعُلُولُ الْمُؤْلُولُولُولُوا عَلَيْكُوا لَعْلُوا

(الشرح)

في هلِذه الآيات العظيمات الشريفات يُخبِر الله عَزَّ وَجَلَّ أنه اختبر هؤلاء المشركين المكذبين من أهل مكة اختبرهم بالخير الدنيوي والنِعَم الدنيوية حيث أمدهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بأموالٍ وبنين، وجعل لهم الأمن في ديارهم اختبارًا لهم لا إكرامًا لهم، ثُمَّ أنعم عليهم بأعظم نِعمَةٍ عَلَىٰ البشرية ألا وهي: بعثة مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاختبرهم بكل ذلك فلم يشكروا هذا ولا هذا، بل كانوا من الكافرين.

فكان مثلهم كمثل أهل البستان كثير الشجر عظيم الزرع والثُمَّر، حيث كان رجلٌ قد أنشأ هلاً البستان وجعل للمساكين فيه نصيبًا فكان المساكين يأتون إلى هلاً البستان وقت الحصاد فيأخذون ما تساقط من الثُمَّر من الشجر، وما تساقط عند جمعه، وفوق ذلك جعل لهم نصيبًا عِمَّا تنتجه تلك المزرعة يتصدق به عليهم، فكان يعيش في خير وكان الفقراء يعيشون في خير لهذا.

فلما مات ذلك الرجل وورثه أبناؤه أصاب الأبناء البخل وقالوا: أصبح عددنا كثيرًا فلمَاذَا يشاركنا أَوْلئك المساكين في نِتاج بستاننا، وكانوا يعلمون أن المساكين يعلمون وقت الحصاد، وأن الحصاد يكون في النَّهَار فيأتي المساكين في النَّهَار، فأرادوا من المساكين منع حقهم، وعزموا عَلَىٰ ذلك عزمًا أكيدًا وأكدوا عزمهم باليمين، فحلف بعضهم لبعض أنهم يفعلون ذلك.



فحلفوا عَلَىٰ حصد ما في البستان في أوْاخر اَللَّيْل وبواكير الصباح حيث يكون الناس نائمين، ولا يكون هلا يكون هلا وقت الحصاد المعتاد من أجل أن يسبقوا المساكين، وأن يحرموا المساكين من ذلك وهم لا يترددون في عزمهم، ولا يستثنون في يمينهم، ولا يردون الأمر إِلَىٰ مشيئة رجم، بل ظنوا أنهم قادرون بأنفسهم عَلَىٰ فعل ما يريدون، فعاقبهم الله بنقيض قصدهم الفاسد حيث أرادوا حرمان المساكين من بعض الثُمَّر، فحرمهم الله عَزَّ وَجَلَّ من كل الثُمَّر.

فأصاب بستانهم في اللَّيْل وهم نائمون آفةٌ وصاعِقة نزل بها ملكٌ من السهاء قيل إنه جبريل عَلَيْهِ السَّلامُ فاحترقت أشجارهم وزروعهم فأصبحت هشيهًا يابسًا مسودًا كالليل الحالك، لا ينفع منها شيء، وفي بواكير الصباح نادى القوم بعضهم ليفعلوا ما عزموا عليه من الحصاد قبل أن يأتي المساكين فانطلقوا إلى جنتهم يسيرون في الطريق منفردين؛ لأن الناس لا زالوا نائمين، ومع ذلك يتحدثون بصوت خفي خفيض خشية أن يسمعهم أحد أو أن يستيقظ أحدٌ إذا سمع كلامهم، وهم يؤكد بعضهم عكل بعض ألا يدخلن البستان اليوم مسكين.

فساروا في الطريق منفردين عن الناس لا يسير في الطريق غيرهم، وهم في غاية القوة والنشاط والغضب، وقد امتلأت نفوسهم حسدًا، ويحسبون أنفسهم قادرين عَلَىٰ ما عزموا عليه، حيث رتبوا الأمر جيدًا وخططوا تخطيطًا دقيقًا، ولكنهم غفلوا عن قدرة الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ، فلما أقبلوا عَلَىٰ جنتهم وأشرفوا عليها، ورأوها بأعينهم رأوا ما لا يعرفون، حيث رأوا هشيهًا متكسرًا، ورأوا جنةً سوداء في بيضاء لا شجر فيها، ولا زرع قائم، ولا خُضرة فيها فهالهم الأمر، وطاشت عقولهم، واعتقدوا أنهم أخطأوا الطريق وتاهوا في المسير فوصلوا إلى غير جنتهم.

ثُمَّ تأملوا ونظروا فانتبهوا إِلَى الحقيقة المُرة وهي أنهم وصلوا إِلَى جنتهم، فقالَوا: بل هي هذه لكن لم يبق لنا فيها حظٌ ولا نصيب، فلم يبق لنا من ثيًارها وحبوبها لا قليلٌ ولا كثير، وعند ذاك قال خيرهم وأعدلهم وأحسنهم: ألم أقل لكم عندما عزمتم هلا تنزهون الله عما لا يليق بجلاله، ومن ذلك ظنكم أن لكم قدرة مستقلة عن قدرته وأنكم لا تحتاجون إِلَى مشيئته، ولذلك لم تستثنوا في يمينكم سُبْحَانَ الله فهذا أعدلهم وخيرهم لم يخالفهم في عزمهم، ولكنه عاب عليهم أنهم لم يقولوا إِنْ شَاءَ الله عندما حلفوا.



فيقول لهم: وأنا أقول لكم الآن: هلا استغفرتم الله، ورجعتم إِلَى الله، وهم لم يستجيبوا لقوله في نصحه الله وأول لكم الآن: هلا استغفرتم الله، وتدبيرهم، لكنهم لما رأوا قدرة الله ورأوا ما حصل لجنتهم عقوبةً من الله سبحوا الله، ونزهوا الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ.

وهم يعلمون أن الَّذِي وقع قد وقع، لكن لعل هذَا التسبيح وهذَا الرجوع وهذِه الإنابة إِلَىٰ الله تُسقِط عنهم الإثم، ولعل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يرحمهم، وصار يلوم بعضهم بعضًا عَلَىٰ ما قصدوه من ظلم المساكين، فها كان عندهم من جواب لبعضهم إِلَّا أن أقروا واعترفوا بالذنب، فقالُوا: يا ويلنا إنا كنا طاغين، قد اعتدينا وظلمنا وتجاوزنا الحد حَتَّىٰ أصابنا ما أصابنا، فجاء الرجاء؛ عسى ربنا وهو الغفور الرحيم الكريم أن يبدلنا خيرًا منها في الدنيا والآخرة؛ لأننا راجعون إِلَىٰ ربنا تائبون، راجون عفوه، وطالبون الخير منه بإلحاح.

وهكذا عذاب الله لمن خالف أمره ومنع حقوق خلقه إِنْ شَاءَ عجله في الدنيا، فأصاب الظالمين ببعض عذابه في الدنيا وهو عَلَىٰ كل شيءٍ قدير، وعذاب الآخرة أكبر، وأشق، وأعظم، فاعتبروا يا أُوْلي الألباب، يا مَن أنعَم الله عليكم بالنعم اشكروها ولا تكفروها حَتَّىٰ لا تُحرموها، فإن النِعَم تُشبَت بالشكر وتزداد بالشكر، وتُسلَب بالكفر، وأدوا حقوق الخلق في أموالكم ليذهب شرها، وتنمو، وتزداد، ويكثُر الخير عندكم.

فوالله ما نُمي المال بمثل الزكاة والصدقة، والله إن المال لينمو ويزداد بالزكاة والصدقة، وفي هذا أيُّهَا الإخوة تهديدٌ لكفار قريش أنهم إن استمروا عَلَىٰ كفرهم سيصيبهم الله بعذابٍ عاجل، وقد مسهم الله بشيء من العذاب فأصابهم بالجوع والقحط، وعذاب الآخرة أكبر وأشد، هذا تفسير هاذه الآيات الموضوعي الإيهاني الوجداني، ونعود نفسر هاذه الآيات آية آية، ونقرأ ما سطره الإمام الفقيه الأصولي المفسر المتفنن الإمام السِعدي رَحِمَهُ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

(الماتن)

قَالَ الإمام عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ الله: يقول تَعَالَىٰ: إنا بلونا هؤلاء المكذبين بالخير وأمهلناهم، وأمد دناهم بما شئنا من مال وولد، وطول عمر، ونحو ذلك، مِمَّا يوافق أهواءهم، لا لكرامتهم علينا، بل ربما يكون استدراجًا لهم من حيث لا يشعرون فاغترارهم بذلك نظير اغترار أصحاب الجَنَّة، الَّذِينَ هم فيها شركاء، حين زهت ثمارها وأينعَت أشجارها، وآن وقت صِرامها،



وجزموا أنها في أيديهم، وطوع أمرهم، وأنه ليس ثُمَّ مانع يمنعهم منها، ولهذا أقسموا وحلفوا من غير استثناء، أنهم سيصرمونها أي: يجذونها مصبحين، ولم يدروا أن الله بالمرصاد، وأن العذاب سيخلفهم عليها، ويبادرهم إليها.

(الشرح)

(بلونا)؛ يعني: اختبرنا، ووالله يا إخوة إن الخير اختبار، وإن الشر اختبار، فالله يُنعِم علينا بالخير يختبرنا به، ويبتلينا بالشر يختبرنا به، فمَن لزِم الشَرعَ في الخير والشر فليُفلِح وليُبشِر بالنجاح، ومَن خالف شرع الله فليخف عَلَىٰ نفسه.

(وجزموا أنها في أيديهم، وطوع أمرهم، وأنه ليس ثُمَّ مانع يمنعهم منها)؛ فاغتروا بتدبيرهم وقدرتهم وغفلوا -كَمَا قُلْنَا- عن قدرة الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ.

(مصبحين)؛ يعني: في آخر اَللَّيْل، وعند بواكير الصباح ولا يستثنون أنهم غير مترددين في فعلهم ولا يستثنون في يمينهم، ولا يستثنون مسكينًا من المساكين لا من الأقارب ولا من غير الأقارب، فسيمنعون الجميع.

(الماتن)

قَالَ: ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَايِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَايِمُونَ ﴾ [القلم: ١٩] أي: عذاب نزل عليها ليلا ﴿ وَهُمْ نَايِمُونَ ﴾ [القلم: ٢٠] أي: كالليل المظلم، ﴿ وَهُمْ نَايِمُونَ ﴾ [القلم: ٢٠] أي: كالليل المظلم، ذهبت الأشجار والثمار، هٰذَا وهم لا يشعرون بهذا الواقع الملم، ولهذا تنادوا فيما بينهم، لما أصبحوا يقول بعضهم لبعض: ﴿ أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ ﴾ [القلم: ٢٢] قاصدين له فأنظلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴾ [القلم: ٣٣] فيما بينهم، ولكن بمنع حق الله، ويقولون: ﴿ أَنْ لاَ يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينً ﴾ [القلم: ٢٤] أي: بكروا قبل انتشار الناس، وتواصوا مع ذلك، بمنع الفقراء والمساكين، ومن شدة حرصهم وبخلهم، أنهم يتخافتون بهذا الكلام مخافتة، خوفًا أن يسمعهم أحد، فيخبر الفقراء.

(الشرح)

(﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَابِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَابِمُونَ ﴾ [القلم: ١٩])؛ أي: عذاب وآفة وصاعقة نزل بها ملك وهم نائمون لا يدرون ولا يعلمون، وقالَ بعض العِلماء: الطائف هو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ طاف بها واقتلعها.

وأغرب بعض العِلماء فذكروا شيئًا عجيبًا قَالُوا: إن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ اقتلع هانِه الجَنَّة، وأقوى ما قيل فيها إنها في: اليمن، فاقتلع هانِه الجنة وأخذها ووضعها في المكان المسمى بالطائف، قَالُوا: وهذَا سميت بالطائف؛ لأن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الطائف اقتلع تلك الجنَّة من اليمن ووضعها في الطائف، وهذَا في الحقيقة لا دليل عليه، وأمرٌ بعيد، وأمرٌ غريب.

فالظاهر والله أعْلَم: أن الآيات تدل عَلَىٰ أنها احترقت وأصبحت هشيمًا يابسة.

(وَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾ [القلم: ٢٠] أي: كالليل المظلم)؛ الصريم قيل هو: اَللَّيْل المظلم؛ يعني: أنها من يُبسِها واحتراقها صارت سوداء كالليل المظلم.

وقَالَ بعض أهل العِلم: كالليل، وَالنَّهَار، وأشار إِلَى هٰلَا المعنى البخاري في الصحيح، في تفسير هٰلِه السورة أن الصريم أي: كالصبح أنصرم من اللَّيْل، وكالليل أنصرم من النَّهَار، طيب ما معنى هٰلاَ الكلام؟ يعني: أن بعضها صار أسود وبعضها صار أبيض؛ لأنه لم يبقى شيء، فبعض القطع تُرى سوداء محترقة، وبعض القطع منها تُرى بيضاء؛ لأنه لم يبقى شيء أصلًا في ذلك المكان.

وَقَالَ بعض أهل العِلم الصريم هو: المقطوع من الصُرم، والصرم: هو القطع، إِذًا ما معنى كالصريم؟ يعني: الأشجار والزروع بعد أن تُجزأ فها يبقى فيها شيء، وقالَ بعض السَلَف: الصريم هو الرماد الأسود، فمعنى كالصريم: أنها احترقت تمامًا حَتَىٰ صار لها رمادٌ أسود لم يبق منها شيء.

(﴿ أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ ﴾ [القلم: ٢٧])؛ والغدو يا إخوة: هو الذهاب في الصباح الباكر قبل طلوع الشَّمْس، أي: أنهم تنادوا في أوْل انشقاق النَّهَار، وفي أواخر اَللَّيْل.

(﴿ يَتَخَافَتُونَ ﴾ [القلم: ٢٣])؛ قَالَ بعض المفسرين يعني: يتكلمون بكلام خفي خشية أن يسمع الناس، وقَالَ بعض المفسرين يتخافتون أي: يتخفون خشية أن يراهم أحدٌ من الناس، وكلا المعنيين صادق هنا، فهم كانوا يسيرون ويتخفون حَتَّىٰ لا يراهم أحد، ويتكلمون بصوتٍ خفي حَتَّىٰ لا يسمعهم أحد.

قَالَ: ﴿ وَغَدَوْا ﴾ [القلم: ٢٥] في هذه الحالة الشنيعة، والقسوة، وعدم الرحمة ﴿ عَلَى حَرْدٍ قَالَ: ﴿ وَغَدَوْا ﴾ [القلم: ٢٥] أي: عَلَىٰ إمساك ومنع لحق الله، جازمين بقدرتهم عليها.

﴿ فَلَمَّا رَأُوهَا ﴾ [القلم: ٢٦] عَلَىٰ الوصف الَّذِي ذَكَرَ الله كالصريم ﴿ قَالُوا ﴾ [القلم: ٢٦] من الحيرة والانزعاج، ﴿ إِنَّا لَضَالُونَ ﴾ [القلم: ٢٦] أي: تائهون عنها، لعلها غيرها، فلما تحققوها، ورجعت إليهم عقولهم قَالُوا: ﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ [القلم: ٢٧] منها، فعرفوا حينئذ أنه عقوبة، ف ﴿ قَالَ أُوسَطُهُمْ ﴾ [القلم: ٢٨] أي: أعدلهم، وأحسنهم طريقة، ﴿ أَلُمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَيِّحُونَ ﴾ [القلم: ٢٨] أي: تنزهون الله عما لا يليق به، ومن ذلك، ظنكم أن قدرتكم مستقلة، فلولا استثنيتم فقلتم: إِنْ شَاءَ اللهُ وجعلتم مشيئتكم تابعة لمشيئتة الله، لما جرئ عليكم ما جرئ.

(الشرح)

(﴿ حَرْدٍ ﴾ [القلم: ٢٥])؛ فيكون معنى الحرد: الإمساك، والمنع؛ يعني: عَلَىٰ الإمساك والمنع قادرين في ظنهم، وقيل معنى حرد: أنهم كانوا غاضبين فكانوا يسيرون سير الغاضب بقوة، وقيل عَلَىٰ حردٍ يعنى: عَلَىٰ جدٍ وحزم بفعل ما في أنفسهم، وقيل: عَلَىٰ حسد، وكل هذا واقعٌ منهم في الحقيقة.

(وَ قَادِرِينَ ﴾ [القلم: ٢٥])؛ قَالَ: بعض العِلماء من القدرة؛ يعني: ظنوا قدرتهم عَلَىٰ ذلك بأنفسهم، وقَالَ بعض العِلماء: من التقدير؛ أي: مدبرين، ومرتبين، ومخططين.

(﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ [القلم: ٢٨] أي: تنزهون الله عما لا يليق به، ومن ذلك، ظنكم أن قدرتكم مستقلة، فلولا استثنيتم فقلتم: إِنْ شَاءَ اللهُ)؛ وعَلَىٰ هلذَا القول يا إخوة يكون هلذَا الأعدل وافقهم عَلَىٰ منع المساكين، ولكنه عاب عليهم عدم استثنائهم في اليمين.

وقال بعض المفسرين: لولا تسبحون؛ أي: هلا تشكرون الله عَلَىٰ ما أنعَم عليكم به من هلِّه الشَّهار، ومن شكر الله: إعطاء المساكين حقهم، وعَلَىٰ هلااً القول يكون خالفهم ولم يوافقهم عَلَىٰ عزمهم.

وقال بعض المفسرين: إِنَّمَا قَالَ هَذَا بعد الوقوع بعد أن احترقت، فقَالَ: هلا تسبحون؛ يعني: هلا تستغفرون الله وترجعون إِلَىٰ الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ.

قَالَ: فَقَالُوا ﴿ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ [القلم: ٢٩] أي: استدركوا بعد ذلك، ولكن بعد ما وقع العذاب عَلَىٰ جنتهم، الَّذِي لا يرفع، ولكن لعل تسبيحهم هذا، وإقرارهم عَلَىٰ أنفسهم بالظلم، ينفعهم في تخفيف الإثم ويكون توبة، ولهذا ندِموا ندامَةً عظيمة.

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَا وَمُونَ ﴾ [القلم: ٣٠] فيما أجروه وفعلوه،

﴿ قَالُوا يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴾ [القلم: ٣١] أي: متجاوزين للحد في حق الله، وحق عباده.

﴿ عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴾ [القلم: ٣٢] فهم رجوا الله أن يبدلهم خيرًا منها، ووعدوا أنهم سيرغبون إلَىٰ الله، ويُلِحون عليه في الدنيا، فإن كانوا كما قَالَوا، فالظاهر أن الله أبدلهم في الدنيا خيرًا منها؛ لأن من دعا الله صادقًا، ورغب إليه ورجاه، أعطاه سؤاله.

قال تَعَالَىٰ مبينًا ما وقع: ﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ ﴾ [القلم: ٣٣] أي: الدنيوي لمَن أتىٰ بأسباب العذاب أن يسلب الله العبد الشيء الذي طغىٰ به وبغىٰ، وآثر الحياة الدنيا، وأن يزيله عنه، أحوج ما يكون إليه. ﴿ وَلَعَذَابُ اللَّهَ عَلَمُونَ ﴾ [القلم: ٣٣] فإن من ولكن الدنيا ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [القلم: ٣٣] فإن من علم ذلك، أوجب له الانزجار عن كل سببٍ يوجب العذاب ويحل العِقاب.

(الشرح)

(لأن من دعا الله صادقًا، ورغب إليه ورجاه، أعطاه سؤاله)؛ نعم ذَكَرَ بعض المفسرين أن الله أبدلهم بجنةٍ خير منها؛ لأنهم تابوا إِلَىٰ الله وأنابوا إِلَىٰ الله.

وَلَا شَكَّ يا إِخوة أَن مَن تاب توبةً صادقة إِلَىٰ الله فتاب الله عليه سيبدل حاله إِلَىٰ حالٍ أحسن، لَا شَكَّ في ذلك، فوالله مَن تاب صادقًا إِلَىٰ الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ سيتغير له الحال في نفسه وفي جميع أحواله، ليس بين الإنسان وأن تتغير حاله إِلَىٰ أمرٍ حسن إِلَّا أَن يتوب إِلَىٰ الله، فإن تاب إِلَىٰ الله فليبشر وسيبدل الله له الحال ويرى خيرًا عظيمًا.

قَالَ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۞ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ۞ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۞ أَمْ لَكُمْ لَيَا تَحْكُمُونَ ۞ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ۞ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانُ عَلَيْنَا بَالِغَةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ۞ ﴾ [القلم: ٣٤-٣٩].

(الشرح)

وبين سُبْحَانَهُ أنه لا يساوي بين المسلمين والمجرمين في الجزاء، فعجبًا ثُمَّ عجبا لحال مَن يظنون ذلك ومَن يساوون بين المسلمين والمجرمين، فمن أين جاءوا بهلاً أفبأيدي المجرمين كتاب منزل من السهاء يدرسونه ويحفظونه ويتناقلونه فيه ما يدعون من أنه لن يعذبهم يوم القيامة، وأنه سيجعلهم خيرًا من المسلمين يوم القيامة كها يزعمون.

إنهم كانوا يُنكِرون البعث، ويقولون: إن كان هناك بعثُ فالله سيكرمنا خيرًا من هؤلاء، ويعطينا خيرًا من هؤلاء المسلمين، فمن أين لكم هلذًا؟ أعندكم كتابٌ مُنزَل من الله تحفظونه وتتناقلونه وتدرسونه فيه هلذًا، بل أنتم تعلمون أنه ليس كذلك، وأنه لم يُنزَل عليكم كتابٌ قبل القرآن.

فأنتم أُميون ما أُنزِل عليكم كتابٌ قبل القرآن، أم عندكم عهودٌ وأيهانٌ موثقةٌ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنه لن يعذبكم وأنه سيحصل لكم الإكرام كها تزعمون، ويحصل لكم ما تحبون وما تشتهون، فلا والله ليس عندكم من الله إِلَّا الوعيد بالعذاب الشديد.

ثُمَّ يأمر الله نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يسألهم مَن الَّذِي يضمن لكم أن الله لا يعذبكم يوم القيامة، هاتوا ضمير وهاتوا كفيل ولا كفيلا، أم لهم شركاء من دون الله يشاركون الله في التصرف ويعطونهم في الآخرة النعيم من دون الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى، وهلذَا لا يكون أبدًا، لكن إن زعموا هلذَا فليأتوا بشركائهم يوم القيامة إن كانوا صادقين، فلن ينفعهم أحد وليس لهم في الآخرة إلَّا العذاب.

فهاذًا وعيد الأَوْلئك الَّذِين يزعمون أن المسلمين كالمجرمين، وكل من يسوي بين المسلمين والمجرمين في الحال يُتوعَد ويُخشى عليه العذاب.

قَالَ رَحِمَهُ اللّهُ: يخبر تَعَالَىٰ بما أعده للمتقين للكفر والمعاصي، من أنواع النعيم والعيش السليم في جوار أكرم الأكرمين، وأن حكمته تعالىٰ لا تقتضي أن يجعل المسلمين القانتين لربهم، المنقادين لأوامره، المتبعين لمراضيه كالمجرمين الذين أوضعوا في معاصيه، والكفر بآياته، ومعاندة رسله، ومحاربة أوليائه، وأن من ظن أنه يسويهم في الثواب، فإنه قد أساء الحُكم، وأن حكمه حُكمٌ باطل، ورأيه فاسد، وأن المجرمين إذا ادعوا ذلك، فليس لهم مستند، لا كتاب فيه يدرسون ويتلون أنهم من أهل الجنة، وأن لهم ما طلبوا وتخيروا.

وليس لهم عند الله عهد ويمين بالغة إلى يوم القيامة أن لهم ما يحكمون، وليس لهم شركاء وأعوان عَلَىٰ إدراك ما طلبوا، فإن كان لهم شركاء وأعوان فليأتوا بهم إن كانوا صادقين، ومن المعلوم أن جميع ذلك منتف، فليس لهم كتاب، ولا لهم عهد عند الله في النجاة، ولا لهم شركاء يعينونهم، فعلم أن دعواهم باطلة فاسدة، وقوله: ﴿ سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴾ [القلم: ١٠] أي: أيهم الكفيل بهذِه الدعوى الفاسدة، فإنه لا يمكن التصدر بها، ولا الزعامة فيها.

(الشرح)

لعلنا نقف عند هلذَا الموطن، ونُكمِل المقطع الأخير من السورة في مجلس الغد إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، غدًا عندنا مجلس بعد العصر في التفسير، ومجلس بعد العشاء إِنْ شَاءَ اللهُ في محاضرة بعد التراويح.

وكما تعلمون غدًا إِنْ شَاءَ اللهُ تدخل علينا ليلة: ثلاث وعشرين، وليلة ثلاث وعشرين من العشر الأوّاخر من الليالي المرجوة لليلة القدر، وَالنّبِيّ صَلّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كان يُرشِد إليها، فعَلَىٰ المسلم كما ذكرنا مِرارًا أن يجتهد في العشر كلها فهو خير كله، وَإِذَا اجتهد في العشر كلها فإنه يُرجى له أن يصيب ليلة القدر؛ لأن ليلة القدر هي واحدة من ليالي العشر، ومِن قام ليلة القدر فقد نال فضلها ولو لم يشعر بها.

ولذلك الَّذِي يقوم الليالي جميعًا ينال بإذن الله فضل ليلة القدر، لكن لاَ شَكَّ أن الأَوْتار أرجى من الأشفاع، وأن ليلة ثلاث وعشرين وليلة خمس وعشرين، وليلة سبع وعشرين هي أرجى الليالي لليلة القدر، فينبغي أن يكون اعتناؤنا بهلاِه الليالي أعظم من اعتنائنا بغيرها مع الاجتهاد في العشر كلها.

الأسئلة

السؤال: هلذا يقول: ابتلعت النُخامة بعد أن وصلت إِلَى فمي، فيقول: إنه كان في الصلاة ولم يكن معه منديل فهَاذَا عليه؟

الجواب: النُّخامة إِمَّا أن تنزل من الأنف إِلَىٰ الحلق ولا تمروا بالفم، وهاذِه لا تضر الصائم.

وأذكر لكم فائدة يا إخوة: ما في الحلق لا يطلب من الصائم أن يُخرِجه، فبعض الناس يشق عَلَى نفسه في الصيام ويُتعِب نفسه في الصيام، فطوال الوقت تجده يحاول أن يُخرِج شيئًا من حلقه ليس مطلوبًا منك، الَّذِي في الحلق في الحلق حَتَّى لو كانت نُخامة نزلت من الأنف إِلَى الحلق ولم تمر بالفم، لكن إذا كانت النخامة بالفم فلا يجوز للصائم أن يبتلعها، فينبغي أن يُخرِجها في منديل أوْ نحو ذلك، لكن الغالب أن النُخامة تنزل من الأنف إِلَى الحلق، وهذا لا يضر الصائم.

السؤال: هلذًا يسأل يقول: أن عنده عملات مختلفة: دو لار ويورو فكيف يُخرِج زكاتها؟

الجواب: هنا حَتَّىٰ يعرف النصاب يحولها إِلَىٰ عملة؛ يعني: بالتقدير ليس يعني يصرفها وَإِنَّمَا يُقدِرها مثلًا: كم تساوي بالريال السعودي مثلًا إِذَا كنا في السعودية جميعها مع جميع ماله، فإذَا بلغت نِصابًا وجبت فيها الزَّكاة.

ثُمَّ هو حر إن شاء أن يُخرِج من كل عملة عنده، وإن شاء أخرج من عملة البلد فيخرج مثلًا بالريال السعودي. بالريال السعودي، مثلا قُدِرت كلها أربعين ألف يُخرِج منها نصابها بالريال السعودي.

السؤال: هل يأثَّم من حفظ القرآن ثُمَّ نسيه لتقصيرٍ منه وإهمال.

الجواب: يجب أن تكون همتنا أكثر من هلذًا، فليست القضية أن تأثم، لكن إِذَا أنعم الله عليك بحفظ كتاب الله ينبغي أن عليه أعظم من حرص أصحاب الأموال عَلَىٰ الأموال، فإذا أنعم الله عليك بأن تحفظ كلامه فكنت من أهل القرآن ينبغي أن تحرص عَلَىٰ: أن يبقى الحفظ، فهلذَا أغلى الكنوز، وأجمل الكنوز، وأنفع الكنوز، فينبغي: أن تكون كثير التكرار للقرآن كثير المراجعة للقرآن لتحافظ عَلَىٰ هلذَا. وَأُمَّا: هل يأثَّم مَن حفظ القرآن ثُمَّ نسيه؟ فإن كان النسيان غلبةً عليه فلا يأثَّم، أمَّا إن في النسيان

وَأَمَّا: هل يأثَّم مَن حفظ القرآن ثُمَّ نسيه؟ فإن كان النسيان غلبةَ عليه فلا يأثَم، أمَّا إن في النسيان كأن أهمل المراجعة فإنه يأثَّم بهاذَا.

السؤال: امرأة اسلمت وطلبت منى أن أكون وليها في النكاح فما هو ضابط التعامل معها؟

الجواب: أوْلًا يا إخوة: أحذر من التهاون في شأن النساء المسلمات؛ أعني: الخارجات من الكفر والداخلات في الإسلام، فبعض الناس يتساهلون في هلذا الأمر، ولربها تلاعبوا بأعراض أولئك النسوة، بل ثبت عندي أن بعض أولئك النسوة قد أرتدن عن الإسلام بعد إسلامهن بسبب تلاعب بعض الرجال المسلمين بهن بعد الإسلام.

فيتلاعب بها ويوهمها أنه يريد أن يتزوجها، وربها قَالَ لها: وكليني وأنا وكيلك وأزوجك لنفسي، ثُمَّ يلهو بها أيامًا ثُمَّ يتركها فيعطيها صورةً سيئة عن الإسلام والمسلمين فعَلَىٰ الأُمَّة أن تتقي الله في المسلمات، ولا سيها المسلمات الجديدات.

والمرأة إِذَا اسلمت إِذَا لم يُسلِم أحدٍ من أَوْليائها فوليها هو ولي أمر المسلمين في البلد، ومَن أنابه ولي أمر المسلمين في البلد إن كانت في بلدٍ مسلم كالمحاكم المختصة، وإن لم تكن في بلدٍ مسلم فوليها هو اللّذي يتولى أمر المسلمين في ذلك البلد إن كان ثقةً، كإمام المسجد مثلًا في بعض البلدان ونحو ذلك إن كان أهلًا لذلك.

فإن لم يوجد فإنها توكل مسلمًا ثقةً ليكون وليًا لها، لكن هذَا مَتَىٰ يكون؟ إِذَا لم تكن في بلدٍ مسلم لأنها إِذَا كانت في بلد مسلم يكون الولي: هو القضاء، والجهة المختصة، أَمَّا إِذَا لم تكن في بلد مسلم فالأصل أن الولي الَّذِي: يقوم بأمر المسلمين، الَّذِي يعقد لهم النِّكَاح ويحصل عنده الطَّلَاق إِذَا كان أهلًا، وإِذَا لم يوجد هنالك توكل هي رجلًا مسلمًا ثقةً ليكون وليًا لها في النِّكَاح.

السؤال: عندنا في المسجد في البلد كبار السن يصفون في آخر المسجد لأجل لأن الكراسي توضع لهم في هذا الموضع فم حُكم صلاتهم؟

الجواب: الصلاة تكون صحيحة، فيا إخوة الصلاة في الصفوف المتقطعة صحيحة، وما أعلم أحدًا من الفقهاء يقول إن الصلاة باطلة، ولكن الجمهور يقولون: وصل الصفوف وتسوية الصفوف مستحبّ، والصلاة في الصفوف المتقطعة مكروهة، لكن الصلاة صحيحة.

والراجح عندي: أن وصل الصفوف واجب عَلَىٰ المستطيع، فالواجب أن نصل الصفوف ما دمنا مستطيعين، لكن إِذَا كان المسجد كبيرًا مثل المسجد النبوي فإننا لا نستطيع أن نصل الصفوف من كل ناحية فننظر إِلَىٰ الناحية الَّتِي هي جهتنا فنصل الصفوف هاذَا واجب، لكنه ليس شرطًا، فالصلاة صحيحة.

وَهٰذَا أَصلًا لِيس انقطاعًا في الصف، فهؤلاء صلاتهم صحيحة فلا حرج عليهم، وعلماؤنا يشيرون إِلَىٰ: أنه إِذَا كان المسجد صغيرًا فإن الْأُوَّل أن يصلي مَن يصلي عَلَىٰ الكراسي في جوانب الصفوف؛ يعني يكون في يمين الصف في آخر الصف، أوْ في يسار الصف في آخر الصف، حَتَّىٰ لا يؤذي الناس في وسط الصفوف، وَلَا شَكَّ أن هٰذَا التوجيه بديع، لكن المساجد الكبيرة كالمسجد النبوي يَصعُب تطبيق هٰذَا فيها، فيُجتهَد في أن الكرسي لا يؤذي.

يا إخوة الَّذِي يصلي عَلَىٰ الكرسي ينبغي أَوْلًا أن نتبه: أن الفريضة لا يجوز للمسلم أن يصليها قاعدًا ما دام قادرًا عَلَىٰ أن يصليها، فإن صلى قاعدًا مع القدرة عَلَىٰ القيام فصلاته باطلة، لكن إِذَا كان عاجزًا عن القيام، أَوْ عاجزًا عن السجود عنده مشاكل في الركبة أَوْ نحو ذلك يصلي جالسًا؛ يعني: يقف عند القراءة، ثُمَّ إِذَا أراد أن يسجد يجلس عَلَىٰ الكرسي ما فيه بأس، والنافلة يجوز أن يصلي عَلَىٰ الكرسي.

لكن انتبهوا إِذَا كان بعذر فله مثل أجر القائم، وإِذَا كان بغير عذر فله نصف أجر القائم؛ يعني: بعض إخواننا نراهم ما شاء الله في حال طيبة لكن يصلون التراويح عَلَىٰ الكراسي لأنها أريح، فأنت أذهبت نصف الأجر، ما دمت قادرًا عَلَىٰ أن تصلى قائما صلاتك صحيحة لكن أذهبت نص الأجر.

→ طيب ما هي الطريقة الصحيحة عند الصلاة علَى الكرسي؟

يعني: وأنا واقف أنا مع الصف والكرسي ورائي، فإذا أردت أن أجلس ما أُبقي الكرسي ورائي، أسحب الكرسي إلى الأمام وأجلس عليه بحيث أساوي بظهري.

✓ الحالة الثانية: ألا تستطيع فتقول: أنا ما أستطيع أن أُحرِك الكرسي وأنا أصلي، إِذًا في هلِّدِه الحال أجعل الكرسي كأنك جالس عليه، ولا تؤذي الناس بهذا الكرسي.

وفق الله الجميع، وتقبل الله من الجميع، وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ. وَصَلَّ اللهُ عَلَى نَبِيبِّنَا وَسَلَّمَ.







بِسْ مِلْلَهِ ٱلرَّحْمَٰزِ ٱلرَّحِي مِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأَتَمَّانِ الأَكْمَلانِ عَلَىٰ المَبْعُوثِ رَحْمَةً للِعَالَمِينَ، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أمّا بَعْدُ؛

فمعاشر الفضلاء بعد وقت قصير إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، ندلفُ إِلَى ليلة ثلاثٍ وعشرين من شهر رمضان المُبارك، وَهِيَ ليلةٌ مُباركة، من أرجى الليالي لإصابة ليلة القدر؛ فهي من العشر الأواخر، وقد قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تحروا ليلة القدرِ في العشرِ الأواخر».

وَهِيَ من ليالي الأوتار، وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تحروا ليلة القدرِ في الوتر من العشر الأواخر».

وَهِيَ أُولُ السبع البواقي، وقد قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من كان مُتحريها، فليتحرها في السبع البواقي».

وكان النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعتني بليلةِ ثلاثٍ وعشرين، وليلة خمسٍ وعشرين، وليلةِ سبعٍ وعشرين عنايةً زائدة، مع اجتهادهِ في العَشرِ كُلِّها، فقد كان المسلمون في زمن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُصلون قيام الليل أوزاعا، كُلُّ يُصلي لنفسه، في شهرِ رمضان إلى أن كانت ليلةُ ثلاثٍ وعشرين، فصلى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأصحابه القيامَ جماعةً.

وهذا يدلُ على العناية بهذه الليلة، وعلى أنها ليلةٌ مرجوة، يُرجى ويتأكد الرجاء أن تكونَ ليلةُ القدرِ فيها، وعندما قال أُنيسٌ الجُهني للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن لي بادية وإني أصلي فيها بحمد الله، فمُرني بليلةٍ أنزل فيها إلى هذا المسجد، يعني إلى هذا المسجد الذي نحنُ فيه، مسجد النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أنزل ليلة ثلاثٍ وعشرين».



فكان أُنيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ينزلُ من باديته في يوم اثنين وعشرين، يعني في مثل يومنا هذا، فيدخل المسجد بعد العصر؛ أي قبل المغرب، ثم لا يخرج من المسجد ولو لحاجته إلى أن يُصلي الصُبح، لأن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمره أن ينزل إلى المسجد في هَذِه الليلة.

فَحريٌ بنا معاشر الأحبة أن نعتنيَ بليلتنا القادمة، وأن يعظُمَ اجتهادُنا فيها، وَمَنْ كان مِنا يستطيع أن يبقى في المسجد من المغرب حتى يُصلي الصُبحَ ناوياً الاعتكافَ؛ فهذا خيرٌ عظيم، وبابٌ كريم، كان النّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعتكف ليتحرى ليلة القدر، وليطلب ليلة القدر.

فمن كان لا يستطيع الاعتكافَ في العشر كُلها؛ فحسنٌ أن يعتكفَ في الليالي التي يعظُمُ الرجاءُ فيها في ليلةِ القدر، وهذه الليلة منها، فمن كان يستطيعُ ذلك فهذا أمرٌ حسن فتُكتبُ لك عبادة الاعتكاف، وتفوز بأجر الاعتكاف، وتتفرغُ في ليلتك هَذِه لعبادة ربك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولعلكَ بذلك تُصيبُ ليلة القدر.

ثم قبل أن ننتقلٌ إلى درسنا ألفتُ النظر إلى أنه للأسف الشديد بدأت خُزعبلاتُ الرؤى المتواطئة، في رؤية ليلة القدر، وبدأ أُناس ينشرون أنه تواطأت الرؤى، أن ليلة القدر كانت ليلة واحد وعشرين، وهذا قد حذرنا منه، وقلنا: إن المسلم لا يعتمدُ عليه، ولا يلتفتُ إليه، سبحان الله، إذا كان الله أبهمها، ولم يُعينها لنا على لسانِ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكيف يلتفتُ المسلمون إلى هَذِه الرؤى التي تُحكى، والله أعلمُ من صدقها من كذبها، ولا خيرَ في الالتفات إليها.

قُلتُ وأقول: لا يجوزُ نشرُ هَذِه الرؤى فإنها تُخالف مقاصد الشريعة، وتُكسلُ النَّاس عَنْ العبادة، وكمَا يُقال بالعامية: يعني تُحبط آمال النَّاس في الليالي الباقية، وهذا عكس مَا أراده الله عَزَّ وَجَلَّ مِنا في ليلةِ القدر.

فلا تلتفتوا لهذا يا إخوة، ولو لا أني رأيتها مُنتشرة لما ذكرتها هنا، لكن رأيتها مُنتشرة فذكرتها تنبيهاً وتحذيراً من أن يعتمد على مثلِ هَذِه الرؤى، وأن يُكسل عَنْ طاعة الله في بقية الليالي بسبب هَذِه الرؤى، وعلى الذين ينشرونها أن يتقوا الله.

قُلتُ: هَذِه الرؤى إن كانت صادقة يجوزُ نشرها بعد رمضان، أما في أيامِ العشر وليالي العشر، فلا يجوزُ نشرها، لأنَهَا مخالفة لمقصود الشارع، ولما أراده الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.



وتلحظون يا إخوة أنه حتى الرؤى التي رؤيت في زمن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَم تُعين لَنا فيها اللهة، وإنها جاء أنها في الأوتار، وجاء أنها في السبع البواقي، فأُرشدنا إلى الاجتهاد في الأوتار وفي السبع البواقي، ثم تلك الرؤى كانت في زمن الوحي، في زمن البيان، والبيانُ والوحيُ قد انتهى.

فلا يجوزُ لأحد أن يحتج بالرؤى في زمن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على نشر هَذِه الرؤى في زماننا هذا.

فالله الله يا إخوة، الله الله في بقية شهركم، أكرموا انفسكم، واجتهدوا في طاعة ربكم، إلى الله بكل مَا تستطيعون من خير، والله إن الواحد لا يدري لعله أن يسجد لله سجدة فيعلو بها إلى الفردوس الأعلى، يحرص، والله مَا يدري إنسان مَا الذي يبلغُ به أعلى الجِنان؟ الإنسان لن يدخل الجنة إلَّا بفضل الله، لن يدخل الجنة بعمله، ولكن عمله سببٌ لنيل فضل الله عَزَّ وَجَلَّ، ثم إذا دخل فإنه يعلو فيها بحسبِ أعالهِ الصالحة بحسبِ زمانها، وبحسبِ مكانها، وبحسبِ الإخلاصِ فيها.

فإذا اجتمع لك يا عبدُ الله الزمان وَهُوَ العشر الأواخر من رمضان، والمكان الفاضل وَهُوَ مسجد رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بقي عليك أن تجتهد أنت وأن تُعالجَ قلبك في الإخلاص لله عَزَّ وَجَلَّ، وإن فعلتَ ذلك فأبشر بالخير من الكريم المنان الرحيم الرحمن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فوصيتي لنفسي ووصيتي لإخواني، وصية مُحبٍ يُحبُ لإخوانه مَا يُحبُ لنفسه، واني لأرجو الله عَزَّ وَحَلَّ أنه كما جمعنا في مسجدِ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أن يجمعنا جميعًا مع رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أن يجمعنا جميعًا مع رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أن يجمعنا جميعًا مع رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أعلى جِنان الخلد في الفردوس الأعلى.

ثم إن درسنا كما تعلمونَ معاشر الفُضلاء في تفسيرِ كلام ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حيث نتنعم بهذه النعمة العُظمى في مسجدِ رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نتدبرُ الْقُرْآن ونعرفُ معانيه، ونتعظُ بمواعظهِ، ونقفُ عند حكمه، وهذا فضلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يؤتيهِ من يشاءُ من عباده.

ولا زلنا كما تعلمون في تفسير سورة القلم حيثُ سنختمُ تفسيرها في هذا المجلس إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَكُلُ وَلَنا كما تعلمون في تفسير سورة القلم حيثُ سنختمُ تفسيرها في هذا المجلس إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فيتفضل الابن نور الدين وفقه الله والسامعين يقرأ لنا المقطع الذي وقفنا عنده.

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ اللهِ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿ فَكَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينً ﴾ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينً ﴾ [القلم: ٤٢-٤٥].

(الشرح)

حسبك، يُبيّنُ ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى متى يُكرم المتقين بجناتِ النعيم؟

لما تقدم أن للمتقينَ جنات النعيم، كأن سائلاً سأل: متى يُكرمُ اللهُ المتقين؟ فبين اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أنه يُكرمُ المتقين في يوم القيامة، الذي تكونُ فيه الأهوال والأمور العظام، والمواقف الجسام، حيثُ تذهلُ كُلُّ مرضعةٍ عما أرضعت، وتضعُ كُلُّ ذاتِ حملٍ حملها، وترى النَّاس يتمايلون، من شدة الخوف كأنهم سُكرٌ، ولكن عذاب اللهِ شديد.

في ذلك اليوم يتميزُ المُتقونَ عَنْ غيرِهم، وذلك أنه يُنادي مُنادٍ لتتبع كُلُّ أمةٍ مَا كانت تعبد فتتبعُ كُلُّ أُمةٍ مَا كانت تعبد من الأصنام والأشجار وغيرِ ذلك، يقودُها معبودُها إلى جهنم، فيسقطُ ويتساقطون معه في جهنم، ويبقى اليهودُ والنصارى والمُسلمون.

فيشتكي اليهودُ الذين حرفوا التوراة، وعبدوا غير الله الظمأ؛ فتُخيلُ لهم النار كأنها ماء، فيُقالُ لهم إلَّا تريدون؟ فيذهبون إلى النار يُريدون الماء، فيتساقطونَ في جهنم.

ويشتكي النصارى الذين حرفوا الإنجيل وعبدوا غيرَ الله العطش؛ فتُخيلُ لهم النار كأنها ماء، فيُقالُ لهم إلَّا تريدون؟ فيذهبون يُريدونَ الشُربَ فيتساقطونَ في جهنم.

فيبقى من ينتسبونَ إلى أُمةِ مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، من الصادقينَ المُؤْمِنِيْن، والكاذبينَ المُنافقين، فيأتيهم الله عَزَّ وَجَلَّ، ويُقالُ لهم: مَا بالُ النَّاسُ قد ذهبوا وأنتم ها هُنا؟ فيقولون: ننتظر إلهنا فإذا جاءنا عرفناه، فيأتيهم الله عَزَّ وَجَلَّ، ويكشفُ الجبارُ ساقهُ، ولربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ساقٌ تليقُ بجماله، وتليقُ بجلاله، وتليقُ بكماله، لا نُشبهها بساق، ولا نتخيلُها، ولا نُكيفها ولكنا ورب الكعبة نؤمنُ أن لربنا ساقاً تليقُ بذاكَ الجمال وذاكَ الكمال.



يكشفُ الجبار سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ ساقهِ؛ فيسجدُ لَهُ كُلُّ مؤمنٍ صادقٍ كان يسجدُ للهِ في الدنيا إيمانًا وإخلاصًا للهِ عَزَّ وَجَلَّ.

المؤمنونَ الصادقون المُتقون يتميزونَ يومَ القيامة بسجودهم للرحمن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كما أَنْهُم كانوا يتميزونَ في الدنيا بسجودهم صادقينَ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا يُوجدُ مَنْ يَسجدُ للهِ في الدنيا إلَّا أهل الإيهان، يَسجدونَ صادقينَ لرجم؛ فيسجدونَ يومَ.

ويبقى المُنافقون وَمَنْ كانوا يَسجدونَ في الدنيا رياءً وسُمعة، يستحيلُ أو تستحيلُ أظهرهم طبقةً واحدة، فلا يستطيعون الانحناء، ولا يستطيعون السجود، وإذا أرادوا السجود وقعوا على ظهورهم، عكسَ السجود، السجود، السجودُ على الجبهة، وهم إذا أرادوا أن يسجدوا سقطوا على ظهورهم.

وهل المقصودُ بِمَنْ يَسجدُ رياءً وسمعة في الدنيا؛ المنافقون؟ لأنهم كانوا يقومون إلى الصلاة كُسالى يُراؤون النَّاس، أَوْ أن المقصودَ كُل مَنْ يَسجد للهِ رياءً؟

الأَمْر مُحتمل، لأن الذي يسجد رياءً قد يكون مُنافقًا، وقد لا يكون منافقًا، لكن يسجد رياء، فالأمر مُحتمل، والأمر خطير، ولذلك يا عبد الله احذر الرياء كُلّه، صغيرهُ وكبيره؛ ولا سيما في الصلاة، أنتَ إذا أردت الصلاة تقول: اللهُ أكبر، تنبه نفسك، فكيف تلتفت بقلبك عَنْ رب البشر إلى البشر؟! مَاذَا يفعلُ لك البشر؟! لا يملكون لك شَيْعًا، واللهِ إن مدحوكَ مَا رفعوك، وإن ذموكَ مَا أسقطوك، الرافعُ هو الله، والخافضُ هو الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى، مَاذَا تُريدُ من الناس؟!

والله لا خير في أيديهم يبذلونه، فكيفَ تلتفت في عبادتك عَنْ ربك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إلى النَّاسِ، فالحذر الحذر يا إخوة من الرياء، فإنهُ في يوم القيامة كما في حديث أبي سعيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْه، «يَسجدُ كُلُّ مؤمن» عندما يكشف الله عَنْ ساقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، «يَسجدُ كُلُّ مؤمن ويبقى مَنْ كان يَسجدُ رياءً وسُمعة»، - يعنى في الدنيا- لا يستطيع السجود.

وكما قُلتُ لكم: الأَمْر محتمل أن يكونَ المرادُ في هذا الموقف بهم: المنافقين، ويُحتمل أن يكونَ المرادُ كُل مَنْ يَسجدُ رياءً -والعياذُ بالله-.

وفي ذلك اليوم الذي يُكرمُ فيه المُتقون، يكونُ المجرمون في غاية الفزع، وفي مُنتهى الذِلة، فتغشاهم الذِلة، وتُعلوهم الذِلة، وتُعلوهم الذِلة، وتُعلوهم الذِلة، وتُعلوهم الذِلة، وتُسكنُ أبصارهم، من شدة الخوف ومن شدة



الذُّل، وذلك عكس حالهم في الدنيا، حيثُ كانوا يُدعونَ إلى عبادة الله، فيتكبرونَ ويتجبرونَ ولا يُطيعون، كانوا يُدعونَ إلى السجودِ وهم قادرون، أعضاؤهم سليمة تُطاوعهم لو السجودَ؛ لكنهم تكبروا وأبوا أن يسجدوا لله عَزَّ وَجَلَّ، وإن سجدوا سجدوا نفاقاً لا صدقًا، وكانوا يسمعونَ الأذان فلا يصلون ولا يستجيبون مع المُؤْمِنِيْن.

ومعلومٌ أيُها الإخوة أنه كان في زمن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا يتخلفُ من الرجالِ عَنْ صلاةِ الجهاعة إلَّا من كان مُنافقاً معلوم النفاق، فكانوا يدعون إلى الصلاة حي على الصلاة حي على الفلاح، ويسمعونَ ذلك فلا يستجيبون، وإن استجابوا قاموا كُسالى، يُراؤون النَّاسَ ولا يذكرون الله إلَّا قليلًا.

ثم يُسلي الله عَزَّ وَجَلَّ نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويتهددُ أعداءه، فيُقولُ لنبيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويتهددُ أعداءه، فيُقولُ لنبيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويتهددُ أعداءه، فيُقولُ لنبيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا دعني وَمَنْ يُكذبُ بالقرآن، ومن يُكذبُ بما الْقُرْآن من الوعيد، ومن يكذب بأخبارِ يوم القيامة، ولا تُشغل قلبك بهم، وَكِل الأَمْر إلىَّ، فأنا كفيلٌ بهم، أنا أكفيكَ شرهم، وهذا خطابٌ للمؤمنين كافة.

فيا معاشر المُؤْمِنِيْن لا يَفتنَ في عضدكم أن أعداء الإسلام يُمينونَ الْقُرْآن أَوْ يُحرقونَ الْقُرْآن، والله إنهُم لمتوعدون، وإن ربنا لكفيلٌ بهم، وسينتقمُ منهم الجبار سُبْحَانَهُ وتعالى وَهُوَ الحكيمُ العليم وعلى كُلِّ شيءٍ قدير، ولهذا قال سُبْحَانَهُ ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٢]، أي: لن نُعاجلهم بالعقوبة، بل سنؤخرهم ونمدهم بأموال، ونمدهم ببنين، ونمدهم بنعم الدنيا لا إكراماً لهم، وإنها نستدرجهم ليزدادوا إثمًا على إثمهم، وليعظم غرورهم حتى إذا شئنا أخذهم، أخذناهم ولم نُفلتهم.

وهذا كيدُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ للمجرمين الذين يُحاربونَ الدين وكيدهُ سبحانهُ وتعالى عظيم، فاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُؤخرُ الظالم إمهالًا لَهُ لعله أن يتوب، أَوْ استدراجًا ليزداد غرورًا وإثما ولا يُعاجلهُ بالعقوبة حتى إذا أصرَ على ظُلمه أخذه على غفلةٍ منه ولم يُفلتهُ وكان أخذهُ أليمًا شديدًا.

ولذلك يا إخوة لا ينبغي للظالم ولو كان مسلمًا، أن يغترَ بإمهال الله لَهُ، ويستمرَ في ظُلمه ويظن أنه لا أحدَ فوقه، فإن الله عَزَّ وَجَلَّ إن شاءَ أن يأخذ الظالم بذنبه أخذه، فإذا أخذه لم يُفلته، -نسأل الله السلامة-، والله عَزَّ وَجَلَّ يُؤخرهم ويُؤخرُ أعهارهم ليزدادوا إثمًا.

نعود إلى تفسير الآيات، ونقرأ مَا ذكره الإمام السِعدي ونُعلقُ عليه.

قَالَ الإمام عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى وغفر لَهُ ولشيخنا والسامعين:

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ يَوْمَ يُكُشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾ [القلم: ٢٤] أي إذا كان يومُ القيامة وانكشفَ فيه من القلاقلِ والزلازلِ والأهوالِ مَا لا يدخل تحت الوهم، وأتى الباري لفصل القضاء بين عباده ومجازاتهم، فكشفَ عَنْ ساقهِ الكريمة التي لا يُشبهها شيء، ورأى الخلائقُ من جلال الله وعظمته مَا لا يُمكن التعبيرُ عنه، فحينئذٍ يُدعون إلى السجودِ لله، فيسجُدُ المؤمنون الذين كانوا يسجدون لله طوعًا واختيارًا ويذهب الفجارُ المنافقون ليسجدوا فلا يقدرون على السجود وتكونُ ظُهورهم كصياصى البقر، لا يستطيعون الانحناء.

(الشرح)

تكونُ ظُهورُهم كصياصي البقر؛ يعني كقرون البقر، وقرون البقر قاسية صلبة، فتكون ظُهورُهم كَذَلِكَ، لا يستطيعون الانحناء، وإذا أراد أحدهم أن ينحني فإنه ينقلب على ظهره.

وظاهرٌ هنا أن كشف الساق إنَّمَا يكونُ لمن ينتسبونَ إلى أُمةِ مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الصادقين والمنافقين.

أما الصادقونُ في إيهانهم فكما يسجدونَ في الدنيا يسجدون للهِ في الآخرة.

وأما المنافقون الذين يسجدون كذباً ورياءً في الدنيا فَإِنَهُم لا يستطيعونَ السجودَ يوم القيامة.

(الماتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: وهذا الجزاء من جنسِ عملهم، فَإِنَهُم كانوا يُدعونَ في الدنيا إلى السجود للهِ وتوحيدهِ وعبادته، وهم سالمون لا علة فيهم، فيستكبرون عَنْ ذلك ويأبون، فلا تسأل يومئذٍ عَنْ حالهم وسوء مآلهم، فإن الله قد سخِط عليهم وحقت عليهم كلمة العذاب، وتقطعت أسبابهم، ولم تنفعهم الندامةُ والاعتذارُ يومَ القيامة، ففي هذا مَا يُزعجُ القلوبَ عَنْ المُقام علىٰ المعاصي ويُوجبُ التدارك مدة الإمكان.

(الشرح)

هذا يجعل المؤمن يخافُ خوفًا شديدًا من الرياءِ والسُمعة، من أن يُظهر العملَ الصالح ليمدحه النَّاس على ذلك، ويجعل المؤمن كَذَلِكَ يخاف

من المعاصي، ويخاف من ترك الواجبات، يخاف من الذِلة يومَ القِلة، يخاف من أن يكون ممن يُذَلَّهم الله يومَ القيامة، وممن ينالهم الفزع في يوم الفزع.

ولذلك يا إخوة على المؤمن أن يُذكر نفسهُ بهذا دائمًا، يا إخوة مَا الدنيا؟

والله إنها قليلة، والذي فيها لغير الله حقير، وكُلُّ مَا فيها يمر، الحلو يمر، والمُرُ يمر، والله ليس في الدنيا شيءٌ يَقِر، أبدًا، فهاذا تنفع المعصية؟! أتُحصلُ لذة دقيقة! ساعة! يوم! ثم ماذا؟ تذهبُ تلك اللذة ورب الكعبة، وتبقى مرارثُها في القلبِ في الدنيا، وأثرها في الدنيا، كم من شخص مسلم لا يستطيع أن يقرأ الْقُرْآن، كلها فتح المصحف يقرأ آية ايتين، مَا يستطيع أن يُكمل، ذنوبُه أثرت فيه.

كم من شخص مَا يستطيع أن يقوم الليل، لماذا؟ ذنوبه قيدته.

ب ثُمَّ مَاذَا؟

ثُمَّ الوعيد بالعذاب يوم القيامة، مَاذَا تنفعك لذةُ ساعةٍ أَوْ يوم؟ إن وجدت، هِيَ والله ذاهبة، مع مرارةٍ حاصلة ثم الوعيد.

علينا يا إخوة أن نُذكر أنفسنا بهذا أولًا، وأن نُذكرَ إخواننا وأن نتواصى بالحق ونتواصى بالصبر عَنْ المعاصي، فإن الذلة كُلَّ الذِلة لمن عصى الله يوم القيامة، وذاك هِيَ الحياة الحقيقية، الحياة الدائمة، فعلى المؤمن أن يتنبه لهذا الأمر العظيم.

(الماتن)

﴿ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ ﴾ [القلم: ٤٤] أي: دعني والمكذبين بالقرآن العظيم، فإن على جزاءهم ولا تستعجل لهم.

(الشرح)

بهذا الحَديث، قال بعضُ أهل العلم: هو الْقُرْآن.

وقال بعضُ أهل العلم: هو يوم القيامة، يُكذبون بيوم القيامة.

وقال بعض أهل العلم: هو الوعيد.

وهذه المعاني ليست مُتضادة بل كُلها مقصودة، مَنْ يُكذبُ بهذا الْقُرْآن وما فيه من أخبار يوم القيامة وما فيه من الوعيد، فكُلُّها داخلةٌ في الآية.

ف ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [القلم: ٤٤].

(الشرح)

الاستدراج يا إخوة، أصلهُ: النقل من حال إلى حال، النقل من حالٍ إلى حال، والمقصودُ: الإمهال مع الإنعام لتزداد الآثام، الله قد يُمهل العبد ليتوب، وقد يُمهلُ العبد استدراجًا، مَا هو الاستدراج؟ هو الإمهالُ مع الإنعامِ لتزدادَ الآثام، وآيةُ ذلك وعلامة ذلك: أن الإنسان مع إنعام الله عليه لا يزداد إلَّا إثها، مَا يرجعُ إلى الله، مَا يتذكر، مَا يتوب، كُلمَا أنعم الله عليه زاد إثهاً، -نعوذُ باللهِ من سوءِ الحال-.

(الماتن)

ف ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [القلم: ٤٤] فنمدهم بالأموال والأولاد، ونُمدهم في الأرزاقِ والأعمال ليغتروا ويستمروا على مَا يضرهم، وهذا من كيدِ اللهِ لهم، وكيدُ اللهِ لأعدائه متين قوي، يُبلغُ من ضررهم وعقوبتهم كُلَّ مبلغ.

(الشرح)

نعوذُ باللهِ من الاستدراجِ بالإحسان، ومن الافتتانِ بثناء الإنسان، ومن الاغترارِ بستر الرحمن، واللهِ يا إخوة هَذِه الأمور الثلاثة ينبغي على الإنسان أن ينتبه لها.

الاستدراج بالنعم، فإذا رأيت الله يُنعم عليك، ويزيدك نعمًا وأنت مقيم على معصية وأنت أعرف بنفسك من النَّاس، فانتبه واحذر، ارجع إلى الله بسرعة قبل أن يأخذك، فإن هذا قد يكون استدراجاً، والاستدراجُ يتبعه الأخذ.

وإذا رأيت النّاس يُثنون عليك، فانتبه والله أنها فتنة! نعم، المؤمنون شهود الله في الأرض، والله إذا أحب عبدًا وضع لَهُ القبول في الأرض، لكن إياك أن تفتن بثناء النّاس عليك، انظر مَا بينك وبين الله دائهًا، والله والله والله لو رفعت النّاس إلى عنان السهاء والذي بينك وبين الله فاسد؛ إنك في أسفل سافلين، ولو كنت غير معروف ولا يُثني عليك النّاس، بل ربها سبك بعض النّاس لكن الذي بينك وبين الله عامر، والله إنك في عليين، انتبه أن تُفتنَ بثناء النّاس!

راقب قلبك وأعمالك، هل الذي بيني وبين ربي عامر؟ إن كان عامراً فأحمد الله، وإن كان على غير ذلك فخف الله، والله مَا حماكَ ثناءُ النَّاس، ولا رفعكَ ثناءُ النَّاس، وإنها الذي يحميك ويرفعك هو ربُ النَّاس سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولذلك لا تغتر بالثناء ولا تترك الحق من أجل النَّاس، دائمًا راقب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ما الذي بينك وبين الله؟ وعلامة ذلك انظر لنفسك في الخلوة، انظر لنفسك في الخلوة، كيف أنت؟ إن رأيت أنك إذا خلوت بمحارم الله انتهكتها وإذا برزت أمام النَّاس تجملت وأظهرت الطاعة فاعلم أن الأمر خطير.

وإذا رأيت أنك إذا خلوت بمحارم الله تذكرت أن الله يراك، وأن الله يسمعك فاستحييت من الله الله، وقلت لنفسك: أنا استحي من إنسان أستطيع أن أضحك عليه، وأُبرر لَهُ ولا استحي من الله الذي على مَا في قلبي ويعلمُ سِري قبل أن أفكر فيه.

والآفة الثالثة: الاغترار بستر الله، الله سِتير، وبعض العلماء يقول: سَتير، يستر ويستر ويستر، لكن لا تغتر بستر الله، بل اشكر الله، يا أخي سبحان الله! عصيتَ وفعلتَ عيباً تُعابُ به فستركَ الرحمن، لماذا لا تشكر الله وترجع إلى الله؟ لماذا تغتر بستر الله وتزداد في الآثام وتزداد في الآثام؟

يا أخي زلة القدم أنت ضعيف وكل بني آدم خطاء، من منا الذي يقول: ليس لي معصية؟ كُلنا والله عُصاة، لكن الفُضلاء مِنا مَنْ يتوبون إلى الله ويرجعون إلى الله، عصيتَ وليس من شرط المؤمن ألَّا يعصي، بل كل بني آدم خطاء، ضعُفتَ فعلت ذنباً ستركَ الله، مَا علمَ أحد، خف واشكر وارجع إلى الله وتب إلى الله واترك هذا الذنب، وإياكَ أن تغتر بستر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

نرجع إلى المقطع الأخير.

(الماتن)

﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمِ مُثْقَلُونَ ۞ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ۞ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ۞ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةً مِنْ رَبِّهِ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ۞ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةً مِنْ رَبِّهِ لَكُمْ وَلَا تَكُنْ الصَّالِحِينَ ۞ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنَبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ۞ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ۞ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنَبِ لَلْعَالَمِينَ ۞ لَكُنْ لِلْعَالَمِينَ ۞ لَيُنْ لِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ۞ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرُ لِلْعَالَمِينَ ۞ لَيُنْ لِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ۞ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرُ لِلْعَالَمِينَ ۞ لَلْكُولُ لِلْعَالَمِينَ ۞ السَلِمَ: ٢٤-٥٢].

(الشرح)

يُبيّنُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أنه ليس لنفور المشركين من النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبب، فهو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء بالحق المُبين، وعلى خُلقٍ عظيم يدعوهم إلى الهُدى ويتعب نفسه في البيانِ لهم بدون أن يطلب منهم شَيْئًا لنفسه، فاللهُ عَزَّ وَجَلَّ يقولُ لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنت يا مُحَمَّد تدعوهم إلى خيرهم، ولا تطلبُ منهم لنفسكَ شَيْئًا من مالِهم، فلا تُثقلهم بشيء، بل ترجو ثوابَ ذلك من ربك، فلماذا يُعاندونك؟ ولماذا يُكذبونك؟ ولماذا يكفرونَ بها جئت به؟

الذي جئت به حقٌ واضح وأنتَ على خلق عظيم، وأنتَ لم تطلب شَيْءًا من الدنيا؛ إذاً لا سبب لكفرهم، ولا سبب لتكذيبهم ولا سبب لنفورهم سوى الكفر سوى الكبر، والعناد وظلمة النفوس، نفوسهم مظلمة مُتكبرة مُتجبرة عَنْ الحق، وبهاذا يُجادلونك ويزعمون غير مَا تقول، أعندهم اللوحُ المحفوظ يكتبون منه كُتبًا يجدونها عندهم وفيها مَا يزعمون، من أن الله لن يُعذبهم يوم القيامة، وأنهُم لو بعثوا فَإنهُم سيكونون مكرمين.

أم أن الله كشف لهم الغيب فعرفوا أَنْهُم على حق، وأَنْهُم على خير، وكُلُّ ذلك لم يكن يقيناً، فدعواهم باطلة، وأخبارهم كاذبة، فليس عندهم سوى العناد، وليس للعناد سوى الصبر.

الذي يُعاند مَاذَا تفعل به؟ أن جئته يميناً ذهب شهالاً، وإن جِئته شهالاً ذهب يميناً، وإن تقدمت في الإمام ذهب إلى الخلف، وإن ذهبتَ إلى الخلف تقدم إلى الإمام، ليس للعناد إلَّا الصبر.

وهنا فائدة تربوية يذكرها العلماء، يقولون: إذا ظهر لكَ أن الذي أمامك مُعاند فلا تجادل وأصبر، حتى البيت، إذا ظهر لك مثلًا: أن الزوجة مُعاندة مَا عندها إلَّا العناد، لا تجادلها، لأنك لن تصل إلى خير، وستتفاقم الأمور وستزداد المشكلة.

فالمقصودُ هنا: أنه ليس عندهم إلَّا العِناد، وليس للعِنادِ إلَّا الصبر، ولذلك أمر الله نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، عَلَيْهِ وَسَلَّم أن يصبر على وعلى عنادهم وعلى أذيتهم لَهُ، فإن العاقبة لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وللمؤمنين وأصبر أيضًا لأمر الله بتبليغ دينه ولا يصدنكَ عَنْ ذلك عناد الكُفار، وأذى الكَفار، فأصبر لحكم الله، شرعًا وقدرًا، اصبر لحكم الله شرعًا، بالثبات على الدين وتبليغ الدين، وأصبر على حكم الله قدرًا من أنه لن يدعو أحد، بل لن يتمسك أحد بالخير إلَّا ويؤذى، لا تحسبنَ أنك إن تمسكت بالخير لن يأتيك أذى، بل قد يأتيك الاذى من أقرب النَّاس إليك، فأصبر لحكم ربك، وأثبت على لن يأتيك أذى، بل قد يأتيك الاذى من أقرب النَّاس إليك، فأصبر لحكم ربك، وأثبت على

الحق والهدى فإن كل مَا يجري بقضاء الله وقدره لحكم عظيمة ولا تكن كنبي الله يونس ابن متى عَلَيْهِ السَّلَامُ صاحب الحوت، حيثِ غضب من اصرار قومه على الكفر دعاهم ودعاهم ودعاهم ودعاهم فأصروا وعانوا، ولم يؤمنوا فغضب عَلَيْهِ السَّلَامُ من عنادهم وأيسَ منهم، وتعجلَ في مفارقتهم، قبل أن يأذن الله له فركب البحر في ليفارق القوم الكافرين، فهاج البحر واغتنم فاقترع أهل السفينة لرمي أحدهم مع متاعه، من أجل تخفيف السفينة، فكان عليه عَلَيْهِ السَّلامُ، فألقي في البحر فالتقمه الحوت، فكان في ظلمة بطن الحوت في ظلمة البحر.

وهناك سمع تسبيح مَا في البحر لله، فلما سمع ذلك وَهُوَ محبوسٌ في مكانٍ ضيق مُظلم، سَبَحَ الله سُبْحَانَهُ تَعَالَى وقد كان في غاية الهم وغاية الكرب عَلَيْهِ السَّلامُ فسبح الله ونادى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٨]، دعوة احفظوها يا إخوة فوالله مَا وضعها أحد في دعائه صادقا إلَّا استجيب لَهُ، بهذا أخبر النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا جعلها أحد في دعائه صادقا فيها إلَّا استجيب لَهُ، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾.

﴿ فَلُولًا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿ لَكِبِهُ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الصافات: ١٤٣-١٤]، أوْ رمي في أرض فضاء واسعة لا جبالَ فيها ولا شجر لكنه كان قبل ذلك من العابدين، فعرف الله في الرخاء، وعندما ضاق به الأَمْر كان من الموحدين، فهو عَلَيْهِ السَّلَامُ عابدٌ سابقًا، موحدٌ عند الضيق، دعا الله وسبح الله فاستجاب اللهُ نداءهُ مباشرة، ونجاه وقربه واصطفاه، واختاره وجعله بعد ابتلائه من الكاملين في الصلاح، وقبلَ شفاعته في قومه وأرسله إلى مئة ألف أوْ يزيدون.

فصبر النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صبر أُولِي العزم من الرسل، وزاد أذى الكُفار لَهُ، وزادت عداوة الكُفار لَهُ وكانوا يحسدونه، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأرادوا قتلهُ بالعين، والعينُ حَقّ، وكان هنالك رجل يُعرفُ بقوة العين، فذهب إليه كُفار قُريش، وطلبوا منه أن يُصيب النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالعين، فنظر بيتا يمدحُ به النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمعيان إذا مدح أصاب، فحفظ الله نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمعيان إذا مدح أصاب، فحفظ الله نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعينِ ذلك المعيان.

فازداد أذى الكفار وازدادت عداوتهم وصاروا ينظرون إلى النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ الشرر يتطاير من عيونهم ومن قوة عداوتهم وقوة نظرتهم إلى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكاد أن يقع النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ذلك، ولكن الله يحفظه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وآذوه بألسنتهم، فقالوا إنه لمجنون لمجيئه بالقرآن -كما تقدم-، هم كانوا يمدحونه، فلما جاء بالقُرْآنِ قالوا كذاب، قالوا مجنون، وما الْقُرْآنُ وما مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَّا ذِكرى للعالمين، ذِكرى للجن والإنس، يتذكرون بها وشرف للعالمين، شرف للجن والإنس والله الْقُرْآن ذِكرى لصاحبه إن تدبره، وشرف لصاحبه يعلو به الإنسان في الدنيا والآخرة، إن أخلص لله.

ومحمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، شرفٌ لاتباعه، شرفٌ في الدنيا وشرفٌ في الآخرة، نعم والله الشرفٌ لكم أنتم يا مَنْ صدقتم بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، واللهِ لا شرفَ لمن كذبَ بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، واللهِ لا شرفَ لمن كذبَ بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، الشرفُ والعز لمن آمن بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، الشرفُ والعز لمن آمن بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، الشرفُ والعز لمن آمن بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، شرفٌ في الدنيا وشرفٌ في الآخرة، حيثُ تكون أمة مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم نصف أهل الجنة، وأولُ من يُفتح لَهُ باب الجنة هو مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم؛ فهذا هو الشرف.

إذًا ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: وما الْقُرْآنُ، وما مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَّا ذِكرى للعالمين، ومعنى (الذكرى) كما قلنا إنها مُذكرة يُتذكرُ بها وأَنهَا شرفٌ لأصحابها.

نرجعُ إلى الآيات نُفسرها آيةً آية.

(الماتن)

﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمِ مُثْقَلُونَ ﴾ [الطور: ٤٠]، أي ليس لنفورِهم عنك وعدم تصديقهم لك سببٌ يُوجبُ لهم ذلك، فإنك تُعلمهم وتدعوهم إلى الله لمحضِ مصلحتهم من غير أن تطلب من أموالهم مغرمًا يثقلُ عليهم.

﴿ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [الطور: ٤١]، مَا كان عندهم من الغيوب، وقد وجدوا فيها أَنْهُم على حَقّ، وأن لهم الثواب عند الله.

(الشرح)

الغيب، قال بعض المُفسرين: هو اللوح المحفوظ، الذي كُتبَ فيه كُل شيء. وقال بعض أهل العلم: هو مُطلق الغيب.

يعني من اليقين أنه ليس عندهم اللوح المحفوظ وما وصلوه، ومن اليقين أَنْهُم لا يعلمونَ الغيب؛ فمن أين جاءوا بهذه الخُزعبلات وهذه الدعاوى وهذا الكُفر؟

(الماتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: فهذا أمرٌ مَا كان، وإنما كانت حالهم حالَ مُعاندٍ ظالم، فلم يبقَ إلّا الصبر لأذاهم والتحمل لما يصدرُ منهم والاستمرارُ على دعوتهم، ولهذا قال: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ [القلم: ٤٨]، أي لما حكمَ به شرعًا وقدرًا، فالحُكمُ القدري يُصبرُ على المؤذي منه ولا يتلقى بالسخطِ والجزع، والحُكمُ الشرعي يُقابلُ بالقبولِ والتسليم والانقيادِ التام لأمره.

وقوله: ﴿ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ ﴾ [القلم: ٤٨] وَهُوَ يونسُ بن متىٰ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ أي ولا تُشابهه في الحال التي أوصلته، وأوجبت لَهُ الانحباسَ في بطن الحوت، وَهُوَ عدم صبرهِ علىٰ قومهِ الصبرَ المطلوبَ منه، وذهابهُ مغاضبًا لربهِ، حتىٰ ركب في البحرِ فاقترع أهلُ السفينةِ حين ثقلت بأهلها أيهم يُلقون لكي تَخفَ بهم، ووقعت القُرعةُ عليه ﴿ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ [الصافات: 15٢].

وقوله: ﴿إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾ [القلم: ٤٨] أي: وَهُوَ في بطنها قد كظمت عليه، أَوْ نادى وَهُوَ مُغتمٌ مُهتم.

(الشرح)

(كظمت عليه) يعنى ضاقت عليه.

(الماتن)

أَوْ نادى وَهُوَ مُغتمٌ مُهتم فقال: ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧]. (الشرح)

انتبهوا هنا يا إخوة إلى ملحظ: قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾ [القلم: ٤٨]، فطوى الله مَا نهى عنه ، لأَنه يا إخوة ﴿ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ ﴾ في ماذا؟ هل هو في كونه نادى وَهُوَ مكظوم، ودعا وَهُوَ مكظوم، ووحدَ وَهُوَ مكظوم؟ لا والله، إذًا طوى الله مَا نهى عنه النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذكرَ آخر القصة.

فيُنتبه لهذا: المنهي عنهُ مطويٌّ عُلم من القصة في موضع آخر.

فاستجاب اللهُ لَهُ وقذفتهُ الحوتُ من بطنها بالعراءِ وَهُوَ سقيم، وأنبت الله عليه شجرةً من يقطين. (الشرح)

يعني ﴿ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةُ مِنْ رَبِّهِ ﴾، (نعمة من ربه) مَا هَذِه النعمة؟ قال بعض أهل العلم: النبوة، وقال بعض أهل العلم: العبادةُ السابقة والدعوةُ اللاحقة، فهي سببُ نعمةِ ربه عليه.

﴿ لَنُبِذَ ﴾ لرُبِيَ، ﴿ بِالْعَرَاءِ ﴾ العراء هِيَ الأَرْضِ الواسعة التي لا جبالَ فيها ولا شجر، ﴿ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴾ يعني وَهُوَ مُلامٌ على مَا فعل، لكن ذلكَ لم يكن؛ وإنها استجابَ الله دُعاءهُ فَنُبذَ في مكانٍ طيبٍ وَهُوَ سقيم، وليس ملوماً وإنها وَهُوَ سقيم، ورعاها الله عَزَّ وَجَلَّ.

(الماتن)

ولهذا قال هنا: ﴿ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكُهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ ﴾، أي لطُرحَ في العراءِ وَهِيَ الأَرْضُ الخالية، ﴿ وَهُوَ مَدْمُومٌ ﴾ ولكن الله تغمده برحمته فنُبذَ وَهُوَ ممدوح، وصارت حالهُ أحسنَ من حالهِ الْأُولُيٰ، ولهذا قال: ﴿ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ ﴾ أي: اختاره واصطفاه ونقاه من كُلِّ كَدر.

(الشرح)

نعم، اختاره واصطفاه، وقربه.

وهذه فائدةٌ من فوائد الابتلاء؛ فإن بعض النَّاس يقول: لماذا يبتلي الله من يُحبُّهم؟

الابتلاء يا إخوة لَهُ ثلاث فوائد:

◄ الفائدة الأوْلَىٰ: أنه تكفيرٌ للذنب.

◄ الفائدة الثانية: أنه تنبيهٌ من الغفلة، كم من شخص يا إخوة كان عاصياً فأخذ الله ابنه فرجعَ إلى الله.

◄ والثالثة: زيادة الدرجة في الجنة، فالله يبتلي مَنْ يُحب ليُكفرَ ذنبه إن كانَ عليه ذنب، وليُنبههُ من غفلةً إن غفلَ في شيء، أَوْ ليرفعَ درجتهُ في الجنّة إن لم يبلغ ذلكَ بعمله.

﴿ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ أي: الذين صلحت أعمالهم وأقوالهم ونياتهم وأحوالهم، فامتثل نبينا مُحَمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر الله، فصبرَ لحُكم ربهِ صبرًا لا يُدركهُ فيهِ أحدٌ من العالمين، فجعل اللهُ لَهُ العاقبةُ والعاقبةُ للمتقين.

ولم يبلغ أعداءه فيه إلّا مَا يسوؤهم، حتى أَنْهُم حرصوا على أن يزلقوه بأبصارهم، أي يُصيبوه بأعينهم من حسدهم وحنقهم وغيظهم، هذا مُنتهى مَا قدروا عليه من الأذى الفعلي، والله حافظه وناصره.

وأما الأذى القولي فيقولون فيه أقوالًا بحسب مَا تُوحي إليهم قلوبهم، فيقولون: تارة مجنون وتارة شاعر وتارة ساحر.

قال تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرُ لِلْعَالَمِينَ ﴾، أي وما هذا الْقُرْآنُ العظيم والذكرُ الحكيم إلا ذِكرٌ للعالمين، يتذكرون به مصالح دينهم ودُنياهم، والحمدُ لله.

(الشرح)

وقلت لكم ﴿وَمَا هُوَ ﴾ بعض المفسرين قالوا: أي الْقُرْآن، وبعض المفسرين قالوا: مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكلاهما مُراد.

و ﴿ ذِكْرٌ ﴾ قيل: يتذكرُ به، وقيل: شرفٌ، وكلاهما مُراد.

وبهذا نكون ختمنا تفسير سورة القلم.

نختم سريعاً ببعض حكم السورة، من حكم السورة:

حميب ثقيل، والعلماء يقولون: كُلما شرف عظيم، ولذلك يا إخوة لا يصبرُ على العلم إلا الأشراف، العلم صعب ثقيل، والعلماء يقولون: كُلما شرف الشيء كلما تعب الإنسان في طريقه إليه، الجنة غالية فأنت تتعب في الطريق إليها، الجنة لا تُنال إلا على جسرٍ من التعب، العلم شريف ولذلك لا يُنال إلا بالصبر، الجلوس تسمع خمس دقائق عشر دقائق ربع ساعة، بعد كذا يأتيك النوم، يأتيك الكسل، يأتيك الشيطان، يحتاج أن تصبر.

الفائدة الثانية: شرف رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فهو سيدُ ولدُ آدم، وخيرُ مَنْ خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

- ➤ الفائدة الثالثة: خطورةُ مُجالسةِ أهل الاهواء الذين يزينون الباطل بالأقاصيص والكذب والحف، ويُقبحون الحَقَّ بوصف أهلهِ بالأوصافِ الباطلة.
- الحكمة الرابعة: أن أعظم نعمةٍ على أهل الأَرْض هِيَ بعثةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والوحيُ الله، فَمَنْ قبلها عاشَ حياةً طيبة، ومن أباها عاشَ حياةً ضنكًا في الدنيا والآخرة.
- ◄ الفائدةُ الخامسة: أن مَنْ لم يشكر الله على النعمة، أوشك أن يحرمهُ منها، أن مَنْ لم يشكر الله على النعمة أوشك أن يحرمهُ منها.
- ◄ الفائدةُ السادسة: أن النيّة على الشر مع بعض العمل يُؤاخذُ بها الإنسان، يعني مَنْ نوى على الشر وسعى فيه ولو لم يعملهُ؛ فإنه يُؤاخذُ به، ويُعاقبُ به، أما النيّة بدون عمل فلا يُؤاخذ بها الإنسان –أعني نية الشر –، لكن إن وسعى، يعني –والعياذُ بالله أجارني الله وإياكم –، نوى الزنا فخرج من بيته ليزني حتى لو لم يحصل منه الزنا يُعاقب على هذا؛ لأنّهُ نوى وصدرَ منه بعض العمل.

وهذا الذي كان من أهل البُستان، أهل الجنة؛ فَإِنَهُم مَا حرموا المساكين لكنهم نووا وعملوا ودبروا وخرجوا، فعاقبهم الله وأحرق جنتهم.

- ◄ الفائدةُ السابعة: أن نجاحَ الداعية في استغنائهِ على أيدي النَّاس، وفي عدمِ طلبهِ من النَّاس شَيْئًا، يا طالب العلم، يا مَنْ تُعلم النَّاس، يا مَنْ تدعو إذا أردتَ أن تنجح في دعوتكَ بعد إخلاصك لله عَزَّ وَجَلَّ فلا تطلب من النَّاس شَيْئًا، أعطهم الخير ولا تطلب منهم شَيْئًا، ذلك من أعظم أسباب نجاح الدعوة، ومن أعظم أسباب نجاح تعليم الإنسان للناس أن يستغنيَ على في أيدي النَّاس، ولا يطلب من النَّاس شَيْئًا.
- الحكمة الثامنة: أن نجاح الإنسان وخيرَ الإنسان في جميع أموره يكونُ بالصبرِ، الصبرُ مفتاح كُلِّ خير، فمن رُزقَ الصبر فقد رُزقَ الخير في جميع الأمور، في الخير والشر، يعني في الخير والبلاء، إذا رُزقَ الإنسان الصبر فصبرَ على الطاعة وصبرَ عَنْ المعصية وصبرَ على البلاء؛ فقد نجح وأفلح.

وبهذا نختم كلامنا عَنْ تفسير سورة القلم، أسألُ الله عَزَّ وَجَلَّ أن يجعله مما ينفعنا في الدنيا، ومما نُرفعُ به عند لقاء ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.



إِنْ شَاءَ اللهُ الليلة بعد التراويح في هذا المكان عندنا محاضرة عَنْ أمرٍ مهم جدًّا يتعلق بالقلوب، وأهم مَا في الإنسان القلب، إِنْ شَاءَ اللهُ بعد أن نصلي التراويح والليلة ليلة ثلاثة وعشرين، نجلس هنا نذكر الله، ومن أشرف الأعمال أن تجلس في حلقة علم في مسجد رَسُول الله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، فهو عملٌ نرجو أن يتقبله الله مِنا، ولعلها أن تكون ليلة القدر.

والإخوة القائمون على الدروس جزاهم الله خيرًا رتبوا، وهذا بالنسبة لمرآة الحرمين أو منارة الحرمين، رتبوا أن تُترجم المحاضرة إلى عشر لغات حية فورًا، ثم تثبت بعد ذلك إنْ شَاءَ الله مع المحاضرة؛ ليستفيد الإخوة الذين لا ينطقون بالعربية من المحاضرة بمتابعتها في منارة الحرمين، فمن كان يعرف أحدًا ممن لا يعرف العربية يُخبره بهذا وأن المحاضرة ستكون على منارة الحرمين مترجمة هناك أيقونة للترجمة، يختار اللغة التي يريد ويتابع إنْ شَاءَ الله.

أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أَن يُبارِك فِي الجهود، وأن يجعلنا خادمين لامة مُحَمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَىٰ وَأَعْلَمُ.

وَصَلَّ اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ. وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.



فهرس المجالس

۲	•••	* * •	• • •	• • •	• •	•••	• • •	••	* * •	• • •	••	• • •	• • •	••	••	• •	• • •	• • •	• •	••	• • •	••	• •	• • •	• •	• • •	•••	• • •	• • • •	• • •	• • •	(1)	لس	المج
١٤	•••	• • •	•••	• • •	• • •	* * 4	•••	••	• • •	• • •	••	• • •	• • •	••	••	• • •	• • •	•••	••	••	•••	• • •	• • •	•••	• • •	• • •	•••	• • •	• • • •	• • •	• • •	(۲)	لس	المج
۲۰	١	• • •	• • •	• • •	• • •	• • •	•••	••	• • •	• • •	••	• • •	• • •	••	••	* * •	• • •	• • •	• •	••	• • •	••	• • •	• • •	• • •	•••	•••	* * 4	• • • •	• • •	• • •	(٣)	لس	المج
٣,	٠	• • •	• • •	* * •	• • •	* * •	• • •	••	• • •	• • •	••	• • •	• • •	••	••	* * ·	• • •	• • •	• •	••	• • •	••	* * •	• • •	* * •	• • •	• • •	* * 4	• • •	• • •	• • •	(\$)	لس	المج
٥١	' ••	• • •	• • •	* * •	• • •	* * (• • •	••	* * •	•••	••	• • •	• • •	••	••	• •	• • •	• • •	••	••	• • •	••	* * •	•••	* * •	•••	•••	* * 4	• • •	• • •	• • •	(٥)	لس	المج
٦٠	١	• • •	• • •	* * •	• • •	* * 4	• • •	••	* * •	• • •	••	• • •	• • •	••	••	* * ·	• • •	• • •	••	••	• • •	••	* * •	• • •	• • •	• • •	• • •	* * 4	• • •	• • •	•	(٦)	لس	المج
۸۱	۳.,	• • •	• • •	* * •	• • •	* * (• • •	••	* * •	•••	••	• • •	• • •	••	••	• •	• • •	• • •	••	••	• • •	••	* * •	•••	* * •	•••	• • •	* * (• • • •	• • •	• • •	(Y)	لس	المج
١٠	١	••	• • •	• • •	• • •	• • •	• • •	••	• • •	• • •	••	• • •	• • •	••	••	• • •	• • •		• • •	••	•••	••	• • •	• • •	• • •	• • •	•••	• • •	• • • •	••	لس	لجاا	بس ا:	فهر

تفسير جزء تبارك

(سورة الحاقة)

من كتاب:

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان

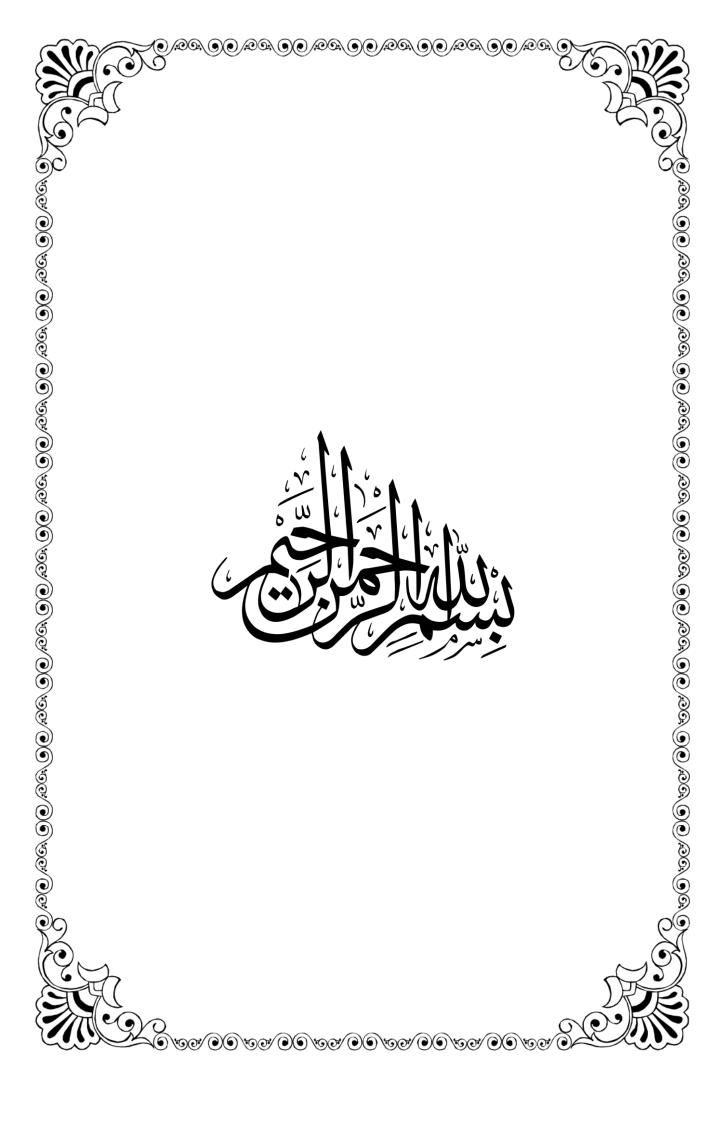
لِلشَّيْخُ العَلَّامَة

عَبْدُ الرَّحْمَن بِن ناصِر بِن عَبْدُ اللّهِ بِن سِعْدِيًّ وَحَمُهُ اللّهُ عِنْ سِعْدِيًّ وَحَمُهُ اللّهُ

شَرْحُ فَضِيلَةُ الشَّيْخ

أ.د: سليمان بن سليم الله الرحيلي

غَفَرَ اللّٰهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ





السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغَفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِي اللهُ، فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا أَلهُ وَرَسُولُهُ. لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ۞﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رَجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۞﴾ [النساء: ١].

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۞ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الهُدَىٰ هُدَىٰ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

ثميا معاشر الفضلاء؛ إننا نحمد الله عَزَّ وَجَلَّ أن بلغنا شهر رمضان، ونسأله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يُبلغنا كهالَهُ وتمامه عَلَىٰ الوجه الَّذِي يُرضيه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن يجعلنا فيه من عباده السابقين إلى الخيرات، العتقاء من النَّار.

معاشر الفضلاء؛ درسنا في التفسير، وقبل أن نشرع في الدرس أذكر لكم فائدة رمضانية قصيرة، وهكذا في كل يوم إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.



وفائدة اليوم: أن السلف الصالح رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِم كانوا يعتنون بالعبادة في رمضان، عناية عظيمة، وكانوا يعتنون بالوقت في رمضان عناية عظيمة، فكانوا يُعظمون العبادة في رمضان، حَتَّىٰ قال بعضهم: "إن تسبيحةً لله في رمضان خيرٌ من ألف تسبيحة في غير رمضان".

وكانوا يُعظمون الوقت في رمضان، فيحرصون على اغتنامه في العبادات، والتقرب إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ، حَتَّىٰ أَنْهُم كانوا يُقلون لقياهم للناس حَتَّىٰ لا يضيع الوقت في المباحات، فكان منهم من يلزم المسجد إذا كان صائمًا، رغبة في اغتنام الوقت في عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فحقيق بالواحد منا أن يكون الوقت في رمضان أنفس عنده من الذهب والفضة ومن نفائس الأموال، فإن المرحوم من اغتنم شهر رمضان فيها يُقربه إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإن المحروم من قعد عَنْ الاجتهاد في العبادة في رمضان، ولو لم يفعل حرامًا، فإن فعل حرامًا كان أشد حرمانًا، فالله الله معاشر المؤمنين، الله الله في أوقات هذَا الشهر، فَإِنَّهَا هِيَ أيام معدودات سرعان مَا تنقضي، فأكرموا فيهن أنفسكم بطاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى والبعد عَنْ معاصيه.

معاشر الفضلاء؛ إن شهر رمضان شهر القرآن ففيه أنزل القرآن: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وكان نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسَرُّ بهذا جدًّا حَتَّىٰ يُدارسه جبريل عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسَرُّ بهذا جدًّا حَتَّىٰ أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسَرُّ بهذا العظيمة أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين يلقاه جبريل يكون أجود بالخير من الريح المرسلة لهذه النعمة العظيمة التَّتِي هِيَ مدارسة القرآن مع جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

والقرآن والصيام يُحققان التقوى، قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ وَالطَرْقَ: ٢]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مَنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

والصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، كما قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ، مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ، يَشُولُ الْقَرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ»، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَيُشَفَّعَانِ».

فالقرآن شأنه في رمضان يعظم، وشأن تلاوته في رمضان يعظم، فحقيقٌ بالمؤمن أن يعتني بالقرآن في رمضان تلاوة وتدبرًا ومعرفةً للمعاني، فإن هذَا القرآن إنَّمَا أُنزل ليُتَدبر وليتذكر به أولو الألباب: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكُ لِيَدَّبَرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ۞ ﴾ [ص: ٢٩].

ومن هنا رأينا أن يكون درسنا في رمضان في تفسير القرآن الكريم، في تفسير جزء تبارك؛ حيث سبق أن فسرنا بحمد الله عَزَّ وَجَلَّ جزء عمَّ في هذَا المسجد، وسبق بحمد الله أن فسرنا من جزء تبارك: سورة تبارك وسورة القلم، فنبدأ درسنا في هَذِه السنة من تفسير سورة الحاقة، وإذا بقي عندنا وقت في آخر الشهر إِنْ شَاءَ اللهُ، فإنا نعود إلى سورة تبارك وسورة القلم ليسمع منا مَنْ لمَ يسمع منا فيا مضى. وطريقتنا كطريقتنا السابقة نقرأ عددًا من الآيات، ثمَّ نفسرها تفسيرًا موضوعيًا إيهانيًا إجماليًا، ثم نقرأ تفسير السعدي رَحِمُهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ونُعلق عليه، ثم إذا ختمنا السورة نذكر الحكم الكلية، والفوائد الكبرى من السورة، فنشرع فيها قصدنا مستعينين بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَلَى، فيتفضل الابن نور الدين وَقَقَهُ اللهُ والسامعين يقرأ لنا الآيات الأول من هَذِه السورة.

أُعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

﴿ الْحَاقَةُ ۞ مَا الْحَاقَةُ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَةُ ۞ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ۞ فَأَمَّا تَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۞ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةً فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۞ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَة فَأَهْ لِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۞ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَة أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقُوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَارُ نَعْلٍ خَاوِيَةٍ ۞ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ۞ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ۞ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ۞ إِنَّا لَمَا عَمَلُوا مَعْنَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ۞ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِينَهَا أُذُنُ وَاعِيَةً ۞ [الحاقة: ١- لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ۞ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِينَهَا أُذُنُ وَاعِيَةً ۞ [الحاقة: ١- لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ۞ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِينَهَا أُذُنُ وَاعِيَةً ۞

هَذِه السورة سورة الحاقة، سورة مكية بإجماع العلماء، والسورة موضوعها يوم القيامة، فالسورة تتحدث عَنْ يوم القيامة، فأولها فيه ذكر بعض الأمم الَّتِي كذبت بيوم القيامة، وما حل بها من العذاب بسبب كفرها وتكذيبها، وفي هذَا تهديدٌ شديد لمن يُكذبون بالبعث، ويكفرون بيوم القيامة، فإن عذاب الله ليس بعيدًا عَنْ الظالمين.

ثم ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ أمورًا تقع يوم القيامة، ولا سيها مَا يتعلق بأعهال العباد، وعرض العباد على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ثم ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ صدق الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقينًا وَهُوَ الَّذِي جاءنا بالوحي من عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فأبلغنا القرآن، وأخبرنا بسنته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أمورٍ تقع يوم القيامة، فكل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فأبلغنا القرآن، وأخبرنا بسنته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أمورٍ تقع يوم القيامة، فكل السورة تتحدث عَنْ يوم القيامة.

وفي هَذِه الآيات الَّتِي استمعنا إليها يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ الْحَاقَةُ ١٠﴾، والحاقة: هِيَ القيامة الثابتة الواقعة حقًا بذاتها وأهوا لها، وَالَّتِي يتحقق فيها الوعد والوعيد بالكافرين، أَوْ بالعصاة الَّذِينَ لا يشاء الله العفو عنهم، فهي حاقة؛ أي ثابتة، أي واقعة يقينًا بلا شك، وفيها يتحقق وعد الله عَزَّ وَجَلَّ للموحدين، ويتحقق وعيد الله عَزَّ وَجَلَّ للكافرين، كما يتحقق الوعيد ويلحق بالعصاة الَّذِينَ هم من أهل التوحيد، ولم يشأ الله عَزَّ وَجَلَّ أن يعفو عنهم، بل حكم بعدله أن يُعذبهم بذنوبهم، فيتحقق الوعد والوعيد فيها.

ثم عظم الله شأنها، وفخمه بقوله سُبْحَانَهُ: ﴿ مَا الْحَاقَّةُ ۞ ﴾؛ أي مَا هِيَ هَذِه الحاقة الواقعة حقًا في صفتها وحالها؟ وأي شيء عرفك يا رسولنا حقيقة القيامة، وصور لك شدتها، وصعوبتها؟ إن لها لشأنًا عظيمًا، وهو لا جسيمًا، إنك يا رسولنا ومعك المؤمنون قد عرفتم حال القيامة بوصفها، لكن المعاينة أشد وأعظم.

هَذِه الحاقة العظيمة قد كذَّب بها أقوام كانوا أهل شدة في الدنيا، فكانت عاقبة أمرهم الهلاك والعذاب، وَهاذَا الهلاك والعذاب في شؤمه وقوته يُعطي العقلاء صورةً من أهوال يوم القيامة، ويُنبههم إلى قدرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على عباده في الآخرة والأولى.

فقد كذب ثمودٌ قوم صالح أهل الحجر بها، وهِيَ القارعة الَّتِي تقرع القلوب وتطرقها وتجعلها تتحرك بقوة كأنها تنخلع من مكانها، وتقرع الأسماع بشدة، فأهلكهم الله عَزَّ وَجَلَّ بصيحة عظيمة فظيعة جاوزت الحد في شدتها وفظاعتها، فتقطعت قلوبهم بها، وأزهقت أرواحهم.

وكذبت عاد وهم قوم هود في حضرموت بتلك الحاقة القارعة، فأهلكهم بريح قوية شديدة البرودة عالية الصوت، فصوتها أعلى من شدة الرعد مع شدة هبوبها وقوة بردها، فعتت عَلَىٰ قوم عاد وزادت عليهم، سلطها الله عليهم سبع ليال وثهانية أيام متتابعة، لا تنقطع عنهم لا ليلًا ولا نهارًا، بنحسها وشرها وعذابها وشدة فظاعتها، فأهلكتهم ودمرتهم.

فترى يا من تُخاطب بهذا القرآن، ترى بقلبك حالهم وقد أُهلكوا، وبعينك لو كنت ناظرًا إليهم في ذلك الوقت تراهم هلكى موتى صرعى كأنهم لطول أجسامهم وشدة مَا نزل بهم كنخل مُنقلع من جذوره، ساقطٍ على الأَرْض، متراكم بعضه على بعض، مجوف ليس في داخله شيء، مقطوع الرأس، فهل تعلم أَوْ غيرك لثمود وعاد من نفس باقية نجت من عذاب ربها؟ لا شك أن الجواب: لا.

وهذا الهوان والعذاب والإهلاك شأن كل أمة كفرت بربها، وكذبت رسولها، وكفرت بيوم القيامة، فلم تُؤمن بذلك، فقد جاء فرعون الظالم المتجاوز كل حد في ظلمه ومن سبقه من الأمم الظالمة، والمؤتفكات الَّتِي هِيَ: قرى قوم لوط الَّذِينَ انقلبت بهم ديارهم بالخاطئة.

فجاء كل أولئك الطغاة المكذبون برسلهم وبالحاقة بالأفعال الخاطئة الطاغية بكفرهم مع ما انضم إلى ذلك من معاصيهم، واجتمعوا جميعًا في أنهُم عصوا رسل ربهم الَّذِينَ أرسلهم إليهم ربهم يأمرونهم بالتوحيد، وينهونهم عَنْ الشرك وتلك المعاصي، ويُخبرونهم عَنْ الجزاء والبعث وعن يوم القيامة، فلم يُؤمنوا لهم، ولم يؤمنوا بهم، بل كذبوا وتجبروا وتكبروا فأخذهم الله أخذة بالغة في الشدة زائدة عَنْ الحد، فجمع لهم بين التعذيب والإهلاك، عذبهم ثُمَّ أهلكهم.

ومن جملة أولئك الأمم المكذبين برسلهم، والمكذبين بالحاقة، والمستهزئين بذلك: قوم نوح اللّذين مكث فيهم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ ألف سنة إلَّا خسين عامًا يدعوهم إلى التوحيد وينهاهم عَنْ الشرك وعن المعاصي، فما آمن لَهُ إلَّا قليل، فأهلك الله عَزَّ وَجَلَّ المكذبين لَهُ، الجاحدين العذاب والحاقة بالماء اللّذي طغى وجاوز حده فغطى كل شيء على الأرْض، فلم يكن لهم عاصم من عذاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا جبل يرقونه، ولا كهف يدخلونه.

ونجَّى الله المؤمنين ونوح عَلَيْهِ السَّلَامُ من هذَا الهلاك والعذاب، وامتن عليهم وعلى ذريتي من بعدهم بأنه سُبْحَانَهُ وَبَعَالَ، سفينة صنعها نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ بأمر ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَ، وهم يحملون في أصلابهم الذرية من بعدهم.

فكل من بعد أولئك القوم قد نُجِّي بذلك، ليجعل الله تلك السفينة، وتلك الحادثة العظيمة الَّتِي فيها إهلاك الكافرين وإنجاء المؤمنين ليجعل ذلك عبرة وعظة لأصحاب القلوب السليمة، ولتحفظها كل أذن حافظة لا تنسى وليست غافلة، بل تتذكر بها تسمع، فتتذكر وتفهم وتعتبر، وتعرف فتشكر، وهذا شأن أولى الألباب، والقلوب السليمة.



بخلاف أهل التفريط، والغفلات والكبر فَإِنَهُم لا يتعظون بالآيات، ولا يعتبرون بالقصص الواقعات، ولا تنفعهم الزواجر والمواعظ، ففي هَذِه الآيات تذكيرٌ بها فعله الله عَزَّ وَجَلَّ بأقوام مَا آمنوا بالرسل، ولا آمنوا بيوم القيامة، وفي ذلك تهديدٌ لمن يسير على طريقهم، فيُكذب الرسل، أَوْ يُنكر البعث، ويُنكر يوم القيامة بأنَّ عذاب الله عَزَّ وَجَلَّ قد يناله في الدنيا قبل الآخرة، فعذاب الله ليس بعيد عَنْ الظالمين.

هذَا التفسير الموضوعي الإيماني الإجمالي لهذه الآيات، ثم نقرأ مَا سطره الإمام المفسر الفقيه الأصولي المتفنن: عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ في تفسيره، ونُعلق عليه.

(المتن)

قَالَ الإمام عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى وغفر لَهُ ولشيخنا والسامعين: في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الْحَاقَةُ ۞﴾ من أسماء يوم القيامة؛ لأنها تحق وتنزل بالخلق، وتظهر فيها حقائق الأمور، ومخبآت الصدور.

(الشرح)

الحاقة من أسماء يوم القيامة، سميت بالحاقة، لأَنَهَا تحق -أي تقع- وتنزل بالخلق وتظهر فيها حقائق الأمور ومخبئات الصدور، وَهِيَ أيضًا ثابتة، والحق: هو الثابت، وقيل: الحاقة أي الخاصمة لكل مبطل، فيوم القيامة يخصم فيه المبطلون، فلا تبقى لهم حجة، ولا يبقى لهم عذر، ولا تقوم لهم خصومة يوم القيامة.

(الماتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: فعظم تَعَالَىٰ شأنها وفخمه بما كرره من قوله: ﴿الْحَاقَّةُ ۞ مَا الْحَاقَّةُ ۞ وَمَا الْحَاقَةُ ۞ أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَةُ ۞ فإن لها شأنًا عظيمًا وهو لا جسيمًا.

(الشرح)

الله عَزَّ وَجَلَّ فخم شأن يوم القيامة بهذا الأسلوب: ﴿ الْحَاقَةُ ۞ مَا الْحَاقَةُ ۞ سؤالٌ يُراد به التفخيم والتعظيم والتهويل، ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَةُ ۞ ﴾ انظروا يا إخوة الخطاب للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علم مَا في يوم القيامة بالخبر بالوحي، فهو يعرف عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علم مَا في يوم القيامة بالخبر بالوحي، فهو يعرف



وصفها، لكن الله عَزَّ وَجَلَّ يقول لَهُ: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَةُ ۞ ﴾، إن أمرها أعظم، إن هولها عظيم، ليس الخبر كالمعاينة، فمعاينتها أمرٌ عظيم، وهولها إذ ذاك هولٌ شديد.

(الماتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: ومن عظمتها أن الله أهلك الأُمَم المكذبة بها بالعذاب العاجل، ثم ذكر نموذجا من أحوالها الموجودة في الدنيا المشاهدة فيها، وهو ما أحله من العقوبات البليغة بالأمم العاتية.

(الشرح)

الله عَزَّ وَجَلَّ قصَّ لنا في هَذِه الآيات قصص أقوام أنكروا يوم القيامة، فأحل بهم عذابًا شديدًا زائدًا، وهذا يُنبه العباد إلى قدرة الله عَزَّ وَجَلَّ على عباده، ويُنبههم إلى مَا يكون يوم القيامة من الأهوال والشدائد والعذاب.

(الماتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ﴾ وهم القبيلة المشهورة سكان الحجر الَّذِينَ أرسل الله إليهم رسوله صالحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ ينهاهم عما هم عليه من الشرك، ويأمرهم بالتوحيد، فردوا دعوته وكذبوه، وكذبوا ما أخبر به من يوم القيامة، وهي: القارعة الَّتِي تقرع الخلق بأهوالها.

(الشرح)

القارعة أيضًا من أسماء يوم القيامة، قال بعض أهل العِلم: سُميت بالقارعة لأَنَهَا تقرع الخلق بأهوا لها"، وقال بعض أهل العِلم: لأَنهَا تقرع القلوب، وتُخيف القلوب، فتشتد القلوب اضطرابًا من شدة الخوف لهولها، ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ﴾ [الحج: ٢].

(الماتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: وكذلك عاد الأولى سكان حضرموت حين بعث الله إليهم رسوله هودًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يدعوهم إلى عبادة الله وحده، فكذبوه وأنكروا بما أخبر به من البعث، فأهلك الله الطائفتين بالهلاك العاجل.

﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ۞ ﴿: وهي الصيحة العظيمة الفظيعة الَّتِي قطعت قلوبهم وزهقت لها أرواحهم، فأصبحوا موتى لا يُرى إِلَّا مساكنهم وجثثهم.

(الشرح)

وعلى هذَا: معنى بالطاغية: أي بالصيحة العظيمة الفظيعة المتجاوزة الحد في قوة الصوت، وقيل معنى بالطاغية: أي بسبب طغيانهم، وبسبب كفرهم، ومجاوزتهم الحد في عصيانهم، فيكون فيه اضهار، ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطّاغِيةِ ۞ ﴾؛ أي بالفعلة الطاغية، أُهلكوا بالفعلة الطاغية.

وقال بعض المفسرين: "الطاغية هنا وصفٌ لرجل، وَهُوَ: الَّذِي عقر الناقة"، الطاغية: الَّذِي عقر الناقة، فأُهلكوا بسبب فعله.

وَالَّذِي ذكره الشيخ أولى لسياق الآية: أَنْهُم أُهلكوا بالطاغية؛ أي بالصيحة المتجاوزة الحد في قوة الصوت، وفي أثر الصوت.

(الماتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: ﴿ وَأَمَّا عَادُ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ ﴾؛ أي: قوية شديدة الهبوب لها صوت أبلغ من صوت الرعد القاصف.

(الشرح)

فهي من الصر صرة، وَهُوَ: الصوت القوي.

وَقَالَ جَمَاعَة من المفسرين: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ ﴾؛ أي: باردة شديدة البرودة، من الصر وَهُوَ البرد الشديد، ففيها برد شديد يُعذب كما تعذب النار السَّمُوم.

(الماتن)

﴿عَاتِيَةٍ ۞﴾؛ أي: عتت عَلَىٰ خزانها، علىٰ قول كثير من المفسرين. (الشرح)

أكثر المفسرين ومنهم بعض السلف يقولون: معنى عاتية: أنها خرجت عَنْ طاعة الملائكة الخزنة لها، خرجت عَنْ سيطرتهم غضبًا لغضب الله عَزَّ وَجَلَّ، ولأمر الله لها، الريح لها ملائكة تخزنها وتُسيطر عليها بأمر الله، لكن هَذِه الريح خرجت عَنْ طاعة خزنتها، وتمردت، ولم تُسيطر عليها الملائكة؛ لأَنهَا غضبت لغضب ربها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولأن الله أمرها بهذا، هذَا قاله جماعة من السَلَف، وأكثرُ المفسرين، واختاره ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: أو عتت على عاد وزادت على الحد كما هو الصحيح.

(الشرح)

التقول الْثَانِي: أن معنى عاتية: أنها عتت عَلَىٰ عاد؛ أي زادت عَلَىٰ قوم عاد على الحد، فلم يستطيعوا الاحتهاء منها، ولم يجدوا ملجأً يلجئون إليه منها، بل وصلت حَتَّىٰ إلى قلوبهم، فدخلت مع أفواههم حتى وصلت إلى قلوبهم، وانتزعت أرواحهم.

وقال بعض المفسرين: معنى عاتية: أنها شديدة الهبوب.

لكن اَلْأُوَّلُ الَّذِي قاله الأكثرون أمرٌ غيبي يحتاج إلى دليل، ولا نعلم دليلًا على هذَا، ولذلك الَّذِي اختاره الشيخ هو الأقرب واللهُ أَعْلَمُ: أنها عتت؛ أي جاوزت الحد على قوم عاد، فلم يجدوا ملجأ يلجئون إليه يحميهم منها، بل أحاطت بهم من كل جانب، ودخلت كل مكان، حتى أنها دخلت من أفواههم إلى داخل أجوافهم.

(الماتن)

قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾. (الشرح)

﴿ سَخَّرَهَا ﴾؛ أي سلطها عليهم، وقيل: أرسلها عليهم، وقيل سخرها: أي تصرف فيها فجعلها عذابًا عليهم، وكلُّ هَذِه المعاني صحيحة، فالله عَزَّ وَجَلَّ أرسلها مسلطة عليهم، وكلُّ هَذِه المعاني صحيحة، فالله عَزَّ وَجَلَّ أرسلها مسلطة عليهم، وكلُّ هَذِه المعاني صحيحة، فالله عَزَّ وَجَلَّ أرسلها مسلطة عليهم، وكلُّ هَذِه المعاني صحيحة، فالله عَزَّ وَجَلَّ أرسلها مسلطة عليهم، وكلُّ هَذِه المعاني صحيحة، فالله عَزَّ وَجَلَّ أرسلها مسلطة عليهم، وكلُّ هذِه المعاني صحيحة، فالله عَزَّ وَجَلَّ أرسلها مسلطة عليهم، وكلُّ عند المعاني صحيحة، فالله عَزَل الله عَنْ الله عَنْ

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: أي: نحسًا وشرًا فظيعًا عليهم.

(الشرح)

مَا معنى ﴿ حُسُومًا ﴾؟ قال الشيخ: (أي: نحسًا وشرًا فظيعًا عليهم)؛ أي أنها مشائيم، جاءتهم بالشؤم، وحسمتهم عَنْ الخير، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ لِللهِ عَنَّ وَجَلَّ: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ لِللهِ عَنْ الخير، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ لِللهِ عَنْ الخير، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ لَهُ عَلَيْهِمْ وَعَلَى اللهِ عَنْ الخير، فَي اللهُ عَنْ وَجَلَّ اللهِ عَنْ اللهِ عَلَى اللهِ عَنْ اللهِ عَلَى اللهِ عَنْ اللهِ عَنْ اللهُ عَلَيْهِمْ اللهِ عَنْ اللهِ عَلَى اللهُ عَلَيْهِمْ اللهُ عَلَيْهِمْ اللهِ عَنْ اللهُ عَلَيْهِمْ اللهِ عَلَى اللهُ عَلَيْ عَلَيْكُونُ اللهُ عَلَيْكُ عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَيْهِمْ اللهُ عَلَيْهِمْ اللهِ عَلَى اللهُ عَلَيْكُمْ اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَيْكُمُ اللّهُ عَلَيْكُمْ اللّهُ عَلَيْهِمْ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَيْكُمْ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَيْكُمْ اللهِ عَلَى اللهُ عَلَيْكُمْ اللهِ عَلَيْهِمْ اللهِ عَلَيْكُمْ اللهِ عَلَيْهِمْ اللهِ عَلَيْكُمُ اللهِ عَلَيْكُمْ اللهِ عَلَيْكُمْ اللهِ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ اللهِ عَلَيْكُمْ اللهِ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمُ اللهِ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ اللهِ عَلَيْكُمْ عَلَى اللهِ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْ

وقال بعض أهل العِلم: ﴿ حُسُومًا ﴾؛ أي: كوامل متتابعات لا انقطاع بينهن، فالريح جارية شديدة في كل هَذِه الليالي السبع والأيام الثهانية.

وقيل: معنى ﴿ حُسُومًا ﴾: أنها حسمتهم وأذهبتهم وأهلكتهم، وقطعتهم.

والكل صحيح، فهذه المعاني ليست متدافعة، بل كلها صحيحة.

وحسومًا منصوبة على الحال؛ أي حال كونها حسومًا، وقيل: منصوبة على المصدر لفعل مقدر، فحسمتهم حسومًا، فنصب حسومًا هنا: إما أنه على الحال، وإما أنه مصدر لفعل مقدر، فالتقدير: فحسمتهم حسومًا.

(الماتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: فدمرتهم وأهلكتهم.

﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى ﴾.

(الشرح)

﴿ فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا ﴾ الضمير يرجع إِلَىٰ مَاذَا؟ قيل: في تلك الليالي والأيام، وقيل: في الريح ترى القوم، ترى ذلك بقلبك، أو بعينك لو كنت تراهم في ذلك الوقت.

(الماتن)

قَالَ: أي: هلكي موتي.

(الشرح)

هذَا معنى ﴿صَرْعَى ﴾: أي هلكي موتي.

(الماتن)

﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۞ ﴾؛ أي: كأنهم جذوع النخل الَّتِي قد قطعت رءوسها الخاوية الساقط بعضها على بعض.

(الشرح)

فأولئك القوم الأشداء الطوال الأقوياء صاروا إلى هَذِه الحال، فصاروا كأنهم جذوع نخل قد قُطعت رؤوسها، وصارت هِيَ خاوية، وتراكب بعضها على بعض، وقيل: معنى خاوية: خربة، وقيل معنى خاوية: خالية، وقيل: بالية، وقيل: يابسة، وقيل: مجوفة قد نُقر مَا بداخلها، وكل هذَا صحيح، فهي خربة، بالية، يابسة، مجوف مَا في داخلها.

ومعنى مجوف مَا في داخلها قال بعض المفسرين: "أن الريح تدخل من أفواههم فتسلت أحشاءهم حَتَّىٰ خرجت من أدبارهم"، وقال بعض المفسرين: "إنها جوفتهم بمعنى: أخرجت الأرواح من أجوافهم"، فهذا هو الشأن.

قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ۞﴾، وَهٰذَا استفهامٌ بمعنى النفي المتقرر. (الشرح)

أي هل تُحس يا نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ يا كل من يسمع هذَا الخطاب لأولئك القوم من أنفس باقية؟ وهل تجد لهم بقاء في الدنيا بعد أن سلطنا عليهم تلك الريح؟ لا شك أن هذَا الاستفهام يُراد به التقرير، لا شك أنه لم تبقى منهم باقية، فقد أُهلكوا جميعًا.

(الماتن)

قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ۞﴾: أي: وكذلك غير هاتين الأمتين الطاغيتين عاد وثمود جاء غيرهم من الطغاة العتاة كفرعون مصر اللّذِي أرسل الله إليه عبده ورسوله موسىٰ ابن عمران عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وأراه من الآيات البينات ما تيقنوا بها الحق، ولكن جحدوا وكفروا ظلمًا وعلوًّا، وجاء من قبله من المكذبين.

(الشرح)

هذَا عَلَىٰ قراءة: ﴿ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ ﴾، وقُرأ: ﴿ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قِبَلَهُ ﴾، وَهِيَ قراءة سبعية، فيكون المعنى: من معه من أتباعه وجنوده، جاء فرعون ومن معه من أتباعه وجنوده؛ أي أن فرعون حشر جنوده وأتباعه ليُهلك موسى ومن أمن معه.

وكلا الأمرين حاصل: فقد جاء فرعون وأمم قبله بالخاطئة، وجاء فرعون ومن معه من أتباعه وجنوده، ولذلك العلماء يقولون: إن القراءتين في مثل هذَا تكونان كالآيتين، فهَذِه معناها صحيح ثابت حاصل، وهذه معناها صحيح ثابت حاصل.

(الماتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: ﴿ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ ﴾؛ أي: قرئ قوم لوط. (الشرح)

سُميت قرى قوم لوط بالمؤتفكات؛ لأَنَهَا قلبت، فجُعل عاليها سافلها، والمنقلب: مؤتفك، قال بعض العلماء: "المؤتفكات: أي الأمم المكذبة للرسل"، من الإفك، والإفك: هو أشد الكذب، ومن كذب الرسل فقد جاء بأشد الكذب؛ حيث زعم أن الرسل كذبة، وهذا أشد الكذب وأشنع الكذب.

﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتُ﴾؛ أي: قرئ قوم لوط الجميع جاءوا ﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾ أي: بالفعلة الطاغية وهي الكفر والتكذيب والظلم والمعاندة وما انضم إلى ذلك من أنواع المعاصي والفسوق.

(الشرح)

والخاطئ يا إخوة: هو الَّذِي يفعل الحرام قصدًا، الخاطئ غير المخطئ، الخاطئ: يفعل الخطيئة قصدًا، والمخطئ: يفعل الخطيئة قاصدًا عامدًا، والمخطئ: يفعل الخطيئة قاصدًا عامدًا، وهذا شأن أولئك الأمم.

(الماتن)

﴿ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِم ﴾ وهذا اسم جنس.

(الشرح)

﴿ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ ﴾؛ طيب كل أمة لها رَسُول، قال لك الشيخ: (هذَا اسم جِنس) فيدل على الجمع، والرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ دينهم واحد هو التوحيد، وَإِنَّهَا اختلفوا في الشرائع، فمن كذب رسولًا واحدًا كأنه كذب الرسل جميعًا، فهؤلاء عصوا رسل الله الَّذِينَ أرسلهم الله إليهم.

(الماتن)

قَالَ: أي: كل من هؤلاء كذب الرسول الَّذِي أرسله الله إليهم. فأخذ الله الجميع ﴿أَخْذَةً رَابِيَةً وَابِيَةً وَابِيَةً ﴾؛ أي: زائدة على الحد والمقدار الذي يحصل به هلاكهم.

(الشرح)

فُسرت رابية بالزيادة من ربا أي زاد، فهي زائدة على الحد والمقدار، يعني زائد على الحد الكافي لإهلاكهم، فجُمع فيها بين أمرين: التعذيب والإهلاك، القدر الزائد يا إخوة فيها لتعذيبهم بها، فجمعت بين تعذيبهم بها وإهلاكهم.

وقال بعض أهل العِلم: معنى ﴿ رَابِيَّةً ﴾: أي مهلكة.

وقال بعض أهل العِلم: معنى ﴿ رَابِيَّةً ﴾: أنها عظيمة شديدة الإيلام، والكل صحيح.

(الماتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: ومن جملة أولئك قوم نوح أغرقهم الله في اليم حين طغى الماء على وجه الأرض. (الشرح)

(طغني الماء): أي زاد عَنْ الحد، وكثر كثرة غالبة، هذَا معنى: ﴿ طَغَى ﴾.

قَالَ: وعلا على مواضعها الرفيعة.

وامتن الله على الخلق الموجودين بعدهم أن الله حملهم ﴿ فِي الْجَارِيَةِ ۞ ﴿ وَهِي: السفينة فِي أَصِلاب آبائهم وأمهاتهم اللَّذِينَ نجاهم الله.

(الشرح)

﴿ فِي الْجَارِيَةِ ٣﴾؛ يعني في السفينة، قال الشيخ: (في أصلاب آبائهم وأمهاتهم)؛ هذا يا إخوة جواب عَنْ سؤال، السؤال يقول: إن الخطاب هنا لمن يسمعون القرآن، وَالَّذِينَ نُجوا في السفينة كانوا قبل ذلك، فلهاذا كان هذَا الخطاب؟ يقول لك الشيخ: لأن نجاة الآباء نجاة للأبناء، فهؤلاء الآباء الَّذِينَ نجوا في السفينة كانوا يحملون في أصلابهم وفي ترائب الأمهات هَذِه الذرية الَّتِي جاءت من بعد. ولذلك يقول العلهاء: "الامتنان على الأب امتنانٌ على الابن"، فصار هذَا امتنانً على هؤلاء الموجودين؛ لأن أولئك هِيَ سبب وجودهم، لو أهلك الله أهل الأرْض جميعًا لما بقي أحدٌ من البشر، ولما كنا نحن اليوم، فهذه منة من الله علينا، الله عَزَّ وَجَلَّ نجانا في السفينة؛ حيث نجى أولئك القوم الَّذِينَ كانوا يحملون الذريات في أصلابهم.

(الماتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللّهُ: فاحمدوا الله واشكروا الَّذِي نجاكم حين أهلك الطاغين، واعتبروا بآياته الدالة على توحيده، ولهذا قال: ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾؛ أي: الجارية والمراد جنسها.

(الشرح)

(والمراد جنسها)؛ أي أن الضمير في قوله سُبْحَانَهُ: ﴿ لِنَجْعَلَهَا ﴾ راجعٌ إلى السفينة، طيب يقول قائل: السفينة هَذِه ذهبت، مَا نراها، فكيف تكون آية لنا؟ قال الشيخ: أي جِنس السفن، أي وأبقينا لكم من جنس تلك السفينة مَا تركبون على المياه في البحار والأنهار، فأبقيناكم وأبقينا لكم، فأبقينا لكم من جنس تلك السفينة الَّتِي بناها نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ بأمر الله سفنًا تركبونها وتجرون بسببها الماء في البحار والأنهار.

ومشاهدتكم لتلك السفن الَّتِي تركبونها وترونها تُذكركم تلك السفينة الَّتِي قص الله عليكم خبرها، فتُذكركم بقصة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ وما فيها من العبرة، حيث أغرق الله الكافرين مع كثرتهم،

وأنجى المؤمنين مع قلتهم، فلا تغتروا بكثرة عَلَىٰ باطل، وَإِنَّمَا العبرة بالهدى والتقى، فالقليلون على الحق والمدى كثيرون عند الله أمم، فالله عَزَّ وَجَلَّ أنجى نوحًا ومن آمن معه وهم قليل، وأهلك بقية أهل الأَرْض الَّذِينَ كفروا بنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقال بعض أهل العِلم: إن الضمير في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً ﴾ يرجع إلى تلك السفينة بعينها، انتبهوا الشيخ يقول: أي جنس السفن، جعلنا لكم جنس السفن تذكرة، بعض المفسرين قالوا: لا، هِيَ السفينة نفسها الَّتِي أنجى الله عَزَّ وَجَلَّ فيها نوحًا وقومه، وقص علينا قصتها، فهي لنا تذكر وعبرة نتذكر بها إهلاك الله للكافرين مها كانت قوتهم، وإنجاء الله للمؤمنين مها كان ضعفهم.

وهذه عبرة يا إخوة، وهذا يقين يجب أن يُوجد عند المؤمنين، إياك أن تهتز إذا رأيت كثرة الكافرين، إياك أن تهتز إذا رأيت مَا يُسمى بتطور الدول الكافرة، فالأمر كله بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وكذلك أنت يا من رزقك الله التوحيد وَالسُّنَّة إياك أن تضطرب نفسك إذا رأيت كثرة المخالفين، فليست العبرة بالكثرة.

وقال بعض أهل العِلم: إن الضمير في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾ يرجع إلى كل تلك القصص الَّتِي قصها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَإِنَّمَا قصها علينا لتكون تذكرة لنا وعبرة لنا نعتبر بها.

(الماتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللّهُ: ﴿ لَكُمْ تَذْكِرَةً ﴾ تذكركم أول سفينة صنعت وما قصتها وكيف نجى الله عليها من آمن به واتبع رسوله وأهلك أهل الأرض كلهم فإن جنس الشيء مذكر بأصله.

وقوله: ﴿وَتَعِيَهَا أَذُنُ وَاعِيَةٌ ۞﴾ أي: تعقلها أولو الألباب ويعرفون المقصود منها ووجه الآية بها.

(الشرح)

﴿ أُذُنُ وَاعِيَةٌ ﴾: أي سامعة حافظة، وقيل: سامعة عاقلة، أي: أن صاحبها عاقل يفهم مَا يسمع ويعتبر به، وقيل: ﴿ وَاعِيَةً ﴾: أي ممسكة لما تسمع، ولا شك يا إخوة أن الحفظ والإمساك وسيلة للاستفادة من المسموع إذا كان هناك قلب حاضر سليم، فكها قَالَ العلهاء: "العلم يدخل من الأذن إلى



القلب"، فإذا كانت الأذن حاضرة سامعة حافظة، فإن القلب ينتفع بهذا العلم بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وقيل معنى ﴿ وَتَعِيمَهَا أُذُنَّ وَاعِيَةً ۞ ﴾: أي لتحفظها أذن واعية وتنقلها إلى غير أهلها ليسمعوا ويعتبر ويعتبروا، يعني نقص عليكم القصص لتسمعوها بأذن واعية، ثُمَّ تخبروا غيركم بها ليتعظ بها ويعتبر بها فيها، والكل صحيح.

(الماتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللّهُ: وهذا بخلاف أهل الإعراض والغفلة وأهل البلادة وعدم الفطنة، فإنهم ليس لهم انتفاع بآيات الله لعدم وعيهم عن الله، وتفكرهم بآياته.

(الشرح)

في هذَا تنبيه عظيم، وَهُوَ: أن من أراد أن يستفيد من العلم، وأن يستفيد من الآيات فليُلق سمعه، ليكن مستمعًا لا سامعًا، والمستمع يا إخوة: هو الَّذِي يُلقي سمعه، والسامع: هو الَّذِي يسمعُ ولو لم يقصد، فمن أراد أن ينتفع بالعلم وبالآيات فليكن مستمعًا ملقيًا سمعه محضرًا قلبه، أما إذا كان من أهل الغفلة لا يستمع ولا يحفظ ولا يمسك فإنه لا ينتفع بالعلم، ولا ينتفع بالآيات.

لعلنا نقف عند هَذِه النقطة، وغدًا إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وبعد غد وبعد غد سيكون درسنا العصر على كرسينا المعتاد في الحلقة رقم اثنين إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، لعلنا نُجيب عَنْ شيء من الأسئلة.



(الأسئلة)

السؤال: جزاكم الله خيرًا، وبارك الله فيكم، نفع الله بها سمعنا، أحسن الله إليكم؛ هذَا يقول: من نذر أن يصوم شهرًا، ولم يبدأ من بداية الشهر، فهل يصوم ثلاثين يومًا؟

الجواب: نعم يا إخوة، من تعلق الحكم الشرعب عنده بالشمر فلا بخلو من حالين:

الحالة الأولى: أن يبدأ من أول الشهر، وهنا يكفيه الشهر سواء كان الشهر ثلاثين يومًا أَوْ تسعة وعشرين يومًا.

الحالة الْثانية: إذا بدأ أثناء الشهر فَلَا بُدَّ من ثلاثين يومًا؛ لأَنَهَا اليقين، أما التسعة والعشرون فمشكوكٌ فيها.

فإذا نذر أن يصوم شهرًا فبدأ من أول الشهر فإنه إذا أتم الشهر ولو على تسعة وعشرين يومًا إذا كان ذلك الشهر على تسعة وعشرين يومًا كفاه وأجزأه، أما إذا بدأ في أثناء الشهر فلا يُجزئه إِلّا أن يصوم ثلاثين يومًا.

السؤال: أحسن الله إليكم؛ هذا يقول: هل يجوز الإمام واحد أن يُصلي جمعتين أَوْ أكثر في مسجد واحد بسبب قلة عدد الأئمة؛ لكيلا تُحرم الجماعة الثانية من صلاة الجمعة؟

الجواب: هَذِه مسألة مختلفٌ فيها بين أهل العِلم: من صلى الجمعة وبرئت ذمته من الجمعة هل يُصلى بالناس الجمعة مرة أخرى أو لا يُصلى؟ وأكثر الفقهاء يرون: أنه لا يصح ذلك، ولا يجوز ذلك، ولذلك نحن نقول: إذا اضطر المسلمون إلى أن يُكرروا صلاة الجمعة؛ لأن المكان الَّذِي يُصلون فيه واحد مثلًا ولا يُسمح لهم إلَّا بالصلاة في هذا المكان، ولا يسمح بالصلاة في خارجه في نفس الوقت، وهو لا يكفي الجميع، فإنا نقول إذ ذاك: لا بأس من أن تُقام الجمعة في نفس المكان مرتين، فيُصلي الأولون، ثم ينصر فون، لكن نقول: يكون إمام الجماعة الثاني غير إمام الجماعة الأُوْلَى، ومن غير الَّذِينَ صلوا الجمعة الأُوْلَى، خروجًا من خلاف أهل العِلم.

لكن لو فرضنا جدلًا أنه لا يوجد من يصلح لأن يخطب إلَّا واحد، مَا يوجد غيره، لو فرضنا جدلًا مع أنه مَا يمكن يا إخوة؛ لأن الخطبة أمرها سهل جدًّا، يكفي أن يحمد الله، وأن يُوصي بالتقوى، وأن يذكر آية واحدة، وأن يُصلي ويسلم على رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

يعني لو فرضنا أن الإمام مَا حضر العجيب أن المؤمنين إذا مَا حضر الإمام خرجوا من المسجد، أوْ صلوا الظهر، والأمر يسير، يستطيع واحد أن يقف على المنبر ويقول: الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين، أي معاشر المؤمنين اتقوا الله، ويذكر آية يحفظها، ولو قَالَ: ﴿ الْحَمْدُ لِللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۞ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۞ ﴿ [الفاتحة: ٢-٤]، ولو قَالَ: ﴿ الْحَمْدُ الله ويُصلي على النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حصلت الخطبة.

فالشاهد: لو سلمنا جدلًا أنه لا يُوجد من يُحسن الخطبة إلَّا واحد، فَلَا بُدَّ أن يُصلي بالأولى والثانية وَإِلَّا مَا يُصلون إلَّا جماعة واحدة، والباقون يتعذر عليهم أن يصلوا الجمعة، نقول: في هَذِه الحال أنا أختار وأفتي: بأنه يجوز، وإن كان هذَا خلاف قول أكثر الفقهاء.

السؤال: أحسن الله إليكم؛ هذا يقول: أن عندهم في البلد أَنْهُم يُصلون التراويح أربعة أربعة، فيقول: هل يجوز أن أصلى خلفهم؟ أربع ركعات متصلة.

الجواب: صلاة الليل أكملها وأفضلها أن تكون مثنى مثنى، وأن يكون أولها أطول من آخرها، فَالسُّنَّة: أن تُبدأ التراويح بركعتين طويلتين، ثم بركعتين أقصر منها، وهكذا كلما زاد في العدد تكون أقصر، هَذِه السُّنَة وهذا الكمال.

لكن لو أن إنسانًا أَوْ جماعةً صلوا أربع ركعات بتسليمة واحدة، وبتشهد واحد، يعني بجلوس واحد، مَا يجلسون في وسطها؛ لأن النفل لا يُشبه بالفرض، وَإِنَّمَا يصلون أربعًا سردًا، ثم يجلسون للتشهد ويسلمون فهذا صحيح، هذَا صحيح للتشهد ويسلمون فهذا صحيح، هذَا صحيح جائز، لكنه خلاف الأكمل، خلاف الأفضل، فالأفضل أن يفعلوا كما قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وكما فعل: «صَلَّة اللَّيْل مَثْنَىٰ مَثْنَىٰ مَثْنَىٰ مَثْنَىٰ مَثْنَىٰ».

السؤال: أحسن الله إليكم؛ هذَا يقول: مَا حكم تنبيه الإمام على الجنائز؟ يقول: وبخاصة أن مسجدنا معروف باستقبال الجنائز، ويعرف ذلك الناس.

الجواب: إذا كان مقصود السائل: إخبار الناس بوجود جنازة في المسجد، مثلًا: إرسال رسالة أَوْ نحو ذلك، ليكثر المصلون على الجنازة فلا حرج في هذا، فتنبيه الناس على وجود جنازة في المسجد من أجل تكثير الناس في الصلاة على الجنازة ما فيه حرج، وليس في شيء من النياحة والنعي ونحو ذلك.

الطالب:

الشيخ: نعم الإخبار مثلًا أنه بعد العصر سنُصلي اليوم على جنازة، فيُخبر الناس بهذا هذا ما فيه بأس.

السؤال: أحسن الله إليكم؛ هلاً يقول: مَا حكم من يُسلم على رأس المرأة الكبيرة في السن إذا كانت من غير محارمه؟

الجواب: لا يجوز للرجل أن يمس امرأة لا تحل لَهُ، سواءً كانت امرأة كبيرة أَوْ امرأة صغيرة، وَإِنَّمَا خُفف عَنْ الكبيرة في أن تضع بعض ثيابها إذا كانت من القواعد اللاتي لا يُرجون نكاحًا فلا يرغبن في النكاح ولا يُرغب فيهن، أما مَا عدا ذلك فيبقى على الحكم، لكن من تأول وأخذ بقول بعض الفقهاء أن الكبيرة يعني ليست كالصغيرة في هذَا فلا يُشنع عليه، ولا يُحمل عليه، ولا يُعاب بهذا، لكن يُبيّن أنه مَا أتى دليل باستثناء تقبيل الرأس ونحو ذلك بالنسبة للكبيرة.

لعلنا نكتفي بهذا، وإن شاء الله عَزَّ وَجَلَّ كما قلت درسنا غدًا بعد العصر على كرسينا المعتاد.

بارك الله في الجميع، وتقبل الله من الجميع.

واللهُ تَعَالَى أَعْلَى وَأَعْلَمُ، وَصَلَّ اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّم.



تفسير جزء تبارك

(سورة الحاقة)

من كتاب:

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان

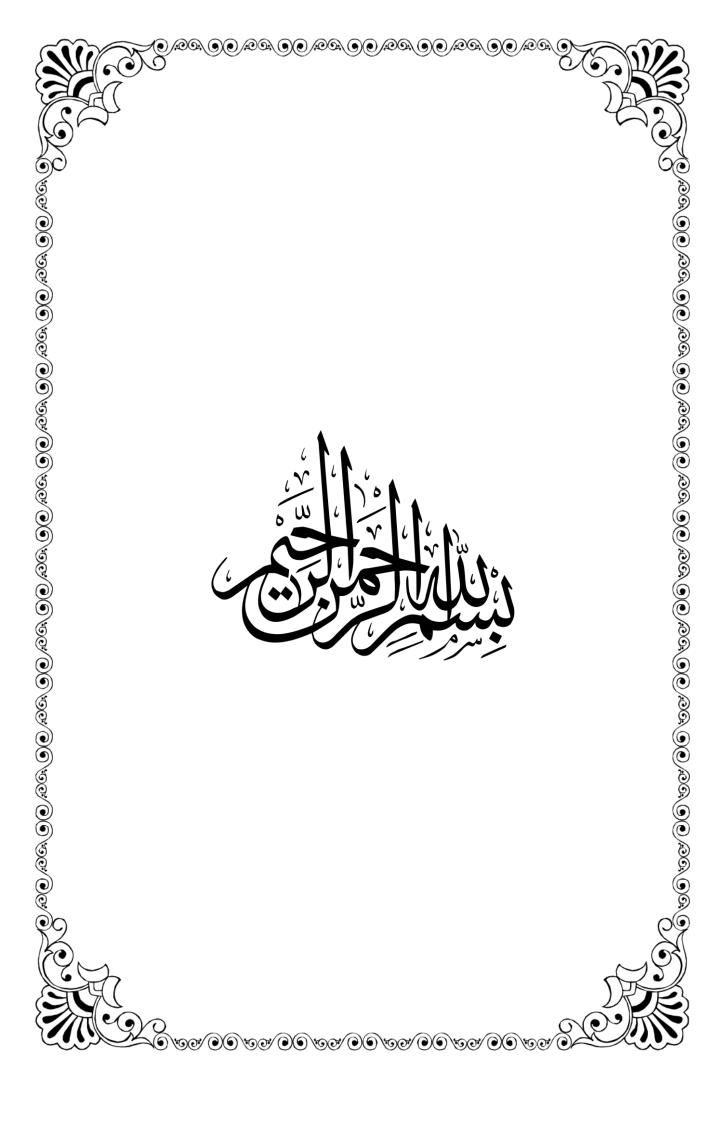
لِلشَّيْخُ العَلَّامَة

عَبْدُ الرَّحْمَن بِن ناصِر بِن عَبْدُ اللّهِ بِن سِعْدِيًّ وَحَمُهُ اللّهُ عِنْ سِعْدِيًّ وَحَمُهُ اللّهُ

شَرْحُ فَضِيلَةُ الشَّيْخ

أ.د: سليمان بن سليم الله الرحيلي

غَفَرَ اللّٰهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ





بِسۡ __ِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰزِ ٱلرَّحِي حِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأتمان الأكملان عَلَىٰ المبعوث رحمةً للعالمين، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فأُرحِّب بالجميع في هذا المجلس في مسجد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، والجلوس في مسجد رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّم لطلب العلم عبادة عظيمة، فيها أجور كريمة، فيؤوب الجالس مجلسًا من مجالس العلم في مسجد رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّم إن أخلص لله عَزَّ وَجَلَّ بالأجور الَّتِي مَن مجالس العلم، وبأجر الحاج الَّذِي تم حجه، وبأجر المجاهد في سبيل الله، وقد ذَكرَ سلفنا وعلماؤنا أن الحسنة في رمضان يعظم شأنها ويعظم أجرها أكثر منها في غير رمضان، ودرسنا كما تعلمون في التفسير، وقبل أن نشرع في درسنا نذكر فائدةً رمضانيةً مختصرة.

معاشر الفضاء؛ إن شهر رمضان شهرٌ يعظم فيه الرجاء بمغفرة الله عَزَّ وَجَلَّ لعبده، فتكثر أسباب المغفرة فيه، فرمضان إلى رمضان كفارةٌ لما بينهما إذا أُجتنبت الكبائر، «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، ومَن عنا واحْتِسَابًا عُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، ومَن عنا والفطر، عند إفطار الصائمين.

ولمَّا كان ذلك كذلك، كان الَّذِي يدخل عليه شهر رمضان ولا يُغفر له بعيدًا جدًا، وقد دعا جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بدعوةٍ عظيمة، فقَالَ: بَعُد من دخل عليه شهر رمضان فلم يُغفر له، وأمر النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعاءٌ من سيد الملائكة، وتأمينٌ من سيد الأنبياء عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعاءٌ من سيد الملائكة، وتأمينٌ من سيد الأنبياء عليهم جميعًا السلام، فيا له من أمر عظيم يجعل الواحد منا حذرًا جدًا من أن يدخل عليه شهر رمضان



ولا يُغفر له، وذلك بأن يكون حريصًا عَلَىٰ فعل الأسباب الَّتِي يُغفر له في رمضان بها بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ.

وجميلٌ معاشر الصائمين أن يُعلن كل واحد منا توبةً صادقة من ذنبه، ليبدأ حياةً جديدة، نظيفة، طاهرة، فيحصل له بذلك أن يُغفر ذنبه، وأن تطيب حياته، وأعظم من ذلك وأكمل وأتم أن يرضى عنه ربه، وأن يفرح به ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فأسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يعيننا جميعًا عَلَىٰ الصيام إيهانًا واحتسابًا، وعَلَىٰ القيام إيهانًا واحتسابًا، وأن يتقبل منا ذلك، وأن يغفر لنا ذنوبنا أَجْمَعِيْنَ.

□ معاشر الفضلاء؛ درسنا في التفسير، وقد شرعنا أمس في تفسير سورة الحاقة، وقد علمنا أن موضوع سورة الحاقة يوم القيامة، وأنّا نستطيع أن نقسم السورة إلَى ثلاثة أقسام:

القسم اَلْأُوَّلُ: في قَصَص بعض الأمم الَّتِي كفرت بيوم القيامة، وأنكرت الحاقة، وتعذيب الله عَزَّ وَجَلَّ لها، والمراد من ذكرها: أن نعتبر بها، وأن يكون لنا في هلِذه القصص عبرة.

والقسم الْثَّانِي: ذِكر بعض ما يكون في يوم القيامة، ولا سيها ما يتعلق بجزاء العباد، وانقسامهم إِلَى فريقين: شقيِّ، وسعيد.

والقسم الْقَالِث: في بيان صدق رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، وأنه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم صادقٌ بلا شك في كل حرف بلغنا إياه، وهو الَّذِي تَلَى علينا القرآن الَّذِي فيه أخبار يوم القيامة، وأخبرنا بسنته وهي كالقرآن، أتاه الله إياها عن بعض ما يكون في يوم القيامة، فعلمنا عاقبة المكذبين بيوم القيامة، وعلمنا بعض ما يقع في يوم القيامة، وعلمنا يقينًا صدق من بلغنا بإخبار يوم القيامة، هلذا مجمل ما في هلاه السورة.

وقد قرأنا الآيات الأُول من هلِّذِه السورة وفسرناها، ونقرأ اليوم الآيات التالية للآيات الأُول، فيتفضل الابن نور الدين وفقه الله والسامعين يتلوا علينا هلِّذِه الآيات.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ.

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةُ وَاحِدَةً ۞ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۞ فَيَوْمَبِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۞ وَانْشَقَتِ السَّمَاءُ فَهِى يَوْمَبِذٍ وَاهِيَةٌ ۞ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَابِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۞ وَانْشَقَتِ السَّمَاءُ فَهِى يَوْمَبِذٍ وَاهِيَةٌ ۞ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَابِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَبِذٍ ثَمَانِيَةٌ ۞ يَوْمَبِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٣-١٥].

في هلّه الآيات العظيمة الكريمة يخبر الله عَزَّ وَجَلَّ أن الحاقة، أي: يوم القيامة، تكون إذا نفخ الملك الموكل بالنفخ في الصور بأمر الله عَزَّ وَجَلَّ نفخة واحدة، لا تُثنى ولا تُكرر، فهي كافية، لعِظَمها، ورُفعت الأرض والجبال من أماكنها، فضُربت ببعضها ضربة واحدة، فتفتت الجبال، واختلطت بالأرض، فكان الجميع قاعا صفصفًا، لا ترى فيها عوجًا ولا أمتا، وبُدلت الأرض غير الأرض، فكان الجميع قاعا صفصفًا، لا ترى فيها عوجًا والا أمتا، وبُدلت الأرض غير الأرض، وعند ذاك، قامت القيامة، ووقعت الواقعة، واضطربت السهاء، وتغير لونها، وانشقت، وتخرقت، وتمزقت لهول ذلك اليوم المزعج، فهي في ذلك اليوم ضعيفة متراخية ، لا تماسك فيها، ولا صلابة لها بعد أن كانت قوية متهاسكة لا ترى فيها فتورًا، ولا ترى فيها عوجًا.

والملائكة إذ ذاك تقف عَلَىٰ أطراف السهاء وحوافها خاضعين لربهم، مستكينين لربهم لهول ذلك اليوم، يصفُّون صفًا صفًا، ﴿ وَالْمَلَابِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ [النبأ: ٣٨]، ويحمل عرش ربنا فوق الملائكة وغيرهم في ذلك اليوم ثهانية ملائكة، شِدادٌ في غاية القوة، إذا أتى ربنا للفصل بين العباد يَوْمِئِذٍ، أيها الناس، مؤمنكم وكافركم، تُعرضون عَلَىٰ ربكم.

﴿ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةً ﴾ [الحاقة: ١٨]، لا في ذواتكم، ولا في صفاتكم، ولا في أعمالكم، فلا يخفى منكم أحد، ولا يخفى من عملكم شيء، فسرائركم وعلانيتكم عند الله عَزَّ وَجَلَّ علانية، وكل شيء من أعمالكم، صغيرًا كان أو كبيرًا، مُحضر في ذلك اليوم، وتجدونه حاضرًا، لا تفقدون من أعمالكم شيئًا، لا يُزاد عليكم فتظلمون، ولا يُنقص من أعمالكم شيئًا، ثُمَّ إذا عُرضتم، عرف كلُّ حاله، هلاَ المعنى الموضوعي الإيماني الإجمالي لهذه الآيات، ونقرأ ما سطَّره الإمام السعدي رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في تفسير هلاِه الآيات، ونعلق عليه.

(الماتن)

قَالَ الإمام عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى وغفر له، ولشيخنا والسامعين: لما ذكر ما فعله تعالى بالمكذبين لرسله وكيف جازاهم وعجل لهم العقوبة في الدنيا وأن الله نجى الرسل وأتباعهم كان هذا مقدمة لذكر الجزاء الأخروي وتوفية الأعمال كاملة يوم القيامة.

(الشرح)

كما ذكرنا بالأمس، تعذيب الله عَزَّ وَجَلَّ لأولئك القوم الَّذِين كذبوا الرسل، وأنكروا البعث، ولم يؤمنوا بيوم القيامة، مع قوتهم، وشدة بأسهم، تعذيب الله عَزَّ وَجَلَّ لهم بأمور هي يسيرة في ذاتها، إنَّمَا

هو الصوت، والهواء، والماء، أهلكهم الله عَزَّ وَجَلَّ بالصوت، وأهلكهم الله عَزَّ وَجَلَّ بالريح، وأهلكهم بالماء، هذا يدلل للعبد مع غيره من الأدلة عَلَىٰ قدرة الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ عباده، وأنه سُبْحَانَهُ لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السهاء، والله الَّذِي عذب الكافرين المكذبين للرسل بهذا العذاب في الدنيا، قادر بلا شك عَلَىٰ إنفاذ وعيده وتعذيب الكفاريوم القيامة، فلها ذَكَرَ الله هذَا، وذكر أَيْضًا إنجاءه للمؤمنين، فإن في هذَا دلالة عَلَىٰ أن الله عَزَّ وَجَلَّ يوم القيامة يُسعد المؤمنين، وينجي المؤمنين من أهوال يوم القيامة، ومن عذاب الآخرة.

(الماتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: فذكر الأمور الهائلة التي تقع أمام القيامة وأن أول ذلك أنه ينفخ إسرافيل ﴿ فِي الصُّورِ ﴾.

(الشرح)

مفتاح الأحداث الَّتِي تكون يوم القيامة في مقدماتها وفي وقوعها، هو نفخ إسرا فيل عَلَيْهِ السَّلامُ في الصور، والصور قرنٌ عظيم ينفخ فيه إسرا فيل، وقد بيَّن النَّبِي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك، فقد جاء أعرابي إِلَىٰ النَّبِي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الصور، أعرابي إِلَىٰ النَّبِي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الصور، فقالَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الصور، فقالَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ»، رواه الترمذي وصححه الألباني، وروى تفسير الصور بالقرن الَّذِي يُنفخ فيه أَيْضًا، أحمد وأبو داوود رحم الله الجميع.

فإسرافيل ينفخ في الصور، عند الجمهور: ينفخ نفختين، وعند بعض أهل العلم: ينفخ ثلاث نفخات، وهانيه مقدمة أحداث يوم القيامة، وهانيه النفخة المذكورة هنا هي النفخة الَّتِي يكون عندها البعث، ولذلك قَالَ الشيخ:

(الماتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: إذا تكاملت الأجساد نابتة. ﴿ نَفْخَةُ وَاحِدَةً ﴾. (الشرح)

يعني: أن الأجساد تتكامل في القبور بعد أن تكون قد هرمت، يُنبتها الله عَزَّ وَجَلَّ مرةً أخرى، وتتكامل في القبور تهيئةً للبعث، فينفخ إسرافيل في الصور نفخةً واحدة، أي: لا تثنى ولا تكرر، فشأنها أعظم من أن تحتاج إِلَىٰ تثنية أو تكرار، بل المرة الواحدة كافية.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: فتخرج الأرواح فتدخل كل روح في جسدها فإذا الناس قيام لرب العالمين. (الشرح)

فهانِه النفخة هي نفخة القيام من القبور، هاناً النفخة الأولى النفخة هي النفخة هي النفخة هي النفخة هي النفخة الأولى النبي يحصل بها الصعق، لكن النبي ذكره الشيخ هو الأقرب، أنها نفخة القيام من القبور؛ لأن ما بعدها إِنَّمَا يكون بعد نفخة القيام من القبور لرب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(الماتن)

قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾ أي: فتت الجبال واضمحلت وخلطت بالأرض ونسفت على الأرض فكان الجميع قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا. هذا ما يصنع بالأرض وما عليها.

(الشرح)

فعَلَىٰ هلْذَا معنى، ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ [الحاقة: ١٤]، أنها مُدَّت مدَّا، كمد الأديم، فمعنى حملت: مُملت: مدت، كمد الأديم الَّذِي لا يكون عليه شيء ولا تعرج، وقال بعض المفسرين: معنى حملت: رفعت، وقلعت من مكانها، فتقلع الجبال من مكانها، وتقلع الأرض من مكانها، ثُمَّ يُضرب بعضها ببعض مرة واحدة، فتتفتت الجبال وتختلط بالأرض، فتصبح قاعًا صفصفًا.

(الماتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: وأما ما يصنع بالسماء، فإنها تضطرب وتمور وتتشقق ويتغير لونها، وتهي بعد تلك الصلابة والقوة العظيمة، وما ذاك إلا لأمر عظيم أزعجها، وكرب جسيم هائل أوهاها وأضعفها.

(الشرح)

فصارت واهيةً، ضعيفةً، متخرقه، بعد أن كانت قويةً متهاسكة، بعد أن كانت مهما أمعنت النظر فيها لا ترى فيها فطورًا لهول يوم القيامة، هاذِه السهاء القوية الصلبة، تصبح ضعيفة، متخرقه، واهية، لهول ذلك اليوم.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: ﴿ وَالْمَلَكُ ﴾ أي: الملائكة الكرام.

(الشرح)

أي أنه اسم جنس، الملك بمعنى: الملائكة، فهلاً اسم جنس.

(الماتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: ﴿ عَلَى أَرْجَابِهَا ﴾ أي: على جوانب السماء وأركانها.

(الشرح)

أي عَلَىٰ الجوانب والأركان الَّتِي لم تتشقق ولم تتخرق، فالملائكة قائمةٌ عَلَىٰ هاذِه الجوانب.

(الماتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: خاضعين لربهم، مستكينين لعظمته.

(الشرح)

وقال بعض المفسرين: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَابِهَا ﴾ [الحاقة: ١٧]؛ أي: عَلَى أرجاء الأرض يحرسونها، ويدفعون الناس إِلَى أرض المحشر، يدفعون الناس ويسوقون الناس إِلَى أرض المحشر، والكل حاصل، ففي السهاء عَلَىٰ أطرافها ملائكة قائمون ينتظرون أمر الله، ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ [النبأ: ٣٨]، وفي الأرض ملائكة يسوقون الناس إِلَىٰ أرض المحشر.

(الماتن)

﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَبِذٍ ثَمَانِيَةً ﴾ أملاك في غاية القوة إذا أتى للفصل بين العباد والقضاء بينهم بعدله وقسطه وفضله.

(الشرح)

في ذلك اليوم العظيم يحمل عرش ربنا ثمانية، بعد أن كان يحمله أربعة من الملائكة، وثمانية، قَالَ أكثر العلماء: ثمانيةٌ من الملائكة، فهم ثمانية أملاك في غاية القوة والشدة، إذا أتى ربنا للفصل بين العباد، يحملون عرش ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وقال بعض المفسرين: ثمانية، أي: ثمانية صفوف من الملائكة، فهم ليسوا ثمانية أملاك، وإنّما أعدادهم كثيرة، وهم ثمانية صفوف، لكن الأظهر والمتبادر من اللّفظ: اَلْأُوّلُ، أنهم ثمانية أملاك، يحملون عرش ربنا فوق رؤوس الملائكة والناس في ذلك اليوم، وينبغي يا إخوة ونحن نسمع هذا، أن يقرع ذلك قلوبنا، وأن يحرك قلوبنا، وأن نستحضر هذا المقام العظيم، حيث



تبدل الأرض غير الأرض، والساوات تتمزق وتتشقق، والملائكة تقف صفوفًا، وربنا يأتي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يحمل عرشه ثمانية من الملائكة فوق رؤوس الملائكة والناس، ليفصل بين الناس سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يحمل عرشه ثمانية من الملائكة فوق رؤوس الملائكة والناس، ليفصل بين الناس سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(الماتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: ولهذا قال: ﴿ يَوْمَبِذِ تُعْرَضُونَ ﴾ على الله ﴿ لا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةً ﴾ لا من أجسامكم وأجسادكم، ولا من أعمالكم وصفاتكم، فإن الله تعالى عالم الغيب والشهادة.

(الشرح)

اقرأ الآيات:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِي كِتَابَهُ بِيمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهُ ﴿ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِي مُلَاقٍ حِسَابِيَهُ ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۞ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۞ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۞ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۞ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۞ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيّامِ الْخَالِيَةِ ۞ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهُ ۞ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهُ ۞ يَالَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَة ۞ مَا أَغْنَى عَنِي مَالِيهُ ۞ هَلَكَ عَنِي سُلْطَانِيهُ ۞ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۞ يَالَيْتِهَا كَانَتِ الْقَاضِيةَ ۞ مَا أَغْنَى عَنِي مَالِيهُ ۞ هَلَكَ عَنِي سُلْطَانِيهُ ۞ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۞ لَاللَّهِ الْعَظِيمِ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۞ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۞ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۞ وَلَا طَعَامُ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۞ وَلَا طَعَامُ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۞ وَلَا عَعَامُ الْمِسْكِينِ ۞ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمُ ۞ وَلَا طَعَامُ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۞ لَا يَأْصُلُكُونَ ۞ ﴿ إِللَّهِ الْخَاطِعُونَ ۞ ﴿ [الحاقة: ١٩-٣٧].

في الحاقة، في يوم القيامة، تبيضٌ وجوه وتسودٌ وجوه، وينقسم الناس إِلَىٰ فريقين: سعداء، وأشقياء، حين تتطاير الصحف الَّتِي كتبت فيها الملائكة عَلَيْهِم السَّلامُ أعهال بني آدم، وأقوال بني آدم من خير أو شر، صغيرها وكبيرها، فأما المؤمن، فإن ربنا الكريم الرحيم، اللطيف البر المحسن، يدنيه منه، حَتَّىٰ يضع عليه كنفه، فيقرره بذنوبه، فيقول: هل تعرف؟ فيقول: نعم، ربي أعرف، فيقول مئب عَلَيْهُ: قد سترتها عليك في الدنيا، وإني أغفرها لك اليوم، فيعطى صحيفة حسناته، كها ثبت في الصحيحين، فيعطى كتاب بيمينه إكرامًا له، وإظهارًا لشرفه، ويُقال له: اقرأ كتابك، فيقرأه، فلا يرى فيه إلَّا الحسنات، فيفرح فرحًا شديدًا عظيمًا، ويسر سرورًا كبيرًا، فيقول لأهله وللناس الَّذِين يلقاهم: تعالوا خذوا كتابي فاقرؤوه، فإن الَّذِي فيه شرفٌ لي، وخير لي، وسبب ذلك بفضل الله، أني في الدنيا أيقنت أني سألاقي حسابية بعد الموت وبعد البعث، فأحسنت الاستعداد لذلك، فكنت من الأكياس

الَّذِين يُكثرون ذِكر الموت، ويحسنون الاستعداد لما بعده، بتقوى الله، والحرص عَلَىٰ طاَعة الله سُبْحَانَهُ، والبعد عن معاصيه، والمسارعة للتوبة والاستغفار إذا زلَّت القدم.

فهو عند ذلك في عيشة مرضية، ترضي صاحبها، لا مُنغِّص فيها، بل هي نعيم خالص، لا يكدِّرها شيء، ولا ينغصها شيء، في جنة عالية في منزلتها، وفي درجاتها، وفي نعيمها، وفي مكانة أهلها، فكل ما يُشتهى فيها، وكل قطوفها الَّتِي تُقطف من الثهار والفواكه قريبة المتناول لصاحبها، تصل إليه إذا اشتهاها، لا يحول بينه وبينها بُعدٌ، ولا عدمٌ، ولا شوكٌ، ولا يحتاج في تحصيلها إلى تعب، يشتهيها فتصل إليه هانئة خالصة من كل كدر، تصل إليه قائمًا، أو قاعدًا، أو متكئًا أو مضطجعًا، لا يحول بينه وبينها شيء، ويقال له ولمن معه في الجنّة: كلوا واشربوا متمتعين متاعًا كاملًا، لا يكون فيه كدر، ولا يُنغِّصه مُنغِّص، فلا تخافون انقطاعه، ولا تخشون امتناعه، ولا تتعبون في تحصيله.

فكل ما اشتهيتموه حصلتموه، وإذا تناولتموه كان سائغًا طيبًا، لا تتعبون في تناوله، ولا تتعبون في إخراجه، بل هو هنيءٌ كامل الهناء، بسبب ما قدمتم من الأعمال الصالحة في الدنيا، فطاب عملكم في الدنيا، فطابت عاقبتكم وجزاؤكم في الآخرة بفضل الله ورحمته.

وَأَمَّا الشقي الَّذِي يُعطى كتابه بشماله، وتُنزع شماله حَتَّى تصير وراء ظهره، فيُعطى بشماله من وراء ظهره، إهانةً له، وإذلالا له، يُقال له: ﴿ اقْرَأُ كِتَابَكَ ﴾ [الإسراء: ١٤]، فإنه إذا نظر فيه، ونظر ما فيه من سوء، يقول لسوء ما فيه: يا ليتني لم أعطى كتابي، فأعماله الَّتِي كانت تفرحه في الدنيا ويتلذذ بها في الدنيا، صارت وبالاً عليه يوم القيامة، فيقول: يا ليتني ما رأيتها، يا ليتني ما عملتها، يندم ويتحسر، اللَّهُ أَكْبَرُ -، يعصي في الدنيا، يظن أن في هلّه المعصية لذة، فإذا رأى هله الأعمال في كتابه يوم القيامة، ندم ندمًا شديدًا، وتحسَّر تحسُّرًا شديدًا، ويقول: يا ليتني لم أُبعث ولم أعلم ما جزائي، ويا ليت ميتتي التي كانت في الدنيا كانب الثابتة الَّتِي لا حياة بعدها، ويا ليتني إذ بُعثت أن أموت وأصير ترابًا كالبهائم والأنعام، غاية ما يتمناه إذ ذاك أن يموت، ليصير ترابًا كالبهائم والأنعام.

فقد أغفلني مالي في جمعه، وأطغاني بكثرته، وبخلت به، فلم أُخرج منه لله شيئًا، فلم ينفعني، لا في دنياي، فها هو إِلَّا شيءٌ قد فني وذهب، ولم ينفعني في آخرتي، بل كان وبالًا عليّ، وذهبت مكانتي عند الناس الَّذِين كانوا يتقربون مني لأموالي وما عندي من الدنيا، وذهب سلطاني عَلَىٰ نفسي، حيث



كنت آمرها وأنهاها، فآمرها بترك ما أوجب الله، وأنهاها عن ترك ما حرم الله، فتطيعني؛ لأن لي سلطانًا عليها، فذهبت قوتي، وذهبت مكانتي، وذهبت سطوتي، وانقطعت حُجتي، فلا حجة عندي أدفع بها عذاب الله عني، فلا عذر لي عند ربي.

فسيكون مآله: أن يأمر الله عَزَّ وَجَلَّ الزبانية، ملائكة العذاب، بأخذه بإذلال وإهانة، وذلك بغنف بغلّ يديه في عنقه بسلسلة عظيمة، ورد رجليه إلى رقبته، وغل كل ذلك بسلسلة عظيمة، وسحبه بعنف عَلَى وجهه، حَتَّىٰ يُلقى في النَّار، ثُمَّ يُلقى في نارٍ بعيدة القعر وهي جهنم، شديدة العذاب، ثُمَّ يُعذَّب بعذاب شديد، ومنه: أن تُدخل سلسلةٌ ذرعها سبعون ذراعًا، والله أعْلَمُ بهذَا الذراع، تُدخل وهي حامية من دُبُره، حَتَّىٰ تخرج من فمه وأنفه، ويُعلَّق بها، ويُعذب بها.

وذلك أن ذاك البعيد لم يكن يؤمن بالله عَزَّ وَجَلَّ، ولا يعمل الأعمال الصالحة عن إيمان، وهي من الإيمان، ولا يحسن إلى خلق الله عن إيمان، فكان جزاؤه أنه ليس له صديقٌ ولا قريبٌ يوم القيامة يشفع له، أو يدفع عنه، أو يعطيه من حسناته لينقذه من النَّار، وليس له في النَّار قريبٌ وصديق يسليه عن عذابه، فلا تخفيف في العذاب، ولا تسلية عنه، وليس له مع شدة عذابه طعام يتقوى به، فليس له طعام يقويه، ولا يسمنه، ولا يغني عنه من جوع، بل يزيده عذابًا، فطعامه من غسلين، من صديد وقيح أهل النَّار، ومن دم أهل النَّار، وعرق أهل النَّار، يكون غليظًا، فيتلقمه ويأكله، مع كونه منتنًا نتنًا شديدًا، وحارًا حرًا شديدًا، فلا يقويه ولا يدفع عنه الجوع، بل يحرق جوفه إحراقًا، ذاك الطعام الخبيث لا يأكله وحارًا حرًا شديدًا، فلا يقويه ولا يدفع عنه الجوع، بل يحرق جوفه إحراقًا، ذاك الطعام الخبيث لا يأكله إلَّا الخاطئون الَّذِين كفروا بالله عَزَّ وَجَلَّ، وفعلوا المعاصي العِظام، قاصدين عالمين متعمدين.

فمن أراد السلامة من ذاك الطعام، ومن ذاك العذاب، فعليه أن يجتنب هلّه الحال، إياه أن يكون من الخاطئين، بل يحرص عَلَىٰ أن يكون من المؤمنين الَّذِين يتقون الله حيثها كانوا، الخير رجاء ثواب الله، ويتركون الحرام خوفًا من عذاب الله، وإذا زلَّت القدم، تتبع السيئة الحسنة بها يمحوها، وتابوا إلى رجم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأحسنوا إلى الناس، وأعظم الإحسان المعاملة بحسن الخُلُق، هلاَ اطريق النجاة من عذاب الله عَزَّ وَجَلَّ.

طريق النجاة من حال أولئك الخاطئين يوم القيامة، أن توحد الله، وتعمل بطاعة الله عَلَىٰ نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله عَلَىٰ نور من الله، تخاف عذاب الله، وأن تسارع إذا زلَّت

القدم بالأوبة والتوبة والرجوع إِلَىٰ الله، وأن تحرص عَلَىٰ الإحسان إِلَىٰ خلق الله، وَالَّذِي يَدَعُوكُ إِلَىٰ ذلك إيهانك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وإخلاصك لله عَزَّ وَجَلَّ.

ثُمَّ نقرأ ما سطره الإمام السعدي في تفسير هلِّه الآيات.

(الماتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: فإن الله تعالىٰ عالم الغيب والشهادة، ويحشر العباد حفاة عراة غرلا في أرض مستوية، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، فحينئذ يجازيهم بما عملوا، ولهذا ذكر كيفية الجزاء، فقالَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهُ ۞ إِنِي ظَنَنْتُ أَنِي مُلَاقٍ حِسَابِيَهُ ۞ فَهُو فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۞ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۞ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۞ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيعًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخُالِيَةِ ۞ [الحاقة: ١٩-٢٤]، وهؤلاء هم أهل السعادة يعطون كتبهم التي فيها أعمالهم الطالحة بأيمانهم تمييزا لهم وتنويها بشأنهم ورفعا لمقدارهم، ويقول أحدهم عند ذلك من الفرح والسرور ومحبة أن يطلع الخلق علىٰ ما من الله عليه به من الكرامة: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهُ ﴾ أي: وونكم كتابي فاقرأوه.

(الشرح)

﴿ هَاؤُمُ ﴾؛ قيل معناها: تعالوا، هلموا، وقيل معناها: خذوا، وكلا المعنيين يقع، فينادي الناس ويقول: تعالوا، هلموا، خذوا كتابي، ﴿ كِتَابِيَهُ ﴾؛ يعني: كتابي، والهاء للسكت، لكن أكثر أهل العلم قالوا: إنها تُقرأ وقفًا ووصلًا، مع أن الأصل أنها للسكت؛ لأنها هكذا كُتبت في المصحف، فتُقرأ وقفًا، وهذَا ظاهر للسكت، وتُقرأ وصلًا بنية السكت، فلا تُحذف الهاء هنا عند الوصل؛ لأن الصحابة هكذا كتبوها في المصحف.

(الماتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: فإنه يبشر بالجنات، وأنواع الكرامات، ومغفرة الذنوب، وستر العيوب، والذي أوصلني إلى هذه الحال، ما من الله به علي من الإيمان بالبعث والحساب، والاستعداد له بالممكن من العمل، ولهذا قال: ﴿إِنِّى ظَنَنْتُ أَنِّى مُلاقٍ حِسَابِيَهْ ﴾ أي: أيقنت فالظن -هنا-(بمعنى) اليقين. (الشرح)

أي: أيقنت أني ملاقٍ جزائي، أي أنه كان موقنًا، مؤمنًا بالحاقة، وما يكون فيها، وأنه سيلاقي جزاءه في ذلك اليوم، وقال بعض المفسرين: الظن هنا عَلَىٰ بابه، والمعنى: إني ظننت أني سأجازى بسيئاتي



وذنوبي، فاجتنبتها؛ يعني: في الدنيا ظننت أن الله سيجازيني بذنوبي وإن كنت موحدًا، وإن كان الله قد يعفو، لكني ظننت أن الله سيجازيني بذنوبي فاجتنبتها، وقال بعض المفسرين: المعنى: أني عند البعث ظننت أني سألاقي جزائي عَلَىٰ السيئات الَّتِي عملتها، وأعلم أني عملتها، لكن ربي عاملني بلطفه، فعفا عنى وغفر لي، فسترني في الدنيا، وغفر لي في الآخرة.

ونقول في ﴿حِسَابِيَهُ ﴾، كما قلنا في ﴿كِتَابِيَهُ ﴾، الهاء للسكت، وتُقرأ وقفًا ووصلًا.

(الماتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ أي: جامعة لما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، وقد رضوها ولم يختاروا عليها غيرها.

(الشرح)

فمعنى: ﴿ رَاضِيَةٍ ﴾ ، مرضية ، لكونها جامعة للنعيم ، وترون أن ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَالَ: ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ [الحاقة: ٢١] ، كأن العيشة هي الَّتِي ترضى ، قَالَ العلماء: هي راضية مرضية ، ووصفها الله بكونها راضية ، مدحًا لها ، فهذا الوصف من باب المدح لتلك المعيشة ، فهي راضية ، ويرجع ذلك إلى صاحبها بالرضا.

(الماتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ المنازل والقصور عالية المحل. (الشرح)

أي: أنها مرتفعة المنازل، مرتفعة القصور، مرتفعة المحل، كما قالَ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: "رفيعةٌ قصورها، حسانٌ حورها، نعيمةٌ دورها، دائمٌ حبورها"، وقالَ بعض المفسرين: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ [الحاقة: ٢٢]، أي: في جنةٍ عظيمة في نفوس أهلها، فلا يرون أحدًا أنعم منهم، فهي عظيمة في نفوس أهلها، مع أن أهل الجنَّة يتفاوت نعيمهم، لكن هذا النعيم تفاوتٌ في الكمال، فمن قل نعيمه بالنسبة لمن هو أعلى منه لا يتكدر لهذَا، ولا يُنغَّص عليه هلذَا نعيمه، بل يرى نفسه في أعلى ما يكون، فهلزه الجنة عظيمةٌ في نفوس أهلها.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: ﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾ أي: ثمرها وجناها من أنواع الفواكه قريبة، سهلة التناول على أهلها، ينالها أهلها قياما وقعودا ومتكئين.

(الشرح)

هي دانية قريبة منهم، لا يتعبون في الوصول إليها، ولا يخافون عدمها وانقطاعها، ولا يحول بينهم وبينها حائل، لا من شوك، ولا من بُعد ولا غير ذلك.

(الماتن)

ويقال لهم إكراما: ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا ﴾ أي: من كل طعام لذيذ، وشراب شهي، ﴿ هَنِيعًا ﴾ أي: تاما كاملا من غير مكدر ولا منغص.

وذلك الجزاء حصل لكم ﴿ بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَّةِ ﴾.

(الشرح)

﴿ بِمَا أَسْلَفْتُمْ ﴾ [الحاقة: ٢٤]؛ يعني بها قدمتم، ﴿ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾؛ يعني في الأيام الخالية، يعني الأيام الماضية في الدنيا.

(الماتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: ﴿ بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ من الأعمال الصالحة – وترك الأعمال السيئة – من صلاة وصيام وصدقة وحج وإحسان إلى الخلق، وذكر لله وإنابة إليه فالأعمال جعلها الله سببا لدخول الجنة ومادة لنعيمها وأصلا لسعادتها.

(الشرح)

لكنها ليست سببًا مستقلًا، فلن يدخل أحدٌ الجنّة بعمله، وإِنّهَا كل من يدخل الجنّة، إِنّهَا يدخل الجنّة بفضل الله وبرحمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لكن الأعهال الصالحة سببٌ لنيل فضل الله، وسببٌ لرحمة الله سببُ كنانه وبرحمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وقال مجاهد: الأيام الخالية هي أيام الصيام، حيث كانوا يصومون في الدنيا كحالكم، فيتركون الطعام لله، ويتركون الشراب وهم يجبونه لله، فيكون جزاؤهم زيادة نعيم لهم في الجنّة، في الأكل والشرب، فينعتمون بالأكل والشرب.

ولا شك أن الصيام من أعظم الأعمال الصالحة، وقد علمنا أن ربنا أكرم الصائمين بأن خصهم بباب خاص في الجنّة، يُقال له: الريان، لا يدخل منه إلّا الصائمون، فإذا دخلوه أُغلق، ولا شك أن الجزاء من جنس العمل، فكما أن الصائم منع نفسه في نهار الصيام من الطعام الّذِي يجب، فإن الله يمتعه في الجنّة بالطعام أكثر من غيره، وكما أن الصائم منع نفسه من الشراب الّذِي يجب في نهار الصيام، فإن الله يمتعه بالشراب في الجنّة أكثر من غيره، ولكن هذا ليس حصرًا، أعني في الصيام، بل هذا مثال، وَإلّا فكل الأعمال الصالحة تدخل في هاذِه الآية.

(الماتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِى كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهُ ۞ مَا أَغْنَى عَتِى مَالِيهُ ۞ هَلَكَ عَتِى سُلْطَانِيَهُ ۞ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهُ ۞ يَالَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ۞ مَا أَغْنَى عَتِى مَالِيهُ ۞ هَلَكَ عَتِى سُلْطَانِيَهُ ۞ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۞ ثُمَّ الجُبَحِيمَ صَلُّوهُ ۞ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۞ إِنَّهُ كَانَ لَا خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۞ ثُمَّ الجُبَحِيمَ صَلُّوهُ ۞ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۞ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللّهِ الْعَظِيمِ ۞ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۞ ﴾ [الحاقة: ٢٥-٣٤]، هؤلاء أهل الشقاء يعطون يُؤْمِنُ بِاللّهِ الْعَظِيمِ ۞ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۞ ﴾ [الحاقة: ٢٥ عَلَيَا، هؤلاء أهل الشقاء يعطون كتب أعمالهم السيئة بشمالهم تمييزا لهم وخزيا وعارا وفضيحة، فيقول أحدهم من الهم والغم والخري ﴿ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيّهُ ﴾ لأنه يبشر بدخول النار والخسارة الأبدية، ﴿ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهُ ﴾ أي: ليتني كنت نسيا منسيا ولم أبعث وأحاسب.

(الشرح)

﴿ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهُ ﴾ [الحاقة: ٢٦]، أي: لم أعلم ما جزائي.

(الماتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: ولهذا قال: ﴿ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴾ أي: يا ليت موتتي هي الموتة التي لا بعث بعدها.

(الشرح)

﴿ يَالَيْتَهَا ﴾ [الحاقة: ٢٧]؛ الضمير هنا عَلَىٰ ما ذكره الشيخ رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، يرجع إِلَىٰ موتته في الدنيا، ﴿ يَالَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴾ [الحاقة: ٢٧]، فلم أبعث لألقى هذا الجزاء، وقال بعض المفسرين: إن الضمير يرجع إِلَىٰ الحالة الَّتِي هو عليها عندما يرى كتابه، فيقول: يا ليت هذه الحالة عندما نظرت في



الكتاب قضت عليّ، يا ليتني كما يحدث لأهل الدنيا من أصابته مصيبة عظيمة قد تحدث له سكتة ويموت، يا ليتني عندما نزلت بي هلِزه المصيبة الَّتِي لا أعظم منها، مِتُّ وسقطت ميتًا.

(الماتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: ثُمَّ التفت إلى ماله وسلطانه، فإذا هو وبال عليه لم يقدم منه لآخرته، ولم ينفعه في الافتداء من عذاب الله فيقول: ﴿مَا أَغْنَى عَنِي مَالِيَهُ ﴾ أي: ما نفعني لا في الدنيا، لم أقدم منه شيئا، ولا في الآخرة، قد ذهب وقت نفعه.

(الشرح)

وهلدًا باعتبار أن، ﴿مَا ﴾ [الحاقة: ٢٨]، هنا نافية، وقال بعض المفسرين: إِنَّ مَا هنا استفهامية، أي أنه يلوم نفسه، فيقول: هلدًا المال الَّذِي ضيعت الدين من أجله، ماذا أغنى عني، ماذا نفعني؟ لم ينفعني بشيء، فيقول: مبكتًا لنفسه، ما الَّذِي أفادني به هلدًا المال؟ ما نفعني بشيء، وهو والله كذلك، يقول ابن آدم: مالي مالي، يحرص عليه، وقد يضيع شيئًا من دينه من أجله، وما هي الحقيقة؟ ليس له من ماله، إلَّا ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو تصدق فأبقى، هذا لو كان يتصدق، وما سوى ذلك فذاهبٌ وتاركه للناس، فَالَّذِي يلهيه ماله عن الخير في الدنيا سيندم، ويقول: ما الَّذِي نفعني به هذا المال؟ حيث يرى أن المال يوم القيامة لا ينفع، إلَّا إذا قدمه الإنسان لربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فقالَ بالمال هكذا وهكذا وهكذا وهكذا، فأحسن فيه وتصدق منه.

(الماتن)

﴿ هَلَكَ عَنِي سُلْطَانِيَهُ ﴾ أي: ذهب واضمحل فلم تنفع الجنود الكثيرة، ولا العدد الخطيرة، ولا الجاه الجاه العريض، بل ذهب ذلك كله أدراج الرياح، وفاتت بسببه المتاجر والأرباح، وحضر بدله الهموم والغموم والأتراح.

(الشرح)

فذهبت مكانتي عند الناس فلم تنفعني بشيء، وقيل: سلطانية؛ أي: عذري، فذهبت حجتي وهلكت وتلفت، فإنه لا عذر لي عند ربي، وقيل: هلك عني سلطاني عَلَىٰ نفسي، حيث كنت آمرها وأنهاها، لعلنا نقف هنا، حَتَّى ما نتأخر عَلَىٰ الإخوة، وما نؤذي أصحاب السفر، ونكمل غدًا إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، لعلنا نجيب عن شيء من الأسئلة.



(الأسئلة)

السؤال: جزاكم الله خيرًا، وبارك الله فيكم، نفع الله بها سمعنا، يسأل عن الراجح في مسألة الحامل والمرضع إذا أفطرتا، ماذا عليهها؟

الجواب: الحامل إذا أفطرت فلهما حالان:

الحالة الأولى: أن يكون سبب فطرهما الخوف عَلَىٰ أنفسها أو عَلَىٰ نفسيها، سواء خافتا مع ذلك عَلَىٰ الولد والجنين، أو لم تخافا، المهم أن الخوف عَلَىٰ النفس موجود، وهذِه إِنَّمَا عليها القضاء وليس عليها إطعام، وقد حكى جماعة من الفقهاء الَّذِين لهم خبرة كبيرة بخلاف الفقهاء، الاتفاق عَلَىٰ هلدًا، ومنهم ابن قدامة رَحِمة الله عَزَّ وَجَلَّ، فهذِه المرأة الحامل والمرضع في هذِه الحال لا تعدوا أن تكون مريضة، وقد استقرأنا الشريعة فوجدنا أن من يفطر لسبب يعود إليه لمشقة تلحقه لا يجب عليه إلَّا القضاء، ولم نجد قط في الشريعة أن مسلمًا يفطر في نهار رمضان لعذر يرجع إليه ولا يقضي، لا يوجد هذا في أصول الشريعة أبدًا، بل الشريعة مطردة عَلَىٰ أن من أفطر لعذر يرجع إليه يجب عليه أن يقضي. طيب، إذا كان ذلك كذلك، إذا وجدنا أن الصحابة قد اختلفوا عَلَى قولين، فمنهم من قَالَ: عليها الإطعام، ومنهم من قَالَ: عليها القضاء، فإن أقوال الصحابة تتساقط، ونرجع إلى الأصل، أو نأخذ بالقول الَّذِي يؤيده الأصل.

والحالة الثانية: أن تخاف المرضع أو الحامل عَلَىٰ الجنين أو الولد، من غير خوف عَلَىٰ نفسيها، تخاف عَلَىٰ الولد أن ينقطع الحليب فلا يكفيه، والولد لا يرضع من مصدر آخر، أو تخاف الحامل عَلَىٰ جنينها أن يتأذى، فهنا تفطر وتقضي، وتطعم عن كل يوم مسكينًا، أما القضاء؛ فلأنه الأصل، والأصل أن من يفطر يقضي، ولا نعرف في الشرع أن من يفطر وهو قادر عَلَىٰ الصوم لا يقضي، وَإِنَّمَا الَّذِي يطعم هو الَّذِي يفطر وهو غير قادر عَلَىٰ الصوم، كالكبير، والمريض مرضًا لا يُرجى برؤه.

وَأَمَّا الإطعام فلثبوت ذلك عن بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ؛ ولأن فطرهما لم يكن لعذرٍ يتعلق بهما، وإنَّمَا لعذرٍ يتعلق بغيرهما، فكان عليهما القضاء والإطعام، هلذَا التحقيق في المسألة، والذي ينبغي أن يُعمل به.

السؤال: أحسن الله إليكم، هلاً يقول: إذا اتسخ لباس الإحرام هل يجوز لي أن أغسله بمسحوق فيه طِيب؟ الجواب: أو لا يا إخوة: يجوز أن تتخذ لباسين أو ثلاثة للإحرام، تلبس واحدًا وتأخذ معك في الحقيبة اخر، ما في إشكال، اتسخ واحد تلبس الْثَّانِي الَّذِي في الحقيبة ليس هناك إشكال، إذا اتسخ الإحرام يجوز أن تغسله وتلبسه، لكن لا يجوز أن تغسله بشيء فيه طيب، وإنَّمَا تغسله بالماء وبالمنظفات الَّتِي رائحتها طبيعية، الَّتِي تسمى رائحة الصابون نفسه، ليس فيها عود مضاف، ليس فيها مسك مضاف؛ لأن يا إخوة المساحيق الَّتِي يُضاف إليها الطيب يُقصد بها أمران: التنظيف، والتطييب، والمحرم ممنوع من التطييب، فإذا كانت ها للمساحيق تُنظِّف وتُطيِّب، فلا يجوز له أن يستعملها، ولكن يستعمل الماء والمساحيق النّتي لا يُقصد منها التطييب.

لعلنا نقتصر عَلَىٰ هلاً، ويا إخوة أنا أعتذر من الإخوة بعد الدرس، لا أستطيع أن أجيب عَلَىٰ الإخوة وأنا أسير، والله إني أستحي أن أقول لأحد: لا، لكن ترون أصحاب السفر والمسجد ممتلئ، فكوننا نخرج سويًا بعد الدرس يؤذي الناس، وأذية الناس ما تجوز، وإذا كان من آذى الناس في طرقهم يستحق اللعنة، فكيف بمن يؤذي الناس في مساجدهم؟ ثم طالب العلم ينبغي أن يحافظ عَلَىٰ سمته، وأن يري الناس خيرًا بها يحبهم في العلم، وأن يجتنب ما قد ينفر الناس من طلاب العلم ومن أهل العلم ومن العلم، ولذلك في رمضان أنا أعتذر للإخوة أني لا أُجيب بعد أن أقوم عن الكرسي.

أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ بأسمائه الحسني وصفاته العُلى، أن يجعل هاذَا المجلس الَّذِي جلسناه في مسجد رسولنا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونحن صيام، أن يجعله مِمَّا يسرنا ويفرحنا عند لقائه.

بارك الله في الجميع، وتقبل الله من الجميع.

واللهُ تَعَالَى أَعْلَى وَأَعْلَمُ، وَصَلَّ اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّم.



تفسير جزء تبارك

(سورة الحاقة)

من كناب:

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان

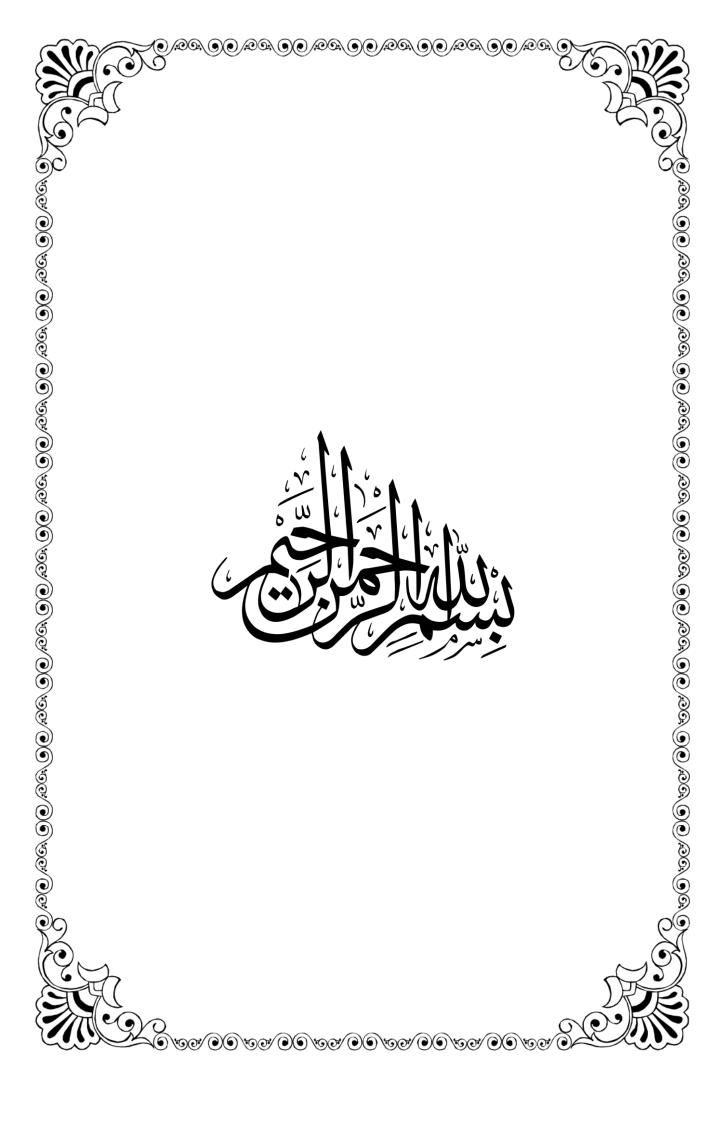
لِلشَّيْخُ العَلَّامَة

عَبْدُ الرَّحْمَن بِن ناصِر بِن عَبْدُ اللّهِ بِن سِعْدِيًّ وَحَمُهُ اللّهُ عِنْ سِعْدِيًّ وَحَمُهُ اللّهُ

شَرْحُ فَضِيلَةُ الشَّيْخ

أ.د: سليمان بن سليم الله الرحيلي

غَفَرَ اللّٰهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ



المجلس (۱۰)

بِسۡ ___ِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰزِ ٱلرَّحِي حِـ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأَتمان الأَكملان عَلَىٰ المبعوث رحمةً للعالمين، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبهِ أَجْمَعِيْنَ.

أُمَّا بَعْدُ:

فمعاشر الفُضلاء؛ بين يدي الدرس أذكّر نفسي وإخواني بفائدة رمضانية، وفائدتنا الليلة هي أن للصيام مزية في رجاء إجابة الدعاء، فالصائم تُرجى إجابة دعوته، وذلك أن ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال بين آيات الصيام: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِي فَإِنِي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة:١٨٦].

قال هذا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وقبل الآية آيات عن الصيام، وبعد الآية آيات عن الصيام، فدل هذا على أن للدعاء حال الصيام مزية.

وانظر الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِي فَإِنِي ﴾ [البقرة:١٨٦]، لم يقل كسائر الأسئلة، فقل كذا، وإنها أجاب الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى فقال: ﴿ فَإِنِي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فقل كذا، وإنها أجاب الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى فقال: ﴿ فَإِنِي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْ كَذَا، وإنها أَجاب الله سُبْحَانَهُ ورَتَعَالَى فقال: ﴿ فَإِنِي اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ

وصحّ عن النبي صلّى الله عَليه وسلّم أنه قال: «ثَلاثُ دَعواتٍ لا تُردُّ: دعوةُ الوالِدِ، ودعوةُ الصائِم، ودعوةُ المسافِرِ»، فالصائم حال كونه صائمًا من أول صيامه وإمساكه عند طلوع الفجر إلى أن يُفطر تُرجى إجابة دعوته، فإذا دعا الصائم بعد الفجر رُجيت إجابة دعوته، وإذا دعا عند الضحى رُجيت إجابة دعوته، وإذا دعا ظهرًا أو دعا عصرًا أو دعا قبيل المغرب أو دعا عند إفطاره أو دعا عقيب إفطاره فنه تُرجى إجابة دعوته.

وقد جاء في بعض الأحاديث: «للصَّائِم حتَّىٰ يُفطِر».

وفي بعض الأحاديث: «حينَ يُفْطِر».

وللعلماء كلام في هذه الأحاديث، لكن المعنى صحيح، فللصائم دعوة منذ أن يبدأ الصيام إلى أن يفطر من صيامه، والعلماء يقولون: إن آخر العمل تتأكد فيه إجابة الدعاء، فلا شك أنه في آخر الصيام، وإذا يتأكد رجاء إجابة الدعاء، فيحسن بالمسلم أن يكثر من الدعاء وهو صائم في جميع أوقات الصيام، وإذا أفطر وشرب الماء؛ فإنه يدعو بقوله: «ذَهَبَ الظّمَأُ، وَابْتَلّتِ الْعُرُوقُ، وَثَبَتَ الْأَجْرُ إِنْ شَاءَ الله»، وهذا يُقصد به الدعاء.

وأنتم يا معاشر المؤمنين في هذا اليوم اجتمع لكم من أسباب رجاء إجابة الدعاء أنكم صائمون.

والأمر الثاني: أنكم في آخر يوم الجمعة، وفي يوم الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم قائم يصلي يسأل الله شيئًا إلا أعطاه الله إياه، وهذه الساعة التي نحن فيها إلى غروب الشمس هي أرجى أوقات هذه الساعة الموعودة في يوم الجمعة، فمن صلّى العصر وبقي في المسجد فهو قائم يصلي، فإذا سأل الله عن وَجَلّ شيئًا رُجى أن يجيب الله دعاه أكثر من الرجاء في غير هذا الوقت.

فإذا كان الصائم في هذه الساعات يدعو لولده فإنه تجتمع له ثلاثة أسباب: أنه صائم، وساعة الجمعة المرجوة، وأنه يدعو لولده، فهو والد.

فإن كان الذي يفعل هذا مسافرًا اجتمعت له أربعة أسباب يعظم معها رجاء إجابة دعوته فهو صائم، وفي آخر يوم الجمعة، ووالد، ومسافر.

فحقيق بنا أيها الإخوة أن نغتنم هذه الفرصة العظيمة، وأن نبتهلها في الدعاء الخاص لنا ولأقربائنا وذرياتنا وأولى ذلك لوالدينا، والدعاء العام لمن في خيرهم خير للمسلمين وصلاح للمسلمين.

ثم إن درسنا في التفسير، ولا زلنا نفسِّر سورة الحاقة، وكنا بدأنا التفسير التفصيلي للمقطع الثاني من هذه السورة، ووقفنا في أثنائه، فكنا نقرأ ونفسِّر في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَأُمَّا مَنْ أُوتِي كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهُ ۞ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهُ ۞ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ۞ مَا أَغْنَى عَنِي مَالِيَهُ ۞ هَلَكَ عَنِي سُلْطَانِيَهُ ۞ [الحاقة: ٢٥ - ٢٩].

ووقفنا في التفسير التفصيلي عند هذه الجملة حيث فسرناها، فيتفضل الابن نور الدين وفَّقه الله والسامعين يقرأ لنا من الموضع الذي وقفنا فيه من تفسير الإمام السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ.

الحَمْدُ اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين؛ نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَىٰ آللهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ، أَمَّا بَعْدُ: فاللهم اغفر لنا ولشيخنا والسامعين.

قال الإمام السعدي رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى: فحينئذ يُؤمَر بعذابه فيقال للزبانية الغِلاظ الشِّداد: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴾ [الحاقة:٣٠]، أي: اجعلوا في عنقه غلًا يخنقه.

(الشرح)

وقيل: اربطوا يده إلى عنقه، وشُدوا رجليه إلى رقبته، ثم جروه على وجهه، وانظر أن الفاء هنا قد دخلت على فعل الأمر: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُوهُ ﴾ [الحاقة: ٣٠]، والمقصود بها الإسراع في امتثال الأمر، خذوه سريعًا فأذلوه وأهينوه وعذّبوه قبل أن يصل إلى النار، وذلك بغل يديه إلى عنقه، وشد رجليه إلى رقبته، وبسحبه سحبًا على وجهه، نعوذ بالله من سوء الحال.

(الماتن)

﴿ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾ [الحاقة: ٣١]، أي: قلّبوه على جَمْرها ولهبها.

(الشرح)

﴿ ثُمَّ ﴾، أي عذِّبوه وأهينوه بها تقدم ذكره، ﴿ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾ [الحاقة: ٣١]، والجحيم يا إخوة هي النار شديدة الحرارة، بعيدة القعر.

﴿ صَلُّوهُ ﴾، قال الشيخ: أي قلبوه على جمرها ولهبها، أي: فاشووه بها، والتصلية تأتي بمعنيين:

المعنى الأول: الإدخال.

والمعنى الثاني: التعذيب.

إذًا المعنى أوردوه النار وأدخلوه إياها واغمسوه فيها، وحرِّقوه بها، واشووه بلهبها، نعوذ بالله من سوء الحال.

﴿ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا ﴾ [الحاقة:٣٣]، مِن سَلاسل الجحيم في غَاية الحرارة ﴿ فَاسْلُكُوهُ ﴾، أي: انظموه فيها بأنْ تدخل في دُبَّره وتخرج من فمه، ويعلَّق فيها.

(الشرح)

هذا من عذابه أن يؤتى بسلسة شديدة الحرارة طويلة فتُتسلك فيه بأن تُدخل من دبره حتى تخرج من فمه، وخياشمه، يُعذَّب بها جوفًا وظاهرًا، ويُعلَّق بها فيعظم ألمه ويشتد عذابه، لكن بأي ذراع هي؟ هل المقصود ذراع الإنسان الذي يساوي حوالي نصف متر تقريبًا، فيكون طول السلسة خمسة وثلاثين مترًا تقريبًا؟ أم بذراع الملك الذي لا يعلم قدره إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وهل هي سبعون حقيقية، أم أن المراد التكثير على عادة العرب أنهم إذا أرادوا التكثير ذكروا السبعين؟

الله أعلم بكل هذا، لكن لا شك أنها سلسلة عذاب تناسب حجم المعذَّب في النار، ولا شك أن حجم الكافر في النار يكبر جدًا ويغلظ جدًا حتى أن مقعده في جهنم كها بين مكة والمدينة، وهذه السلسة لا شك أنها تناسب حجمه في نار جهنم، نعوذ بالله من سوء الحال.

(الماتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللّهُ: فلا يزال يُعذَّب هَذا العذاب الفَظيع، فبئس العذابُ والعقاب، وَوَاحسْرةً له من التوبيخ والعتاب، فإن السَّبب الذي أوصله إلى هذا المحل: ﴿إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴾ [الحاقة: ٣٣]، بأنْ كان كافرًا بربه معاندًا لرسله رادًا مَا جاءوا به مِن الحق.

(الشرح)

مكذّبًا بيوم القيامة، وهذا أقوى أسباب تعذيبه، فإنه يُعذّب لأسباب أقواها كفره الذي يوجب خلوده في النار، وخلوده في العذاب، بل يُقال له ذق فلن نزيدك إلا عذابًا، نعوذ بالله من سوء الحال.

﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾ [الحاقة:٣٤]، أي: لَيس في قَلبه رَحمة يَرحَمُ بها الفقراء والمساكين فلا يطعمهم [من ماله]، ولا يحضُّ غيره على إطعامهم، لِعدم الوَازع في قلبه.

ومعنى: ﴿وَلا يَحُضُ ﴾ [الحاقة: ٣٤]، أي ولا يحث غيره ولا يحث غيره على إطعام المسكين، وإذا كان بخل أن يحث غيره على إطعام المسكين فمن باب أولى أنه لن يُطعم المسكين، فهو يجمع بين خصلتين من أقبح الخصال وأشرها: يجمع بين البخل وقسوة القلب، فهو بخيل لا يطعم المساكين، وهو قاسي القلب لا يحث غيره على إطعام المساكين، وهذا سبب من أسباب تعذيبه في النار.

(الماتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللّهُ: وَذلك لأنَّ مدار السَّعادة ومادتها أمران: الإخْلاص لله، الَّذي أصله الإيمان بالله، والإحسَان إلى الخُلقِ بجمِيع وجوه الإحسَان، الَّذي مِن أعظمها، دَفع ضَرورة المحتاجين بإطعامهم ما يَتقوَّتُون به، وهؤلاء لا إخلاصَ ولا إحسان؛ فلذلك استحقوا ما استحقوا.

﴿ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴾ [الحاقة: ٣٥] أي: يوم القيامة ﴿ حَمِيمٍ ﴾؛ أي: قريبٌ أو صديقٌ يشفع له لِينجُو مِن عذاب الله أو يفوز بثوابه: ﴿ وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ [سبا: ٢٣]، ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر: ١٨].

(الشرح)

يوم القيامة ليس لهذا المخذول حميم من صديق أو قريب ينفعه بشفاعة تُقبل أو بحسنات يعطيها له، وكذلك في النار لا يكون معه حميم يهوِّن عليه العذاب، وإنها يدخل النار ويُعذَّب ولا يُخفف عنه من عذابها.

(الماتن)

وليسَ له طعامٌ إلّا من غِسلين وهو صَديد أهْل النَّار، الَّذي هُو في غَاية الحَرارة والمَرارَةِ، ونَتَن الرِّيح، وقُبح الطَّعم.

(الشرح)

وقيل إن الغسلين هو دم أهل النار، وعرق أهل النار، فالصديد الذي ينفصل من جلود الكفار والقيح والدم والعرق يكون غليظًا، حارًا شديد الحرارة، مُنتِنًا غاية النَّتن، فيتناوله هؤلاء الخاطئون فلا يدفع عنهم جوعًا، ولا يعطيهم قوة، ولا يجدون لذَّة في تناوله.



وفسِّر الغسلين بهذا أنه قيح وصديد ودم وعَرَق أهل النار؛ لأن غسلين فِعْلِين من الغِسِل، والغِسِل والغِسِل هو هو ما يُغسل من أبدانهم، فكأن هذا لانفصاله عن أبدانهم قد غُسلوا بهم فهو غِسْلُهم، فهذا هو طعامهم.

وقال بعض المفسرين: إن غِسلين شجرة قبيحة في جهنم، مرآها مُفزع، وطعمها مر، وريحها مُنتِن، وهي حارة شديدة الحرارة.

وقال بعض المفسرين: إن المراد بغسلين شر طعام أهل النار، وكل طعام أهل النار شر، لا يدفع جوعًا، ولا يُحصِّل لَذَّة، ولا يبني قوة، لكن هذا شر طعامهم، نعوذ بالله من سوء الحال.

(الماتن)

لا يأكلُ هذا الطعام الذَّميم ﴿إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴾ [الحاقة:٣٧]، الذين أخطأوا الصِّراط المستقيم، وَسلكوا كُلَّ طِريقِ يُوصِلَهم إلى الجَحيم؛ فلذلكَ استحقوا العَذاب الأليم.

(الشرح)

وقد قلنا سابقًا إن الخاطئ هو الذي يترك الحق والهدى بقصد، فهو خاطئ وليس مخطئًا، وإنها خاطئ فاعل للخطيئة، متعمد للخطيئة، تارك للهدى والحق، قاصدًا متعمدًا، نعوذ بالله من سوء الحال.

ثم نقرأ الآيات في المقطع الأخير من هذه السورة، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ﴿ فَلا أُقْسِمُ مِمَا تُبْصِرُونَ ۞ وَمَا لا تُبْصِرُونَ ۞ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۞ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ۞ تَنزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ ۞ وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ۞ تَنزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ ۞ وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ۞ تَنزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ ۞ وَلا يَقولُ كَاهِنٍ قَلْيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ۞ تَنزِيلُ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ ۞ وَلا يَعْفَى اللَّقَامِينِ ۞ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۞ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ۞ وَإِنَّهُ لَحَتْ لَكُونِينَ ۞ وَإِنَّهُ لَحَتْ لَكُولِينَ ۞ وَإِنَّهُ لَحَتُ لَكُونِينَ ۞ وَإِنَّهُ لَحَتْ اللّهُ الْعَلِيمِ ۞ وَإِنَّهُ لَحَتْ اللّهُ الْعَلِيمِ ۞ وَإِنَّهُ لَحَتْ مِنْ أَحَدِينَ ۞ وَإِنَّهُ لَحَتْ اللّهُ عَلِيمَ وَإِنَّهُ لَكُولِينَ ۞ وَإِنَّهُ لَحَتْ اللّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ۞ وَإِنَّهُ لَحَتْ الللّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ۞ وَإِنَّهُ لَحَتْ الللّهُ وَلِينَ اللّهُ عَلَى الْعَظِيمِ ۞ وَإِنَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ۞ وَإِنَّهُ لْعَلَيْمِ اللّهُ وَلِينَ اللّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ۞ وَإِنَّهُ اللّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ۞ وَإِنَّهُ لَكُولُولُ الْعَظِيمِ ۞ وَاللّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ۞ وَإِنَّهُ لَعْلَمُ اللّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ۞ وَإِنَّهُ لَكُولُولُولُ الْعَظِيمِ ۞ وَاللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ الْقُولِينَ الللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ الللّهُ الْعَظِيمِ الللهُ الللللّهُ الللهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ وَلِي الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللْعَلَامُ الللهُ الْعُلَامُ اللّهُ وَلِينَا لَمُ الللّهُ عَلَى اللّهُ وَالْهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللْعُلِيمِ الللّهُ اللّهُ الللّهُ وَلِيلُولُ اللللْهُ اللْعُلْمُ اللّهُ اللْعُلِيمُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللللّهُ الللّهُ ا

في هذه الآيات الكرمة العظيمة يُقسم الله قسما عظيمًا عامًا هو أعم الأقسام على الإطلاق، حيث يقسم بذاته المقدسة، وبجميع المخلوقات ما يراه البشر منها وما لا يرونه، على صدق رسوله محمد بن عبد الله صلَّى الله عَليه وسلَّم، وعلى تنزيهه عن جميع النواقص التي رماه بها المكذِّبون له، الكافرون



بدينه، وهم يعلمون براءته من كل ما يرمونه به، فهو الملقب عندهم بالصادق الأمين من قبل أنَّ يُبعث صلَّى الله عَليه وسلَّم.

فالقرآن قول أكرم رسولين على الإطلاق: قول جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي سمعه من ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فبلَّغه رسول الله صلَّى الله صلَّى الله صلَّى الله صلَّى الله عليه وسلَّم، فكان قولًا له باعتبار أنه أسمعه لرسول الله صلَّى الله عَليه وسلَّم، كما في قول الله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۞ ذِى قُوَّةٍ عِنْدَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ ۞ ﴿ وَلَا لِللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۞ ذِى قُوَّةٍ عِنْدَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ ۞ ﴾ [التكوير: ١٩، ٢٠].

والرسول الثاني أشرف رسل البشر محمد صلّى الله عَليه وسلّم الذي سمعه من جبريل عَلَيْهِ الله عَليه والرسول الثاني أشرف رسل البشر محمد صلّى الله عَليه السّكامُ فأبلغه للأمّة وأسمعه للصحابة رضوان الله تَعَالَىٰ عَلَيْهِم، فكان القرآن قولًا له صلّى الله عَليه وسلّم باعتبار أنه بلّغه للناس، وسمعه الناس منه، فهو تبليغ من رسولين كريمين عند الله، متصفين بأحسن الأخلاق وأعلاها، وبأجمل الصفات وأكملها مما يليق بالمخلوقات.

وليس القرآن بقول شاعر كما زعم بعضكم أعني الكفار كفار قريش، فإنكم تعرفون الشِّعر معرفة تامة، وأنتم أهله، وتدركون إدراكًا تامًا أن هذا القرآن لا يشبه الشِّعر في شيء، ولا يشبهه الشِّعر في شيء.

كما أنكم تعرفون محمدًا صلّى الله عليه وسلّم وأنه ليس شاعرًا ولا يجالس الشعراء صلّى الله عَليه وسلّم، فما نطق بالشّعر ولا اختلف إلى الشعراء، ولا تعلّم الشعر، وهذا أمر واضح بيِّن، لكنكم أيها الكفار قليلًا ما تؤمنون، فكان إيهانكم قليلًا غير نافع، حيث آمنتم بربوبية الله، وكفرتم بألوهيته فلم ينفعكم ذلك شيئًا، وقلة إيهانكم هي التي دعتكم إلى رمي هذا الرسول الكريم صلّى الله عَليه وسلّم بأنه شاعر وأنتم تعلمون وتوقنون براءته من ذلك.

وليس هذا القرآن الذي يتلوه عليكم رسولنا الكريم صلَّى الله عَليه وسلَّم بقول كاهن لا في لفظه ولا في معانيه، ولا في إحكامه وعدم تناقضه، وهذا الأمر أوضح من الشمس لكنكم قليلًا ما تتذكرون وتتأملون وتتدبرون، فلو تأملتم أدنى تأمل لأدركتم أنه لا تشابه بين القرآن وكلام الكهان، بل لو فكرتم قليلًا لأدركتم أنه لا يمكن أن يكون القرآن كلام كاهن؛ لأن القرآن يسفِّه الكهان ويبطل قولهم ويرد عليهم، فكيف يكون قائله كاهنًا وهو يرد عليهم ويسفِّههم ويبطل قولهم وكيدهم؟! كما أن النبي

صلَّى الله عَليه وسلَّم كان يُبغض الكهان من قبل بعثته، وما كان يختلف إلى الكهان صلَّى الله عَليه وسلَّم.

وإنها هذا القرآن الكريم تنزيل من رب العالمين العالي فوق جميع مخلوقات سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، تكلم به سبحانه فأسمعه جبريل، وأمر جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ أن ينزل به على محمد صلَّى الله عَليه وسلَّم الكريم، وكلها سمع جبريل آيات من الله عَزَّ وَجَلَّ نزل بها على رسولنا الكريم صلَّى الله عَليه وسلَّم فأسمعها للصحابة رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِم -أعني أسمعها رسول الله صلَّى الله عَليه وسلَّم للصحابة -

هذا القرآن كلام الله منه بدأ فهو تنزيل منه ونزل به جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هذا القرآن الكريم فيه تربية العالمين من الجن والإنس خير تربية.

هذا الذي تقدم هو جواب القسم العظيم الواسع فأولًا أقام الله عَزَّ وَجَلَّ برهانًا قاطعًا على صدق محمد صلَّى الله عَليه وسلَّم بهذا القَسَم العظيم الواسع الجامع.

ثم أثبت الله عَزَّ وَجَلَّ صدق رسوله صلَّى الله عَليه وسلَّم بأمر آخر هو أيضًا برهان قاطع، فلو أن هذا الرسول يكذب على ربه وحاشاه صلَّى الله عَليه وسلَّم في قول واحد أو بعض الأقاويل يختلقها وينسبها إلى الله عَزَّ وَجَلَّ ويتوعد مكذبيها بالنار والعذاب والقتل في الدنيا، لو كان ذلك كذلك لاقتضت حكمة الله وقدرة الله أن يفضح كذبه، أو أن يأخذه أخذ عزيز مقتدر، فإن كهال علم الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وقدرته وحكمته تأبى أن يُقر مَن يكذب عليه ويُضل عباده، بل لابد أن يفضحه أو يأخذه أخذا سريعًا والأمر يسير عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، فإنه لو شاء لانتقم منه بقوته وقدرته، وأخذ بيمينه عقابًا له وإذلالًا له.

ولو شاء لقطع عرق قلبه الذي إذا قُطع مات الإنسان فورًا، أو قطع نخاعه الشوكي مما يعجزه ويُقعده فورًا، ولو فعلنا ذلك لما استطاع أحد أن يدفع عنه ذلك، لكن كل ذلك لم يكن، بل رأيتم رأي العين كيف أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يحفظ رسوله من أذاكم ويحفظه من كيدكم، ويؤيده بالبراهين الدالة على صدقه فدل ذلك دلالة يقينية على أنه رسول من الله ما كذب على الله في حرف واحد صلّى الله عليه وسلّم، ودل على أن القرآن كلام الله من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لم يختلق منه الرسول صلّى الله عليه وسلّم شيئًا، فهذا البرهان الثاني.

ثم ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ برهانًا ثالثًا قطعيًا يقينيًا على صدق حبيبنا وإمامنا وقرة أعيننا محمد بن عبد الله صلَّى الله عَليه وسلَّم، وعلى أن القرآن نزل من عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تكلم به فنزل به جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهذا البرهان هو أن في القرآن تذكرة وعبرة وعظة للمتقين، الذين ينتفعون بالقرآن في جميع أمورهم وجميع أحوالهم، فمن اهتدى بالقرآن وجد الهدى استقام حاله، واطمأن قلبه، والله ما تلا القرآن مصدِّق به إلا امتلأ قلبه إيهانًا واطمئنانًا وراحة، وما عمل أحد بالقرآن إلا وجد أنه على استقامة وأنه على هدى، وأنه على خير.

فهذا برهان قاطع على أن القرآن من عند الله، فلو لم يكن من عند الله لما كان له هذا الأثر، ولما كانت له هذه الفائدة العظيمة التي يجدها المؤمنون يقينًا ويوقنون بها، ومع كل هذه البراهين القطعية فإنكم يا أيها الضلَّال يا أيها الكفَّار تكذبون بالقرآن، وتكذّبون رسولنا صلَّى الله عَليه وسلَّم ونحن أعلم بكم وبها في قلوبكم، وإنا على أخذكم لقادرون، وعلى تعذيبكم في الدنيا أو في الآخرة لقادرون، وأن هذا القرآن مع كونه هدى وذكرى للمتقين حسرة وندامة كبرى على الكافرين حين يرون العذاب العظيم حيث لا تنفعهم الندامة والحسرات، بل يكون فيها مزيد تعذيب لهم، كها أن تكذيب الكفار للقرآن ولرسول الله صلَّى الله عَليه وسلَّم حسرة وندامة عليهم يوم القيامة حيث يتحسرون حسرة شديدة تقطِّع قلوبهم أنهم لم يكونوا من المصدقين لرسول الله صلَّى الله عَليه وسلَّم، ولم يكونوا من المصدقين بالقرآن، ولا تنفعهم تلك الحسرات شيئًا.

وبين الله عَزَّ وَجَلَّ أن الرسول محمدًا صلَّى الله عَليه وسلَّم هو الحق اليقين، الذي لا شك فيه، حيث دلت البراهين القطعية على أنه رسول الله صلَّى الله عَليه وسلَّم وعلى صدقه، فلا يدفع ذلك إلا مكابر أو معاند، ان القرآن حق اليقين، فها فيه أعلى درجات العلم، إذ اليقين أعلى العلم، وأعلى اليقين حق اليقين.

ثم ختم الله السورة بخاتمة مناسبة لما في السورة من بيان عظمة الله وقدرته، وأخذه لأعدائه، وإنجائه للمؤمنين، وما يُجريه يوم القيامة وصدق رسوله صلَّى الله عَليه وسلَّم وإنزاله كتابه فقال: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ [الحاقة:٥٦]، أي فنزِّه اسم ربك العظيم عن إخلائه من معناه، وهذا



يستلزم أن تنزه ربك العظيم عما لا يليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مما ينسبه إليه الكافرون والمنحرفون والمبطلون.

هذا هو التفسير الإجمالي الإيهاني الموضوعي لهذه الآيات، ثم نرجع إلى التفسير التفصيلي لهذه الآيات فنقرأ ما سطَّره الإمام السعدي رحمه الله عَزَّ وَجَلَّ، ونعلق عليه

(الماتن)

قال رَحِمَهُ اللّهُ: أَقْسَم تعالىٰ بما يُبصر الخَلْق مِن جميع الأشياء ومَا لا يُبصرونَه، فدخَل في ذلك كُلُّ الخَلْق، بَل دخل في ذلك نفسه المقدَّسة، على صِدق الرَّسول بما جَاء به مِن هذا القرآن الكريم، وأنَّ الرَّسول الكريم بلَّغه عِن الله تعالىٰ.

(الشرح)

الله عَزَّ وَجَلَّ قال: ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الحاقة:٣٨] ﴿ وَمَا لا تُبْصِرُونَ ﴾ [الحاقة:٣٩]، ﴿ فَلا ﴾ لا هذه مقوية للقسم، مؤكدة له.

والمعنى إني أقسم هذه الر ﴿لا ﴾ بعض المفسرين يقول زائدة، وبعضهم يقول صلة، أي زائدة من جهة الإعراب، وإلا فليس في القرآن زائد من جهة المعنى، ولا يمكن حذف حرف واحد من القرآن، ﴿فَلا ﴾ هنا مؤكِّدة للقسم، مقوية للقسم.

وقال بعض المفسرين إن المراد بها أن المذكور بعدها ثابت واضح، لا يحتاج إلى قَسَم ليؤكده، لكن الكافرين لا يفقهون.

وقال بعض المفسرين ﴿فَلا ﴾ نفي لما ينسبه الكفار إلى القرآن وإلى محمد صلّى الله عَليه وسلّم، فكأن الله يقول لهم ليس الأمر كما تزعمون، وليس الأمر كما ترمون به كتابنا ونبينا صلّى الله عَليه وسلّم، بل أقسِم بما تبصرون وما لا تبصرون.

﴿مَا تُبْصِرُونَ ﴾، أي ما ترونه.

﴿ وَمَا لا تُبْصِرُونَ ﴾ [الحاقة:٣٩]، أي ما لا ترونه.

وهذا أوسع قَسَمٍ في القرآن على الإطلاق، أوسع قسَم وأعظم قسم هذا القسَم من الله عَزَّ وَجَلَّ حيث جمع كل شيء.



وقتال بعض السلف: بما تبصرون من الخلق، وما لا تبصرون من الخلق، فكما أن هذه المخلوقات حق فالمقسم عليه بهذا القسم حق.

والشيخ يرى أن هذا أوسع من المخلوقات، بل أُقسم بها تبصرون وما لا تبصرون، فيدخل في ذلك كل ما تبصرونه بأعينكم وكل ما لا تبصرونه، ومن ذلك ذاته المقدسة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(الماتن)

قال: وأنَّ الرسول الكريم بلَّغهُ عن الله تعالىٰ، ونزَّه الله رسوله عمَّا رَماهُ به أعداؤه، مِن أنه شَاعِر أو سَاحِر، وأنَّ الذي حملهم علىٰ ذلك عدمُ إيمانهم وتذكُّرِهم، فلو آمنوا وتذكروا مَا ينفعهم ويضرهم.

(الشرح)

﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ [الحاقة: ٤٠]، ﴿ إِنَّهُ ﴾، الضمير يرجع إلى القرآن، ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ ﴾ [الحاقة: ٤٠]، هو قول الرسول باعتبار أنه سمعه فبلَّغه، ومَن الرسول هنا؟

كثير من المفسرين على أنه رسولنا محمد بن عبد الله صلَّى الله عَليه وسلَّم.

وقال جمع من السلف وبعض المفسرين: هو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ولا مانع من أن يكون المقصود الرسولين، فجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ رسول كريم، ومحمد بن عبد الله صلَّى الله عَليه وسلَّم رسول كريم، وهو رسول فها هو إلا رسول مبلِّغ لكلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والمعلوم يا إخوة أن الرسول يقول للناس كلام مُرسِلِهِ، فيقال هذا قول الرسول، لكن لا يقال كلام الرسول، يقال كلام الرسول؛ لأنه بلَّغ الناس كلام مُرسِلِهِ، لكن لا يقال كلام الرسول؛ لأنه كلام المرسِل، فهو كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ [الحاقة: ٤٠]، أي أنه شريف، عظيم الفضل عند الله عَزَّ وَجَلَّ، وأنه كريم في أخلاقه وخصاله الحميدة، فأثبت الله عَزَّ وَجَلَّ للرسولين أعني جبريل ومحمدًا عَلَيْهِمَا السَّلامُ الرسالة والكرامة، فجبريل عَلَيْهِ السَّلامُ أكرم الملائكة، ومحمد صلَّى الله عَليه وسلَّم أكرم البشر وسيد ولد آدم أجمعين.



ثم نفى عن نبيه صلَّى الله عَليه وسلَّم ما رماه به المكذبون له، الكافرون وهم يعلمون أنهم يكذبون عليه، قال الله: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ﴾ [الحاقة: ٤١]، أي ليس القرآن بقول شاعر، كما قال بعضكم فإنكم تدركون أن الشِّعر لا يشبه القرآن في شيء، وأن القرآن لا يشبه الشِّعر في شيء.

﴿ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ﴾ [الحاقة: ١٤]، أي إنها دعاكم إلى هذه الفِرية قلة إيهانكم.

﴿ وَلا بِقَوْلِ كَاهِنِ ﴾ [الحاقة: ٤٦]، يقول كلامًا مسجوعًا ويدَّعي أنه يعلم الغيب، فإنكم تعلمون بفصاحتكم أن ألفاظ القرآن ليست كألفاظ الكهَّان، وأن معاني القرآن لا يستطيع الكهان لو اجتمعوا بل البشر لو اجتمعوا أن يأتوا بمثلها، فالقرآن معجِزٌ بلفظه ومعناه، ولو تأملتم أقل تأمل لأدركتم أنكم إنها تفترون أكذب الكذب.

قديقول قائل: نفى الله هنا أنه قول شاعر، ونفى أنه قول كاهن، فلهاذا لم ينفِ الله عن رسوله صلَّى الله عَلىه وسلَّم أنه مجنون كها رماه به بعضهم؟ أَوْ أنه ساحر كها رماه به بعضهم؟

الجواب من وجهين:

الوجه الأول: أنه لما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ [الحاقة: ٤٠]، انتفى أن يكون مجنونًا أو أن يكون ساحرًا، فلا حاجة لذكره.

والوجه الثاني: أن الكلام هنا متعلق بالرسالة من جهة القرآن، والذي زعموه ورموا به النبي صلّى الله عَليه وسلّم من جهة القرآن أنه كاهن أو أنه شاعر، فالذي جاء بهذا القرآن قال بعضهم إنه شاعر، وقال بعضهم إنه كاهن فرد الله عَزَّ وَجَلَّ عليهم قولهم.

(الماتن)

قال رَحِمَهُ اللّهُ: فَلُو آمنوا وتذكّروا ما ينفعهم ويضرهم، ومِن ذلك أن ينظروا في حَال محمد صلّىٰ الله عَليه وسلّم، ويَرمُقوا أوصَافه وأخْلاقه، لِيرَوا أمرًا مثل الشمس يدلهم على أنّه رسولُ الله حقًا، وأنّ ما جَاء به تنزيلٌ مِن ربّ العالمين، لا يليقُ أنْ يكون قولًا للبشر، بل هو كلام دالٌ عَلىٰ عَظَمةِ مَن تكلّم به، وجلالة أوصافه، وكمال تربيته لِلْخُلْقِ، وعُلوِّه فوق عباده، وأيضًا فإنّ هذا ظن منهم بما لا يليقُ بالله وحكمته.

(الشرح)

لعلنا نقف عند هذه النقطة؛ لأنا نراعي حال إواننا أصحاب السفر جزاهم الله خيرًا على إحسانهم، ونراعى أيضًا أن بعض إخواننا يعاونون أصحاب السفر فلا تريد أن نحبسهم.



ومن وجه آخر: عادتي في يوم الجمعة أن أخفف الدرس شيئًا ليتفرغ الإخوة للدعاء، أسَّأَل الله عَزَّ وَجَلَّ أنم يجيب دعاءهم.

غدًا إِنْ شَاءَ اللهُ عزَّ وجلَّ عندنا درس بعد العصر في هذا المكان في التفسير، وأما درس الفجر فالحقيقة أني كنت قررته لما سالت عن دروس الشيخ الفاضل الشيخ العالم عبد الرزاق البدر فقيل لي: إنه سيدرِّس من الأحد إلى الجمعة، فأردت أن أزيد درسًا بحيث يكون يوم السبت فجرًا مع دروسنا، ولما علمت أن الشيخ سيدرِّس حتى السبت تردت كثيرًا في الدرس.

والحقيقة بعد الامل والتدبر رأيت أن الأصلح لطلابي أن ألغي درس الفجر؛ لأن الطلاب أكثرهم يكون مع الشيخ في بقية الأيام، فرأيت ألا أخرهم حضورهم لدرس الفجر، فسنبقي على دروسنا في العصر إِنْ شَاءَ اللهُ عزَّ وجلَّ، حيث تكون الدروس في عصر الأربعاء والخميس والجمعة والسبت، ثم إِنْ شَاءَ اللهُ عزَّ وجلَّ إذا احتجنا إلى شيء نزيد دروسًا بعد العصر إِنْ شَاءَ اللهُ في حينه.

إذًا غدًا رأيت ألا أقيم درس الفجر رأيت أن المصلحة الأرجح أن ألغيه مع رغبتي فيه، وسيكون عندنا درس بعد العصر إِنْ شَاءَ اللهُ في مثل هذا الوقت في هذا المكان.

(الأسئلة)

السؤال: يقول: صاحب فشل الكلى الذي يغسل ثلاث مرات في الأسبوع وهو يقوى على صيام الأيام التى يغسل فيها هل يجوز له الفطر؟

الجواب: أولًا يا إخوة: المبتلى بالفشل الكلوي أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يشفي مرضنا ومرضى المسلمين، وأن يصبِّر كل مبتلى، المصاب بالفشل الكلوي يحتاج أن يغسل وفي حال غسل الكلى بنوعيه فإنه يُفطر بهذا وليس له أن يصوم، والغالب أن يكون غسيل الكلى ثلاث مرات في الأسبوع، فما بين هذه المرات هل لمريض الكلى أن يفطر؟

الجواب: نعم له أن يفطر لأنه مريض يؤثّر عليه الصوم، فلا شك أن له أن يفطر، لكن هل له أن يصوم؟ هذا السؤال، هل له أن يصوم إذا كان قادرًا على الصوم؟ نقول: يجب أن يرجع إلى الطبيب، فإذا قال الطبيب المختص إن الصوم يضره لأن كلاه لا تعمل، والجفاف يؤثر عليه ويضره ضررًا بينًا فإنه لا يجوز له أن يصوم، أما إذا قال له الطبيب نفضًل ألا تصوم فله أن يصوم إن شاء ما دام قادرًا على الصوم.

السؤال: يقول: اثنان من الإخوة الأشقاء على أحدهم دين لأخيه له، وأخوه يخرج الزكاة، يسأل يقول: هل له أن يعطيه لها نقدًا، ثم يقوم أخيه المدين بإرجاعها له تسديدًا لدينه، فهل يصح هذا؟

الجواب: يقول: لأحد الأخوين دين على أخيه، فهل يجوز للدائن أن يعطيه من زكاته على أن يردها إليه لسداد الدين؟ نقول: أما المواطأة على أن يرد إليه المال ليسد دينه فلان أما أن يعطيه من زكاته لأنه مدين ثم هو يسدد دينه الذي عليه بهذه الزكاة سواء كان الدين الذي لأخيه أو لغيره فلا بأس، يجوز له أن يعطي أخاه من زكاته لكونه مدينًا، لكن لا يشترط عليه أن يردها إليه، بل هو إن شاء ردها إليه وسدد دينه، وإن شاء أعطاها لدائن آخر.

السؤال: يقول: أنه شرب ما بعد أذان فجر الثاني بعشر دقائق ظنًا منه بأنه الأول، ماذا عليه؟ الجواب: يقول الأخ إنه سمع المؤذن يؤذّن فظنه الأذان الأول فشرب، ثم تبين له أنه الأذان الثاني الذي يكون عند طلوع الفجر الصادق، فهاذا عليه؟ الجواب: إذا لم يكن هناك تفريط منك وتقصير في



النظر فلا شيء عليك، ولا يلزمك شيء، أما إن كان هناك تفريط منك أو تقصير أو إهمال أو شبه تعمد فإنه يلزمك القضاء.

السؤال: يقول: هذا رجل مصاب بمرض بحيث يخرج من دبره دم متواصل، يسأل عن طهارته وصلاته.

الجواب: هذا به حدث دائم، وقد ذكرت لكم مرارًا أن الحدث الدائم يُطلق على الخارج من السبيلين باستمرار، كما في دم المستحاضة التي يخرج منها الدم باستمرار، كما يطلق على الذي يخرج من السبيلين ولا يُعلم وقت توقفه، أي يخرج ويتوقف، ويخرج ويتوقف، لكن لا يُعلم وقت توقفه، لا يُعلم له وقت يتوقف فيه بحيث نقول تطهر هنا وصلً، هذا كه يسمى حدثًا دائمًا.

ومن به حدث دائم سواء من جهة البول أو الريح أو خروج الدم أو نحو ذلك فإنه إذا دخل الوقت يغسل المكان، ثم يضع على المكان ما يمنع تلويث اليه أو تلويث المكان المسجد، ثم يتوضأ فيبقى متوضئًا ما بقي الوقت وقت الصلاة، إلا أن يحصل منه حدث آخر غير حدثه الدائم، بمعنى يا إخوة إذا توضأ بعد دخول الوقت، بعد أن فعل ما قلنا خروج هذا الحدث الدائم ما ينقض وضوءه يبقى على وضوء، إلا إذا حصل حدث آخر غير الحدث الدائم فإنه كغيره ينقض الحدث وضوءه، فله أن يصلي، وله أن يقرأ القرآن، وله أن يطوف حتى يخرج وقت الصلاة التي توضأ في أول وقتها، فينتقض وضوؤه بخروج الوقت، فإذا دخل الوقت الآخر وأوقات الصلوات في الغالب متتابعة متتالية في الغالب يتوضأ للوقت التالي، وكذلك يستمر إلى خروج الوقت.

فإن شق عليه ذلك فله أن يجمع بين الظهر والعصر فيتوضأ عند دخول وقت الظهر ويصلي الظهر والعصر ويبقى طاهرًا إلى أن يخرج وقت العصر، من وقت الظهر إلى نهاية وقت العصر، ويجمع بين المغرب للعشاء، ويتوضأ لدخول وقت المغرب ويصلي المغرب والعشاء ويبقى طاهرًا حتى يخرج وقت العشاء، ثم إذا دخل وقت الفجر يتوضأ لدخول وقت الفجر، ويبقى طاهرًا إلى أن يخرج وقت الفجر. هذا تفصيل ما يتعلق بطهارة من به حدث دائم كحال أخينا هذا المريض بمرض يقتضي نزول الدم من دبره باستمرار أو ما يشبه الاستمرار.



لعلنا نقف هنا، وأسأل الله عزَّ وجلَّ أن يفقِّهنا جميعًا في ديننا، ويعلِّمنا تأويل كتابه، وينفعنا بهذا العلم، ويجعلنا من عباده الصلحين.

واللهُ تَعَالَى أَعْلَى وَأَعْلَمُ، وَصَلَّ اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّم.



تفسير جزء تبارك

(سورة الحاقة)

من كناب:

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان

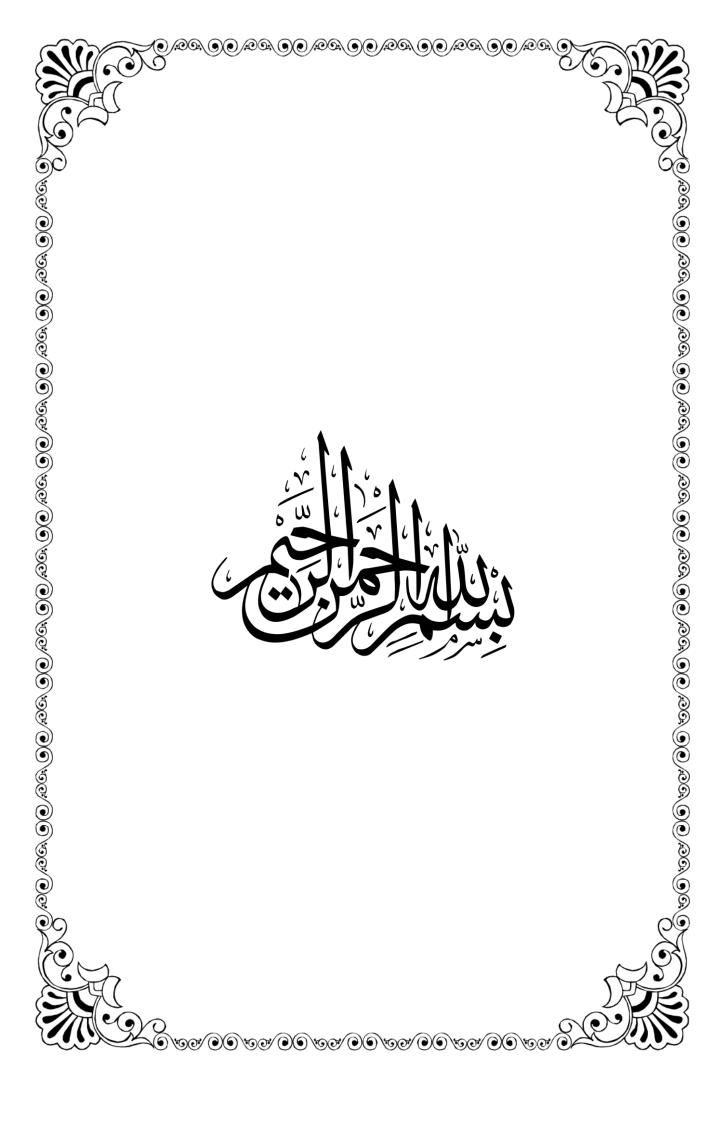
لِلشَّيْخُ العَلَّامَة

عَبْدُ الرَّحْمَن بِن ناصِر بِن عَبْدُ اللّهِ بِن سِعْدِيًّ وَحَمُهُ اللّهُ عِنْ سِعْدِيًّ وَحَمُهُ اللّهُ

شَرْحُ فَضِيلَةُ الشَّيْخ

أ.د: سليمان بن سليم الله الرحيلي

غَفَرَ اللّٰهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ



المجلس (۱۱)

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأتمان الأكملان عَلَىٰ المبعوث رحمةً للعالمين، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبهِ أَجْمَعِيْنَ.

أمَّا بَعْدُ:

قمعاشر الفُضلاء، أسألُ الله عَزَّ وَجَلَّ بأسائهِ الحُسنى، وصفاتهِ العُلا، كما جَمعنا فِي مسجدِ نبيهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شهرِ رمضانَ المُبارك، أسألهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يجمعنا مع رسولهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أعلى الجنة، وأن يتقبلَ مِنا مَا نُقدم، وأن يُعيننا على ذكرهِ وشُكرهِ وحُسن عبادته.

معاشر الفُضلاء نبدا درسنا بفائدة رمضانية قصيرة: معاشر الفُضلاء إن شهر رمضان شهر الصبر، فشهر الصبر السمه ، الصبر حقيقته ، وفيه أثر الصبر وجزاء الصبر، فشهر رمضان اسمه شهر الصبر.

صحَ عَنْ النّبِيِّ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه سهاهُ شهر الصبر، وحقيقةُ شهر رمضان يبرزُ فيها الصبر بأنواعهِ الثّلاثَة، فالمؤمنُ فِي شهر رمضان يصبرُ على طاعة الله، يصبرُ على الصيام مع أنه يُخالفُ مَا اعتاده، مِنْ أنه إذا عطشَ شَرِب، وإذا جاعَ أكل، لكنهُ فِي أيامِ رمضان، يصبرُ على الصوم على هذه الطاعةِ الشريفةِ العظيمة، فلا يمدُ يدًا إلى ماء، ولو كانَ بمفردهِ، ولا يمدُ يدًا إلى طعام، ولو كانَ بمفردهِ، وسررُ على طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والمؤمنُ فِي شهرِ رمضان يصبرُ عَنْ معاصي الله عَزَّ وَجَلَّ فيُمسكُ عَنْ المفطرات ولو اشتهتها نفسهُ، يصبرُ عنها ويُصابر ويصبرُ عَنْ المحرمات فيكونُ فِي صومهِ أشدَ تحفظًا مِنْ المحرمات مِنْ أيامهِ الأُخرى فلا يسمعُ حَرَامًا، ولا يقولُ حَرَامًا، ولا يفعلُ حَرَامًا، يصبرُ عَنْ معاصي الله، مَنْ ابتُليَ بالتدخين يصبرُ عَنْ شُرب الدُخانِ حالَ كونهِ صائمًا، فيصبرُ عَنْ المعاصى عَنْ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.



كما أنه يصبرُ على الألمِ الَّذِي يحصلُ مِنْ الجوعِ والعطش، وَهَذَا صبرٌ على أقدارِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ الْمؤلمة، فهذا يجمعُ للمسلمِ أنواعَ الصبرِ كُلِّها، ولذلك كان الصومُ ولاسيما فِي شهرِ رمضان أعلى درجاتِ الصبر، فَهُوَ مما يُستعانُ به على المكروهات.

وَهَذَا الشهرُ المُبارِكَ هُوَ مِنْ الصبرِ فِي أثرِهِ، فأثرُ الصبرِ يتحققُ للصائم، فاللهُ عَزَّ وَجَلَّ يُحبُ الصائمين؛ لأن اللهَ عَزَّ وَجَلَّ مع الصائمين؛ لأن اللهَ عَزَّ وَجَلَّ مع الصائمين؛ لأن اللهَ عَزَّ وَجَلَّ مع الصائمين، فهذا الصومُ لَهُ أثرٌ عظيمٌ فِي نفسِ الإنسان.

كما أن جزاء الصوم ولاسيما في هَذَا الشهر المُبارك هُوَ مِنْ جزاء الصابرين: ﴿إِنَّمَا يُوَفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠]، فالصائمون لا يعلمُ قدرَ جزائهم إلا مَنْ صاموا لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كما قَالَ نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ عمل ابن آدمَ يُضاعف الحسنةُ بعشرِ أمثالِها إلى سبعمائة ضعف، قَالَ الله: إلا الصوم، فإنه لى وأنا أجزي به».

فهذا الحديثُ يدل على أن مُضاعفة أجر الصائم لا يعلمُها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهي فوقَ مضاعفة بقية الأعمال التي تُضاعفُ إلى سبعمائةِ ضعف، فالصائمُ صابر، واللهُ يوفيهِ جزاءه، ويوفيهِ أجره بغيرِ حسابِ يعلمهُ البشر.

فهذا الشهر المُبارك، شهرُ الصوم، وعلى الواحدِ مِنا يا إخوة أن يكتسبَ مِنْ هَذَا الشهر صفةَ الصبر في بقيةِ حياته؛ فإنَ مَنْ رُزقَ الصبر قد رُزقَ نصفَ الإيهان، فينبغي علينا يا إخوة أن نجعلَ شهرَ رمضان مدرسةً للصبر، حتى إذا خرجنا مِنْ شهرِ رمضان استمرينا على هَذَا الصبر فنصبرُ على طاعة اللهِ عَزَّ وَجَلَ، ولو وجدنا شَيْئًا مِنْ التعب ونصبرُ عَنْ معاصي الله ولو وجدَ مُرتكبوها شيئًا مِنْ اللذةِ الزائلةِ الفانية.

ونصبرُ على أقدارِ اللهِ المؤلمة، ونصبرُ على أذى الخلق، ونُعاملُ الخلق بالأخلاق الحسنة، ولا نجزعُ ونقبلُ إساءتهم بإساءة أشدَ منها، بل نحرصُ على أن نكونَ مِنْ الأخيار الذين إذا أُسيئ إليهم أحسنوا، وصبروا ابتغاءَ مَا عِنْدَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

أَ ثُمَّ يا معاشر الفُضلاء، درسنا الَّذِي نشر فُ به فِي مسجدِ رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شهرنا النُّبارك، أنا نُفسرُ كلامَ ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فنتدبرُ القُرآن ونقفُ عندَ معانيه، ونأخذُ منهُ الحكمَ الكُبرى.

ولا زلنا نُفسرُ سورة الحاقة، قد كُنا فسرنا الآيات الأخيرة مِنْ السورة تفسيرًا موضوعيًا إيهانيًا إجماليًا، ثُمَّ شرعنا فِي التفسير التفصيلي لهذه الآيات بدًا مِنْ قول اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الحاقة: ٣٨]، إلى آخرِ السورة، ففسرنا بعض الآيات تفسيرًا تفصيليًا، ونُكملُ هَذَا التفسير الشيخ التفصيلي، فيتفضل الابن نور الدين وفقه الله والسامعين يقرأُ لنا مِنْ حيثُ وقفنا مِنْ تفسير الشيخ السعدى رَحمَهُ اللهُ ونُعلقُ عَلَيْهِ.

(الماتن)

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، والصلاةُ والسلامُ علىٰ نبينا مُحَمَّدٍ وعلىٰ آلهِ وصحبهِ أَجْمَعِين، أَمَّا بَعْدُ: فاللهمَ اغفر لنا ولشيخنا والسامعين.

قَالَ الإمامُ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى فِي تفسيره: فِي قول اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْهَ وَافْتَرَىٰ بعض الْأَقَاوِيلِ ﴾ [الحاقة: ٤٤]، فإنه لو تقولَ عَلَيْهِ وافترىٰ بعض الْأقاويل الكاذبة.

(الشرح)

ذكرنا يا إخوة أن ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أقامَ للخلقِ ثلاثةَ براهينَ قطعية على صدق رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى أنَ القُرآنَ تنزيلٌ مِنْ عِنده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

أولُ هذه البراهين: هُوَ القسمُ الواسع الَّذِي أوسعُ قسمٍ فِي القُرآن، حيثُ أقسمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بها يراهُ البشر، وما لا يراهُ البشر، وَهَذَا يعمُ كُلَّ شيء.

وعندَ بعض السلف أن الله أقسم بها يراه البشر مِنْ مخلوقات الله، وما لا يراه البشر مِنْ مخلوقات الله، وما لا يراه البشر مِنْ مخلوقات الله، فيكونُ هَذَا قسمًا بكُلِّ شيءٍ دونَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وعلى كُلِّ حال: فهذا القسمُ مُحيطٌ واسع، يدلُ على عظمِ المُقسمِ عَلَيْهِ، فأقسمَ اللهُ هَذَا القسمَ العظيم على أمرٍ لا يحتاجُ إلى قسم، هُوَ مؤكدٌ بلا قسم، فكيفَ إذا لحقهُ هَذَا القسمُ العظيمُ الواسع مِنْ الرب العظيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فأقسمَ اللهُ بهذا القسم على صدقِ رسولِنا مُحَمَّد بن عبد الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى براءتهِ مما ينسبهُ إليه الكُفارُ الأفاكون الكذابون، وعلى أن القُرآنَ تنزيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وأما البُرهانُ الثاني: فَهُوَ هَذَا الَّذِي بدأنا فِي قراءةِ تفسيرهِ التفصيلي، حيثُ قَالَ الله: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ ﴾ أي: لو تكلفَ وافترى وجاءَ هَذَا الرَّسُولُ ببعض الأقاويل، بشيءٍ مِنْ الأقاويل يفتريها وينسبُها إلينا.

﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴾ [الحاقة: ٥٠].

(الشرح)

﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴾، قِيلَ: لأخذناهُ بقوةٍ غالبةٍ قاهرة؛ لأن اليمينَ فِي مثلِ هَذَا المقام تدلُ على القوة والغلبة والقهر، وَهَذَا تفسيرٌ لجماعةٍ مِنْ السلفِ الصالح رضوانُ اللهِ عليهم.

وقيلَ: لأخذناهُ بيمينهِ عقوبةً لَهُ وإذلالًا لَهُ.

(الماتن)

﴿ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴾ [الحاقة: ٤٦]، وَهُوَ عرقٌ متصلٌ بالقلبِ إذا انقطعَ هلكَ منه الإنسان. (الشرح)

فورًا، فإذا قُطعَ هَذَا العِرق فإن الإنسان يموت فورًا، ولا يبقى لحظةً.

وقالَ بعضُ المفسرين: ومعنى كلامهم: أنه النُخاع الشوكي، الحبل الَّذِي يكون فِي الظهر؛ فإنه إذا انقطعَ شُلَ الإنسان، وقد يموت الإنسان.

وقيلَ: الوتين نياطُ القلبِ، أي الأمور التي يُعلقُ بها القلب فِي مكانه؛ حتى يؤدي وظيفته. والمقصودُ: لأهلكناهُ سريعًا.

(الماتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: فلو قُدرَ أن الرَّسُولَ -حاشا وكلا- تقولَ علىٰ الله؛ لعاجلهُ بالعقوبة وأخذهُ أخذَ عزيزٍ مُقتدر؛ لأنه حكيمٌ قديرٌ علىٰ كُلِّ شيء، فحكمتهُ تقتضي ألا يُمهلَ الكاذبَ عَلَيْهِ الَّذِي يزعمُ أن اللهَ أباحَ لَهُ دماءَ مَنْ خالفهُ وأموالهم، وأنه هُوَ وأتباعهُ لهم النجاة، وَمَنْ خالفهُ فله الهلاك.

فإذا كان اللهُ قد أيد رسولهُ بالمعجزات، وبرهنَ على صدقِ مَا جاءَ به بالآياتِ البينات، ونصرهُ على أعدائه، ومكنهُ مِنْ نواصيهم، فَهُوَ أكبرُ شهادةٍ منهُ على رسالته.

وقوله: ﴿ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ [الحاقة: ٤٧]، أي لو أهلكه، مَا امتنعَ هُوَ بنفسهِ ولا قدرَ أحدٌ أن يمنعهُ مِنْ عذاب الله.

(الشرح)

نعم، لو كان الأمرُ أنهُ تقولَ على ربهِ بعضَ الأقاويل، وأرادَ اللهُ إهلاكهُ لما استطاعَ أن يدفعَ عَنْ نفسه، ولما استطاعَ أحدٌ منكم، بل كُلكم، أن يدفعَ ذَلِكَ عنه. هَذَا البُرهانُ الثاني القاطع على صدقِ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن كُلَّ مَا جاءنا به عَنْ الله صدقٌ محض، لم يُخفي شَيْئًا، ولم يُغير شَيْئًا، ولم يفتري شَيْئًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وذلك أن شأنَ الحكيم القوي القادر أنهُ لو كذبَ عَلَيْهِ كاذبٌ ونسبَ إليهِ شيءٌ، وأخذَ يدعو النَّاس إليه؛ فإنه مِنْ شأنهِ أن يفضحه، وأن يكشفَ ستره فضيحةً ظاهرة، أو يأخذهُ بقوةٍ وقُدرة.

فلو كان ذلكَ حاصلًا مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا يَزَعَمُ الكُفَارِ، لفضحهُ الله، ولما أبقاهُ الله، بل أخذهُ أخذَ عزيز مُقتدر.

لكنَ الواقعَ على غيرِ ذَلِكَ، فاللهُ حفظَ رسوله، واللهُ صانَ رسوله، واللهُ أيدَ رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ رَسَلَّمَ.

فدلَ ذلكَ دلالةً بينة على أنهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صادقٌ فِي كُلِّ مَا جاءَ به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (التن

﴿ وَإِنَّهُ ﴾ [الحاقة: ٤٨] أي القُرآنُ الكريم.

(الشرح)

(وإنه) الضمير يرجع إلى القُرآن الكريم.

وقالَ بعضُ المُفسرين: الضمير يرجع إلى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَهَذَا هُوَ البُرهانُ القطعيَ الثالث على صدق رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى أَنَ القُرآنَ مِنْ عِنْدَ ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(الماتن)

﴿لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الحاقة: ٤٨]، يتذكرونَ به مصالحَ دينهم ودُنياهم، فيعرفونها ويعملونَ عَلَيْهَا، يُذكرهم العقائدَ الدينية، والأخلاق المرضية، والأحكامَ الشَّرْعِيَّة، فيكونونَ مِنْ العلماء الربانيين، والعُباد العارفين، والأئمة المهديين.

(الشرح)

هَذَا على أَنَ الضمير هُوَ القُرآن، وإذا قلنا إن الضميرَ راجعٌ إلى رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيكون معنى الآية: أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُذكرُ المتقين بها يأتيهم به مِنْ وحيٍّ مِنْ عندِ ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فينتفع المُتقونَ بها يأتي به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هَذَا البُرهانُ الثّالث على صدق رَسُول الله صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّم، وعلى أن القُرآنَ كلامُ الله مِنْ عند ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى منهُ بدأ، وسمعهُ منه جبريل، وأسمعهُ لنبينا صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الّذِي أسمعهُ للصحابة، ولازالت الأُمةُ تسمعهُ إلى اليوم بحمد اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وذلك أن حقيقة القُرآن أنهُ ﴿ فُدَى لِلْمُتّقِينَ ﴾ [البقرة: ٢]، فبهِ تطمئنُ قلوبهم، وبه يزدادُ إيهانهم، وبه يعرفونَ المُدى.

وكُلُّ مؤمنٍ يقرأُ القُرآن يُدركُ هَذَا يقينًا؛ فإنه كُلما قرأ المُسلمُ القُرآنَ، كلما وجدَ فِي قلبهِ قوةً وإيمانًا ونشاطًا للطاعة وطُمأنينة وراحة.

واللهُ عَزَّ وَجَلَّ أخبرَ أَن القُرآنَ ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾، و﴿لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الحاقة: ٤٨]، لأنهم هم الذين ينتفعونَ بهِ.

أما غيرهم فمُعرض، لا لكون القُرآنِ لا يصلحُ لهدايته، وإنها لكونِ ذلكَ الخبيث مُعرضًا عَنْ القُرآنِ الكريم، بل إن مِنْ عجائبِ هَذَا القُرآنِ أن مَنْ استمعَ إليهِ أحسَ بشيءٍ عجيب، وارتاحت نفسه، حتى الكُفار، إذا سمعَ الكافرُ القُرآن تجدُ أنه يذكر أنه يشعر بشيءٍ عجيب، بل رأينا مِنْ الكُفار مَنْ إذا تُليَ عَلَيْهِ القُرآن، مع أنه لا يعرفُ العربية، وليسَ مُسلمًا، رأينا دموعهم تسيلُ على خدودهم، مما يشعرونَ به مِنْ وقع هَذَا القُرآنِ على أنفسِهم.

وأذكرُ أن داعيةً مِنْ خريجي الجامعةِ الإسلامية في إحدى الدول التي تكثر فيها الوثنية، فيها مُسلمون لكنَ الوثنيينَ أكثر، كانَ يبثُ فِي الإذاعة، فِي إذاعة خاصة، وقد استُأجرت لَهُ ساعات، كان يبث نصف ساعة القُرآن الكريم، فجاءهُ مسؤول كبير مِنْ وزراء الحكومة وثني، وقالَ لَهُ: هَذَا الغناء اللَّذِي تضعونهُ، مِنْ أينَ تأتونَ بهِ؟

فقالَ لَهُ: هَذَا لِيسَ غناءً، هَذَا القُرآن، هَذَا كلامُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فَقَالَ لَهُ الداعية: لماذا تسألُ عنه؟

فَقَالَ: لأني مِنْ زمن مصابٌ بأرق، مَا أستطيع النوم، لَكِنّ منذُ وضعتم هَذَا فِي الإذاعة صِرتُ إذا استمعتُ إليه أرتاح وأنام، فسألتُ عنك حتى عرفتُ مسجدك، فجاء إليه فِي المسجد وَهُوَ وزير، وسألَ، فلما أخبرهُ ودلهُ على الْإِسْلَام أسلم، وزارني هَذَا الوزير فِي البيت بعدَ أن أسلم.



هَذَا القُرآن أمرهُ عجيب، فهذا يدل دلالة تامة على أنهُ مِنْ عِنْدَ الله، والله لا يُمكن أن يكونَ هَذَا التأثير العظيم إلا لأن هَذَا كلامُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهذا يدل دلالة عظيمة على صدق رَسُول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى أن القُرآنَ مِنْ الله.

بمعنى: أن هَذَا البُرهان مضمونه : أنَ مَا يجدهُ النَّاس عند سماع القُرآن مما لا يجدونه عند أي سماع، يسمعونَ الشِعرَ فلا يجدونَ هَذَا، يسمعونَ كلام البُلغاء فلا يعدونَ هَذَا، يسمعونَ كلام البُلغاء فلا يجدونَ هَذَا، لَكِنَّ إذا سمعنا القُرآن خضعوا لَه ، أعني خضوعًا لا إراديًا بحيث يشعرون بشيءٍ عجيب في أنفُسِهم.

أما المؤمنون فيخضعونَ لَهُ حقيقةً، ويهتدونَ به حقيقة؛ فهذا بُرهانٌ قطعي على أن القُرآنَ كلامُ الله، وأنهُ مِنْ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(الماتن)

﴿ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ﴾ [الحاقة: ٤٩] به.

(الشرح)

نعم، يعني مع كُل هذه البراهين، فإن منكم مُكذبينَ بالقُرآن، ونحنُ نعلمُ مَا فِي قلوبِهم، ونعلمُ أحوالهم، وإنا على أخذِهم لقادرون.

(الماتن)

قَالَ: وَهَذَا فيهِ تهديدٌ ووعيدٌ للمكذبين، وأنه سيُّعاقبهم على تكذيبهم بالعقوبةِ البليغة.

﴿ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [الحاقة: ٥٠].

(الشرح)

﴿ وَإِنَّهُ ﴾ الضمير هنا، قيل: يرجع إلى القُرآن، فالقُرآنُ حسرةٌ على الكافرين.

(الماتن)

قَالَ: فَإِنَهُم لما كفروا به، ورأوا مَا وعدهم به، تحسروا إذلم يهتدوا به، ولم ينقادوا لأمره، ففاتهم الثواب، وحصلوا على أشدِ العذاب، وتقطعت بهم الأسباب.

(الشرح)

أي: إن القُرآن: ﴿ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ يوم القيامة، إذا عاينوا العذاب، ورأوا العذاب، وتيقنوا مِنْ العذاب، يتحسرونَ أشدَ الحسرات؛ على أنهم مَا آمنوا بهِ، وما اهتدوا بهِ.

وقالَ بعضُ المُفسرين: الضميرُ يرجعُ إلى يومِ البعث، ويوم القيامة الَّذِي هُوَ الحاقة، فإنهُ يتحسرُ فِيه المكذبونَ والكافرونَ والمُفرطون، يتحسرونَ حسرةً شديدة.

(الماتن)

﴿ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴾ [الحاقة: ٥١].

(الشرح)

﴿ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴾ قِيلَ: الضمير يرجع إلى القُرآن، وَهَذَا قول الأكثر.

(الماتن)

أي: أعلىٰ مراتب العلم، فإن أعلىٰ مراتب العلم اليقين.

(الشرح)

نعم، أعلى مراتب العلم (اليقين) الَّذِي لا شكَ فيه، وأعلى اليقين (حَقُّ اليقين).

إِذًا عندنا: أعلى العلم (اليقين). وعندنا: أعلى اليقين (حَقُّ اليقين).

(الماتن)

قَالَ: وَهُوَ العلمُ الثابتُ الَّذِي لا يتزلزلُ ولا يزول.

واليقينُ مراتبهُ ثلاثة، كُلُّ واحدةٍ أعلىٰ مما قبلها:

أولها: عِلمُ اليقين، وَهُوَ العلمُ المُستفادُ مِنْ الخبر.

(الشرح)

نعم، يعني العلمَ التام الَّذِي لا شكَ فيه المُستفادُ مِنْ الخبر.

فعلمُ اليقين يا إخوة يُدركُ بالسمع؛ لأن الإنسان يسمعُ الخبرَ بأُذنهِ، كعلمنا اليوم بها يكونُ يومَ القيامة، وفي الجنة، فإنا نعلمُ ذلكَ علمَ اليقين؛ لأن اللهَ أخبرنا، ولأن رسولهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبرنا، وإنا مُصدقونَ بذلك، وعلى يقينِ مِنْ ذَلِكَ؛ فهذا علمُ اليقين.

(الماتن)

قَالَ: ثُمَّ عينُ اليقين، وَهُوَ العلمُ المُدركُ بحاسة البصر.

(الشرح)

نعم، هُوَ العلمُ التامُ الَّذِي لا شكَ فيهِ المُدركُ بالرؤيةِ والمُشاهدة.

كالعلمِ بالجنةِ عِنْدَ رؤيتها قبلَ دخولِها.

ثُمَّ حقُّ اليقين، وَهُوَ العلمُ المُدركُ بحاسة الذوقِ والمُباشرة.

(الشرح)

نعم، هذه المرتبة الأعلى، حَقُّ اليقين؛ وَهُوَ العلمُ التامُ الَّذِي لا شكَ فيه، المُدركُ بالمباشرة أو بالذوقِ.

مثلًا: العلم بالجنة ونعيمها عندَ دخولِها، أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يجعلني وإياكم ووالدينا وأهلينا وذرياتِنا ومَنْ نُحب ممن يدخلونَ الجنةَ ابتداءً.

مَنْ دخلَ الجنة ذاقَ نعيمها، وباشرَ نعيمها، فيكون علمهُ إذ ذاكَ حَقَّ اليقين.

وكذلك مثلًا: إذا سمعتَ بفاكهة، لو وصفت لكَ فاكهة مِنْ قبلِ أشخاصٍ ثقات، فإنكَ تعلمُ بها علمَ اليقين، فإذا شققتها وذُقتها علمَ اليقين، فإذا جيء به إليك ورأيتها بعينك؛ فإنكَ تعلمُ بها علمَ عين اليقين، فإذا شققتها وذُقتها فإنكَ إذ ذاك يكونُ علمُكَ بها علمَ حق اليقين؛ لأنه كان بالذوق، ذُقتَ طعمها.

يأتينا أُناس ويقولون: والله عندنا إندونيسيا فاكهة طعمها لذيد، وا، وا، وهم ثِقات عندنا، فيُصبح عندنا على اليقين، عندنا علم اليقين. يأتون إلى العمرة يأتون بشيء مِنْ هذه الفاكهة، نراها، يُصبح عندنا عين اليقين، نقطعها، نأكلها، يُصبح عندنا حق اليقين، ولا أعلى منهُ.

ولذلك يا إخوة اليقين يتفاوت، اليقين كُلُّهُ لا شكَ فيه، ولكنَ اليقينَ يتفاوت.

قَالَ: ﴿قَالَ أُولَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَبِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]، مزيد اطمئنان، مزيد عِلم مهذه الدرجات.

(الماتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: فهذا القُرآنُ بهذا الوصف فإن مَا فيهِ مِنْ العلوم المؤيدةِ بالبراهين القطعية، وما فيهِ مِنْ الحقائق المعارفِ الإيمانية، يحصلُ به لمن ذاقه حق اليقين.

(الشرح)

ولا شكَ فِي هذان وكُلما تلوتَ القُرآن كلما ازدتَ يقينًا، مِنْ عجائب هَذَا القُرآن أنكَ كلما تلوتهُ كأنكَ تتلوهُ أولَ مرة، ولا يُمكن، لا يُمكن أن تتلوا القُرآنَ بتدبر، إلا وتخرجَ بفائدةٍ جديدة، تعودُ على إيمانك، وتعودُ على تدينك بالخير. وَقَالَ بِعِضُ المفسرين: الضميرُ فِي قولِ ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَإِنَّهُ لَحَقُ الْيَقِينِ ﴾، يرجعُ إلى رَسُول الله صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَهُوَ الحَقُّ اليقين، الَّذِي لا يعتري رسالتهُ شكٌ؛ فَهُوَ صادقٌ بلا شك، ورسولٌ بلا ريب صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَقَالَ بِعِضُ المفسرين: الضميرُ هنا يرجعُ البعث ويوم القيامة، أي أن البعث حقُ اليقين، ويومُ القيامة هُوَ حتى اليقين؛ فَهُوَ أمرُ لا يتطرقُ إليه شك.

(الماتن)

قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ [الحاقة: ٥٦].

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: أي: نزههُ عما لا يليقُ بجلاله، وقدسهُ بذكرِ أوصافِ جلالهِ وجمالهِ وكماله. (المتن)

ختمَ الله عَزَّ وَجَلَّ هذه الصورة بهذه الخاتمة المُناسبة لما فيها، وانظروا يا إخوة، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾.

عندنا سؤالان:

السؤال الأول: لماذا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾؟ لماذا لم يقل: فسبح ربكَ العظيم؟

◄ يقول العلماء: لأن هَذَا أعم، ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾؛ لأن فيهِ: أن تُنزهَ اسمَ الله عَزَّ وَجَلَّ على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فلا تُخرِجُ الأسماءَ عَنْ معانيها، ولا تُجردُها عَنْ معانيها، ولا تُجردُها عَنْ معانيها، ولا تُجردُها عَنْ أن تصرفهُ عَنْ تُجردُها عَنْ الصفة التي فيها، بل تُثبتُ الاسمَ بمعناه بالصفةِ التي فيه. نزه اسمَ ربك عَنْ أن تصرفهُ عَنْ الرادِ به، وَهَذَا يستلزمُ استلزامًا أوليًا: أن تُنزهَ ربكَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عما لا يليقُ بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَون وجه. فإذا نزهتَ اسمَ ربك العظيم، فَمِنْ باب أولى أن تُنزهَ ربكَ العظيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. هَذَا مِنْ وجه.

◄ وَمِنْ وجه آخر، قَالَ العلماء: إن تنزيه الله عَزَّ وَجَلَّ قد يكون بالقلب فقط، وقد يكون باللسان. تُنزهُ ربك بقلبك، وقد تُنزه ربك بلسانك.

أما عندما قَالَ الله: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ فإنهُ دلَ على أن التنزيهَ هنا لَا بُدَّ أن يكون بالقلب واللسان؛ لأن الاسمَ لا يُنزهُ بالقلب وحده، وإنها يُنزهُ بذكرهِ مع مَا فِي القلب.

إِذًا قول الله ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ كانَ لفائدتينِ عظيمتين:

الأولى: أن هَذَا أعم فِي المعنى.

والثانية: الدلالة على أن تنزيه الله هنا يكونُ بالقلبِ واللسان معًا؛ لأن الاسمَ إنَّمَا يُنزهُ بالقلبِ واللسانِ معًا.

السؤال الثاني: لماذا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ فأدخلَ الباء؟ لماذا لم يقل الله عَزَّ وَجَلَّ: (فسبح اسمَ ربكَ العظيم)؟ كما فِي ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ [الأعلى: ١]، لماذا دخلت الباء هنا؟

يقولُ لك العلماء: دخلت الباء هنا للدلالةِ على أن هَذَا الأمرَ بالتنزيهِ في الصَّلاة.

للدلالة على أن الأمرَ بالتنزيه هنا فِي الصَّلَاة، أي سبح باسم ربك العظيم فِي صلاتك، فزيدت الباء للدلالةِ على هَذَا.

ه بعد أن ختمنا تفسير السورة، على عادتنا نذكرُ بعضَ الحكم الكُلية، والفوائد الكُبرى للسورة:

الله فَمِنْ ذلكَ: عظمُ شأن يوم القيامة، وما فيه مِنْ أهوال، فهذه فائدةٌ عظيمة مِنْ فوائد هذه السورة. الفائدةُ الثانية والحكمةُ الثانية الكبرى: أن المؤمن ينبغي لَهُ أن يتذكرَ القيامةَ دائمًا، وما فيها مِنْ أهوال، وألا يغفلَ عَنْ ذَلِكَ، وأن يُحسنَ الاستعدادَ لذلك اليوم، وأن يحرصَ على أن يكونَ فِي ذلكَ اليوم مِنْ الآمنينَ المُكرمين عِنْدَ ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وذلكَ بلزومِ التوحيدِ والتقوى.

ينبغي على المؤمن يا إخوة أن يتذكر دائمًا يوم القيامة، وما فيه مِنْ أهوال، وأنه صائرٌ إليه وَلَا بُدَّ، وأن يستعد لذلك اليوم أحسن الاستعداد، والله يا عبد الله، والله ستلقى الله، والله ستلقى الله، والله ستلقى الله، والله ستلقى الله وأنت اليوم تستعد لذلك اليوم، أحوالُكَ وأفعالُكَ وأقوالُكَ تنبنى عَلَيْهَا الإجابة فِي ذَلِكَ اليوم العظيم.

فينبغي أن تحرص، يجب أن تحرص على أن تكونَ مِنْ المُكرمين فِي ذَلِكَ اليوم، الذين يصدقونَ فِي قولِم ويُصدقونَ فِي قولِم، ويأمنونَ فِي ذَلِكَ اليوم، ولن يكونَ هناكَ طريق إلا بتوحيد الله سُبْحَانَهُ وَيُصدقونَ فِي قولِم، ويأمنونَ فِي ذَلِكَ اليوم، ولن يكونَ هناكَ طريق إلا بتوحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتجريد الاتباع لمحمد بن عبد الله رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، لا تجعل أحدًا يحولُ بينكَ وبين رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، إياك أن يقطعكَ قاطعٌ عَنْ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم.

♦ تعلم عبادة رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لتعبدَ الله كما عبدَ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



- ♦ تعلم أخلاقَ رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لتتخلقَ بهذه الأخلاق العظيمة الكريمة، والتقوى.
- ﴿ إِذًا مَنْ أَرادَ الإكرامَ يوم القيامة، مَنْ أرادَ الأمنَ يوم القيامة، مَنْ أرادَ الإكرامَ يوم القيامة فعليهِ بتوحيدِ ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يُشركُ بربهِ شَيْءًا، وعليه بتجريدِ الاتباعِ لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وعليه بالتقوى، أن يعملَ بطاعة الله على نورٍ مِنْ الله يرجو ثوابَ الله، وأن يتركَ معصيةَ الله على نورٍ مِنْ الله يرخو ثوابَ الله، وأن يتركَ معصيةَ الله على نورٍ مِنْ الله يُخافُ عقابِ الله.
- ا الفائدة الثالثة والحكمة الثالثة: أن القصصَ الحق فيها عبرةٌ للمؤمنين، وأن ذِكر القصص الحق مِنْ غيرِ توسعٍ وإفراط أسلوبٌ شرعيٌ فِي الوعظِ والتذكيرِ والدعوة. القصص الحق فيها عبرة لأولي الألباب، فَمِنْ الأساليب الشَّرْعِيَّة النافعة الناجعة: أن الداعية والواعظ والمُعلم يذكرُ القصص الحق فِي كلامه، مِنْ غيرِ إفراط؛ فإن هَذَا مِنْ أنفع مَا يكون فِي الدعوةِ إلى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.
 - الفائدةُ الرابعة والحكمةُ الرابعة: أن النَّاسَ يقوم القيامة ينقسمونَ إلى فريقين:
- فريقٌ يُكرمونَ ويُسعدونَ، وجوههم ناعمة، راضونَ بسعيهم وبجزاءِ سعيهم بفضلِ ربهم، وَهُوَ أَهْلُ التوحيدِ والسُّنَةِ والتقوى.
- وفريقٌ يُهانونَ ويشقونَ، وجوههم خاشعة، عَلَيْهَا غبرة، يتحسرونَ على مَا مضى منهم، وهم أهلُ الكُفرِ بلا استثناء، وأهلُ البدع والمعاصي، إلا أن يشاءَ اللهُ شَيْئًا.

فعلى العاقل أن يختارَ لنفسه، يا أخي قد عرفتَ الفريقين، فكُن اليوم مِنْ أهلِ الفريق الفائز، لتكونَ معهم يومَ القيامة، كُن مع أهل التوحيد، كُن مع أهل السُّنّة، كُن مع أهل التُقى حتى تكونَ مع المُكرمينَ يومَ القيامة.

الهائدةُ الخامسة: أنه لا ينفعُ الإنسانَ يومَ القيامةِ شيءٌ مِنْ دُنياه، إلا مَا كَانَ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والله، والله لو كُنتَ أغنى النَّاس، لا تتمنى شَيْءًا إلا تجدهُ، عندكَ أموالُ الدُّنْيَا، أغنى أهل الأرض، والله إن هَذَا المالَ لا يُفيدُكَ شَيْءًا يومَ القيامة، إلا مَا قدمتَ لربك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ولذلك يا إخوة المُكثرونَ فِي الدُّنْيَا هم الأقلونَ فِي الآخرة، المُكثرونَ فِي الدُّنْيَا مِنْ الأموال، هم الأقلونَ فِي الآخرة، إلا مَنْ قَالَ بالمالِ هكذا وهكذا وهكذا وهكذا، أي أخرجَ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وكان جوادًا فيها يُخرجهُ للهِ عَزَّ وَجَلَّ.

(12)

واللهِ يا أخي لو كُنتَ ذا سُلطانٍ، لو كُنتَ والٍ على النَّاسِ أَجْمَعِين، لو كُنتَ تحكمُ الأرضَ كُلَّها، واللهِ لا ينفعُكَ ذَلِكَ يومَ القيامة شَيْئًا، إلا مَا تفعلهُ لله، وما تقدمهُ لله.

إذًا يا إخوة، هذه الدُّنْيَا لا تُساوي شَيْئًا، إلا إذا استعملناها فيها يُقربنا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، خابَ وخسر مَنْ طلبَ الدُّنْيَا للدنيا، وأفلحَ وأنجح مَنْ جعلَ الدُّنْيَا مطيةً للآخرة، لم تُلههِ عَنْ أُخراه، وما حصلَ منها جعلهُ طريقًا إلى إرضاء الله، عرفَ فيهِ حقه، ووصلَ به رحمه، وجعلهُ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وَهَذَا لا يعنه ألا يعنه ألا يستمتع بالمُناح، بل يستمتع بالمُناح، وأحلَ الله لَهُ ذَلكَ، لكنهُ ثُخ حُ لله؛ لأنه

وَهَذَا لا يعني ألا يستمتعَ بالمُباح، بل يستمتعُ بالمُباح، وأحلَ اللهُ لَهُ ذَلِكَ، لكنهُ يُخرِجُ لله؛ لأنه يعلم أن الَّذِي ينفعهُ يومَ القيامة مِنْ دُنياه كُلِّها هُوَ مَا كان لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

- ا الفائدةُ السادسة: أن الإحسانَ إلى خلق الله عَنْ إيهانِ بالله مِنْ أعظمِ مَا ينجو به الإنسان يومَ القيامة، مِنْ أعظم مَا يُنجي الإنسان يومَ القيامة: أن يُحسنَ إلى خلق الله، عَنْ إيهانٍ بالله، ينطلق مِنْ القيامة، مِنْ أعظم مَا يُنجي الإنسان يومَ القيامة. الإيهان بالله، فيُحسن إلى البشر، ويُحسن إلى الحيوان، وهذا مِنْ أعظم مَا ينجو به العبد يوم القيامة.
- الانسان الإنسان الإساءة إلى الخلق، وقسوة القلب أخبث الخصال، أخبث خصال الإنسان أن قسوة القلب والإساءة إلى الخلق أخبث خصال الإنسان، فهي سببٌ للخُذلان في الدُّنْيَا، وسببٌ للخُذلان في الدُّنْيَا، وسببٌ للعقاب يوم القيامة.
- الفائدة الثامنة: أن الكُفارَ مُخاطبونَ بالشريعة خطابَ تكليف، وأن الله عَزَّ وَجَلَّ يومَ القيامة يُعذبهم على كُفرِهم، وعلى تركهم الواجبات وفعلهم المحرمات، يا إخوة بعض قُصار النظر، يرونَ الكُفار يفعلون مَا يشاؤون: يشربون الخمر، يزنون، يفعلون، يفعلون، فيقولون يعني إنهم يتمتعون.

والله إن الله عَزَّ وَجَلَّ يومَ القيامة سيُعذبهم على كُفرِهم، ويُعذبهم على فعل الحرام، ويُعذبهم على ترك الواجب، فهم مُخاطبون بفروع الشريعة خطابَ تكليف، ولذلكَ يُعاقبونَ مثلًا: على عدم حثهم على إطعام المسكين، كما معنا في هذه السورة.

ا الفائدة التاسعة والأخيرة: أنّ خيرَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا والآخرة مركوزٌ فِي القُرآن، وما جاء به سيدُ ولدِ عدنان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، النَّاسِ كُلُّهم خيرُهم فِي القُرآن، وشرهم فِي مُخالفة القُرآن، وفيها جاء به مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشرهم فِي مُخالفة مَا جاء به مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فإذا أردتَ الخيرَ لنفسك فالزم القُرآنَ والسُّنّة، إذا أردتَ الخيرَ لبيتك فابنِ بيتكَ على القُرآن والسُّنّة، اجعل بيتكَ بيت قُرآن يُتلى فيهِ القُرآن، مُر أهلك، مُر أبناءك، مُر بناتك بقراءة القُرآن، رتب



مع أهلك أن يكون هُناك وُرد لكل واحد يقرأُ فيه القُرآن فِي كُل يوم، مَا يمر يوم لم يُقرأ فيه القُرآن فِي البيت، ويقرأُ جميع أفراد البيت.

وأنر بيتك بأحاديث رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، جميل والله يا مؤمن، جميل أن تجمع أو لادك وبناتك وزوجتك وإذا كان معك أحد مِنْ أهلك أيضًا وتقول تعالوا عشر دقائق نرى بعض، ونُسلم على بعض، ونظمئن على بعض، ونقرأ حديثًا لرسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، كل يوم واحد مِنا يقرأ حديثًا، ويأتي بمعناه مُختصرًا، أنا اليوم عندي الحديث، سأقرأ عليكم حديثًا وأشرحهُ شرحًا مُختصرًا، وأنت يا زينب عندكِ غدًا.

يا إخوة الأُسر اليوم تفككَ أكثرُها، الأب لا يرى أبناءه، والأُم لا ترى أبناءها، والأبناء لا يرونَ بعضهم، مع أنهم قد يعيشون في بيتٍ واحد! مِنْ وسائل الخير أن نجتمع على الخير، يا أخي اجعل ثُلث ساعة، ربع ساعة لسماع حديث رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ليُقالَ حديثَ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ليُقالَ حديثَ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بيتك ويُسمع معناه باختصار.

والله يا إخوة، والله أنا أجزم أنا لو فعلنا هذين الأمرين في بيوتِنا، الحرص على الورد مِنْ القُرآن الكريم، والاجتماع على سُنّة أو حديث نقرؤه ونعرف معناه، لتآلفت القلوب، وزالت المشاكل، وانصر فت عنا الشياطين، بيتُ يُبنى على ذِكر الله، مَا تدخلهُ الشياطين، وكُلُّه خير وكُلُّه طمأنينة وكُلُّه رحمة.

خيرنا يا إخوة في القُرآن وَالسُّنة، فجميل جدًا أن نجعلَ هَذَا فِي بيوتِنا، وإذا أرادَ طالبُ العلم الخيرَ لأهله ومجتمعه وبلده، فعليه بتعليم القُرآن بألفاظهِ ومعانيه، وعليه بتعليم السُّنة ونشر السُّنة ودعوة النَّاس للسُّنة، وتحذيرهم مِنْ البدع، هكذا يكونُ الخير، وهكذا يتحقق الخير في الدُّنيًا والآخرة.

وجذا نكون انتهينا مِنْ تفسير سورة الحاقة، وَإِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ نشرعُ لاحقًا فِي تفسيرِ سورةِ المعارج، ولعلنا نُجيب عن شيء من الأسئلة.

(الأسئلة)

السؤال: جزاكم الله خيرًا، وبارك الله فيكم، ونفعنا الله بها سمعنا، أحسن الله إليكم، هَذَا يقول: مَنْ دعا غيرَ اللهِ وَهُوَ صائم، ونُصحَ فتاب مِنْ يومه، هل يصح صومه أم عَلَيْهِ القضاء؟

الجواب: مَنْ دعا غيرَ الله فقد فعلَ شِركًا أكبر بلا شك، فإن اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِللَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨].

ك فإذا نُصحَ فتاب، هل يجب عَلَيْهِ قضاء ذَلِكَ اليوم ؟

الجواب: أني أفهم مِنْ السؤال أنه مَا كان يعرف، وعُلم، فَهُوَ لا يُحكمُ بكُفرهِ بذاتهِ فورَ أن قالَ، مَا دامَ أن الأمرَ يعني وقعَ هكذا، لَكِنّ إذا نُصحَ فتاب فالحمد لله.

أما إذا لم يتب وعاند؛ فإنه وقعَ فِي الشرك وصارَ مُشركًا، فإذا رجعَ بعدَ حين، فإن صومهُ فِي ذَلِكَ اليوم يكون قد بطل، وعليه أن يُتمَ هَذَا الصوم، يُتم هَذَا الصوم باعتبار أنه دخل فِي الْإِسْلَام عندما تاب.

هل يجب عَلَيْهِ قضاء هَذَا اليوم؟

◄ محل خلاف بين الْفُقَهَاء.

➤ والذي أُفتى به: أنه ليسَ عَلَيْهِ أن يقضيه؛ لكُفرهِ فيهِ، ثُمَّ عادَ إلى الْإِسْلَام.

الله عَزَّ وَجَلَّ، فإنه يُتمُ صومهُ عَلم، تابَ إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، فإنه يُتمُ صومهُ وصومهُ صحيح لم يبطل.

السؤال: أحسنَ الله إليكم، هَذَا يقول: هل المرتب الَّذِي تصرفهُ الدولة بعد الوفاة لَهُ حكم الميراث أم لا؟

الجواب: مَا يُصرفُ للميت مِنْ الدولة بعدَ موته، كيفَ يُقسم؟

الأول والأصل: أنه يُقسم بحسب نظام الدولة، فإذا قالت الدولة إن هَذَا المال للزوجة وللأبناء الذين صفاتهم كذا وكذا، فإنه يُصرف كذلك؛ لأن الَّذِي يصرفُ هَذَا المال هُوَ الدولة، فيُرجعُ إليها.

أما إذا لم يكن هناكَ نظامٌ يُحدد؛ فإنه يُقسمُ قسمة الميراث، كما يُقسم الميراث.

السؤال: أحسنَ اللهُ إليكم، هَذَا يقول: مَنْ حفظَ القُرآن ثُمَّ نسيهُ بسبب الأشغال، فهل يأثم؟



الجواب: مَنْ حفظَ القُرآن ثُمَّ نسيهُ غلبةً للنسيانِ عَلَيْهِ فإنه لا يأثم، لَكِنَّ ينبغي عَلَيْهِ أن يُحافظ على هذه النعمة العُظمي.

أما إذا تغافلَ عَنْ القُرآن، وأهملَ القُرآن حتى نسيَ، ولم يغلبهُ النسيان؛ فهذا مُتسببٌ فِي النسيانِ، فيكونُ آثمًا، وعلى هَذَا يُحملُ الحديث الوارد فِي هَذَا.

السؤال: أحسنَ اللهُ إليكم، هَذَا يقول: أنه قتلَ رجلًا عمدًا، وقد طلبَ أولياء المقتول الدية، وأمهلوه ثلاثة أشهر إما أن يدفع وإما أن يُقتل، وليسَ عنده المبلغ. يقول: هل يجوز لَهُ أن يقترض القرض الربوي مِنْ أجل هَذَا الأمر؟

الجواب: اللهُ المستعان، أسأل الله أن يتوب علينا وعليك.

لَهُ أَن يستعينَ بالمؤمنينَ والمؤمنات بعد استعانتهِ باللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فيسأل ويطلب مِنْ المؤمنين والمؤمنات أن يُعينوه على هَذَا، وإذا صدقت توبته، فإنه يجوز أن يُعطى مِنْ الزكاة، إذا صدقت توبته يجوز أن يُعطى مِنْ الزكاة، مَا دام أن الأمر بهذه الصورة: يعني هُوَ تائبٌ مِنْ ذنبه، ولو لم يدفع سيُقتل، فلا بأس أن يُعطى مِنْ الزكاة فِي هذه الحال.

أما أن يقترض بالربا، فلا، لا، هُوَ يستحقُ القتلَ لكونهِ قتلَ مُتعمدًا، فإن أنجاهُ الله بحلال؛ فالحمدُ لله، لكنَ هَذَا لا يُبيحُ لَهُ الحرام، فيخرجُ مِنْ القتل العمد العدوان، إلى ذنب الربا الَّذِي آذنَ اللهُ فيه بحربٍ منهُ وَمِنْ رسولهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

لا يا أخي استعن بالله، ثُمَّ استعن بالمؤمنينَ والمؤمنات، فإن حصلتَ مَا يدفع عنكَ القتل، فالحمدُ لله، وإن لم تُحصل فاصبر لحكم الله، واللهُ أحكمُ الحاكمين، وأرحم الراحمين، فعل هَذَا أحسن لك، وأرحمُ بك فِي أُخراك.

أما أن ترتكب هَذَا الجُرم العظيم، وتقترض بالربا مِنْ أجل أن تُخلصَ نفسك مِنْ حُكمٍ ترتبَ على جُرمٍ فعلته، فلا، مَا يجوزُ هَذَا أبدًا.

وفقَ اللهُ الجميع، وتقبلَ اللهُ مِنْ الجميع، وغفرَ لنا أَجْمَعِين، وجعلنا مِنْ الفائزينَ بخيراتِ هَذَا اللهُ المبارك.

واللهُ تَعَالَى أَعْلَى وَأَعْلَمُ، وَصَلَّ اللهُ عَلَى نَبِيبِّنَا وَسَلَّم.



تفسير جزء تبارك

(سورة المعارج)

من كناب:

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان

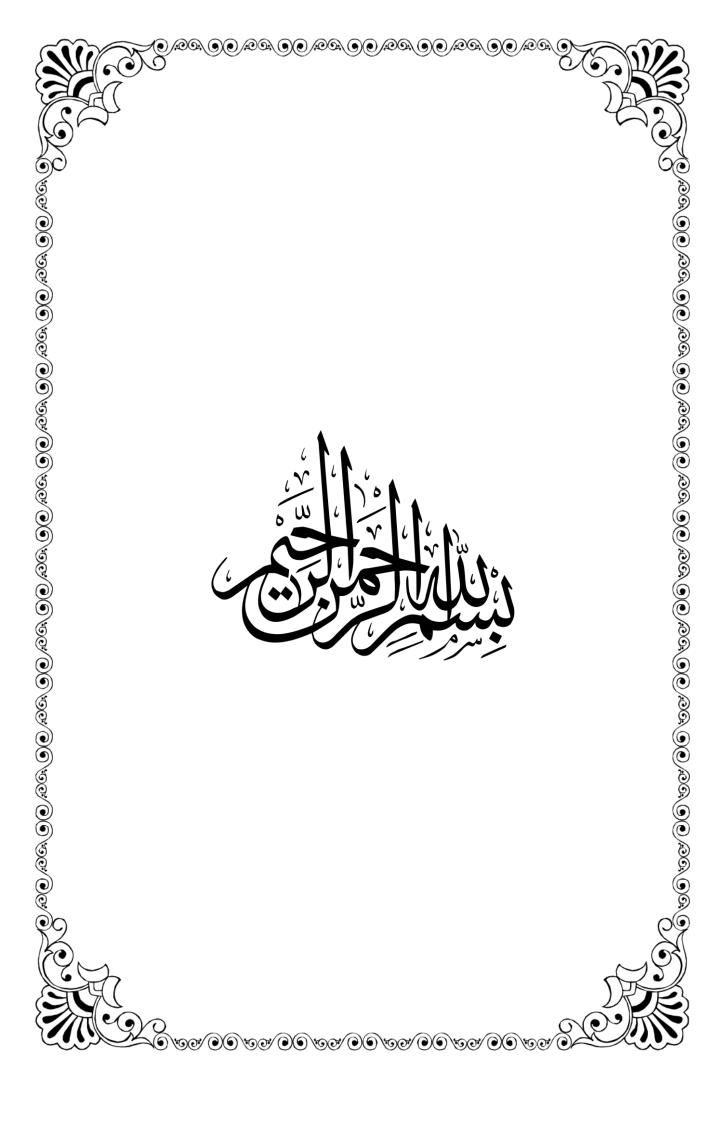
لِلشَّيْخُ العَلَّامَة

عَبْدُ الرَّحْمَن بِن ناصِر بِن عَبْدُ اللّهِ بِن سِعْدِيًّ وَحَمُهُ اللّهُ عِنْ سِعْدِيًّ وَحَمُهُ اللّهُ

شَرْحُ فَضِيلَةُ الشَّيْخ

أ.د: سليمان بن سليم الله الرحيلي

غَفَرَ اللّٰهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ



المجلس (۱۲)

بِسۡ ___ِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰزِ ٱلرَّحِي حِـ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأتمان الأكملان عَلَىٰ المبعوث رحمةً للعالمين، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أُمَّا بَعْدُ:

فمعاشر الصائمين؛ في مسجد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ مِن أَعظم نعم الله عَزَّ وَجَلَّ علينا أَن جمع لنا بين شهر رمضان وكوننا في مسجد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فشهر رمضان شهر مبارك.

- ومن بركته: أن من صام رمضان إيهان احتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام رمضان إيهانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومسجد ومسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مسجد مبارك.
- ومن بركته: أن الصلاة في مسجد نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خير للمؤمن في ثوابها وأجورها وبركاتها من ألف صلاة فيها سواه.

فهل تعلم أيها المبارك أنك إذا قمت ليلة مع الإمام في مسجد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فصليت مع الإمام ثلاث عشر ركعة أنك تكون كأنك صليت في بلادك قيام الليل بثلاث عشرة ألف ركعة، ترجع بثواب ثلاثة عشر ألف ركعة لو صليتها في بلادك، هذه ليلة واحدة، فلو كتب الله لك قيام رمضان كله في مسجد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنك تكون كأنك قمت ثلاث وثلاثين رمضان في بلادك، يا لها من فضل عظيم، ويا لها من بركة عظيمة، ركعة في مسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خير لك من ألف ركعة في بلادك، فهذا فضل عظيم.

ومن بركة هذا المسجد: أن من طلب العلم في مسجد رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان مجاهدًا في سبيل الله، فأنت يا أُخي وأنت تجلس في الحلقة تطلب العلم يجري عليك أجر المجاهد في سبيل



الله، ويصدق عليك أنك صمت يومًا في سبيل الله، ومن صام يومًا في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفًا، ومن جاء إلى مسجد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليتعلم خيرًا أو يعلمه كان له كأجر حاج تام حجته، وفي بعض الروايات: كان له كأجر عمرة، وعمرة في رمضان كحجة مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أأدركتم معاشر الأحبة عظم النعمة علينا، نسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يرزقنا شكرها، وأن يجعلنا من المسلمين الطائعين المتأدبين في مسجد رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

معاشر الفضلاء الأكارم؛ نواصل درسنا في التفسير؛ حيث نفسر جزء تبارك في شهر رمضان لهذا العام، ونشرع اليوم في تفسير سورة المعارج.

﴿ سَأَلَ سَايِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۞ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعُ ۞ مِنَ اللّهِ ذِى الْمَعَارِجِ ۞ تَعْرُجُ الْمَلَابِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۞ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۞ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۞ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ۞﴾ [المعارج: ١-٧].

عسورة المعارج سورة مكية باتفاق العلماء، وموضوع سورة المعارج: (عذاب الله عَزَّ وَجَلَّ الواقع في المعرضين عن الحق، المدبرين عنه، وقدرة الله عَزَّ وَجَلَّ على ذلك، وبيان حال الناس المفلحين والخاسرين)، ففي هذه السورة بيان عذاب الله عَزَّ وَجَلَّ الواقع بمن يستحقه بسبب إدباره عن الحق، وإعراضه عن الحق، وبيان أن الله عَزَّ وَجَلَّ قادر على ذلك فهو سبحانه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السهاء، وأيضًا بيان حال الناس من جهة الفلاح والخسران.

فالناس لا شك منهم مفلحون، ومنهم خاسرون، وفي هذه السورة بيان للفريقين في هذه الآيات التي استمعناها يخبر الله عَزَّ وَجَلَّ أنَّ سائلًا من الكفار دعا واستعجل بعذاب توعد الله عَزَّ وَجَلَّ الكافرين به، وتوعدهم بذلك رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال ذلك الكافر: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا الكافرين به، وتوعدهم بذلك رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال ذلك الكافر: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحُقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ اعْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأنفال: ٣٦]، أو أن كافرًا من الكفار سأل عن ذلك العذاب الذي توعد الله به الكفار والمعرضين، وتوعد به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الكفار والمعرضين متى سيقع ذلك العذاب؟ استبعادًا لوقوعه، فأخبر الله عَزَّ وَجَلَّ أن هذا العذاب المتوعد به واقع لا محالة، وسيقع بالكافرين يوم القيامة، لا يستطيع أحد دفعه قبل وقوعه،



ولا رفعه بعد وقوعه حتى لو اجتمع الكفار جميعًا، ما استطاعوا أن يدفعوا شيئًا منه، ولا أن يرفعوا شيئًا منه، إذ هو عذاب من الله الذي هو على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السهاء.

وهو سبحانه العلي الأعلى فوق خلقه أجمعين، وليس فوقه شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هو سبحانه ذو المعارج الذي تعرج إليه الأعهال والأرواح عند قبضها، والملائكة عند نزولها إلى الأرض ثم صعودها إلى السهاء، فالله سبحانه تعرج إليه أعهال عباده، وتعرج إليه أرواح عباده، وتعرج إليه الملائكة إذا نزلت إلى الأرض، ثم صعدت بعد ذلك، ومن الملائكة جبريل عليه السلام أشرف الملائكة، وأفضل الملائكة الذي ينزل بالوحي على الأنبياء ويصعد إلى السهاء، ومن ذلك الأمر المهيب العظيم الذي يكون يوم القيامة في ذلك اليوم العظيم، حيث يرى الناس الملائكة في خلقتها العجيبة وصورتها الحقيقية تصعد وتنزل في ذلك اليوم وتقف في صفوفها، ومعهم جبريل عليه السلام وذلك في يوم مقداره خمسون ألف سنة، وهو كذلك على الكفار.

إن مقدار ذلك اليوم على الكفار خمسون ألف سنة، لكن الله الرحيم بالمؤمنين يخففه على الموحدين المؤمنين فيكون في حقهم كما بين الظهر والعصر، وهذه رحمة الله بأهل الإيمان، كما قال نبينا صلى الله على المؤمنين كقدر ما بين الظهر والعصر» رواه الحاكم وصححه الْأَلْبَانيُّ.

فيقول الله عَزَّ وَجَلَّ لرسوله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم بعد أن بين ذلك؛ أعني وقوع العذاب على أعدائه: فاصبر يا رسولنا على جهلهم واستهزائهم صبرًا جميلًا مع اليقين بوعد الله ووعيده، ولا تسخط في هذا الصبر واستمر في دعوتك وتبليغ رسالتك وأمر الناس بالتوحيد وأنههم عن الشرك وأنذرهم ذلك اليوم وأعرض عنم الجاهلين، فإنك على الحق المبين وما توعد الله الكفار به واقع لا محالة، وأولئك الكفار لجهلهم وسخافة عقولهم يرون يوم القيامة والبعث بعيدًا يستحيل وقوعه.

والله عَزَّ وَجَلَّ يعلم أنه قريب لأنه واقع لا محالة، وكل آت قريب، والمؤمنون يعلمون أنه واقع قريبًا لأنهم يصدقون ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويصدقون رسولهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، هذا هو المعنى الموضوعي الإجمالي الإيماني لهذه الآيات، ثم نعود إلى التفسير التفصيلي فنقرأ ما سطره الإمام السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره ونعلق عليه.

قَالَ الإمام العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى: يقول تعالى مبينًا لجهل المعاندين، واستعجالهم لعذاب الله، استهزاء وتعنتا وتعجيزًا:

﴿ سَأَلَ سَابِلُ ﴾ [المعارج: ١] أي: دعا داع.

(الشرح)

فمعنى سأل دعا، ما سأل عنه وإنها دعا وطلب نزوله، دعا داع واستفتح مستفتح واستعجل مستعجل.

﴿ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۞ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [المعارج: ١، ٢]، أي بعذاب واقع لا محالة، ودخلت الباب على العذاب لأن الفعل سأل ضمن معنى استعجل، ومن أساليب العرب أن الفعل يضمن فعلا آخر، فسأل هنا ضمن استعجل، أي استعجل بعذاب، ولذلك دخلت الباء على العذاب، فهو لا يسأل وقوعه فقط، بل يسأل ويطلب وقوعه عاجلاً، وقال بعض المفسرين: سأل سائل أي استخبر سائل عن العذاب المتوعد به، متى يقع، وعلى من يقع، على سبيل الاستهزاء والاستبعاد.

إذًا ﴿ سَأَلَ ﴾ [المعارج: ١] هنا قال بعض العلماء معناها دعا، ومن الذي دعا؟ قال أكثر المفسرين: إن كافر من الكفار، دعا وطلب وقوع هذا العذاب، استهزاء واستبعادًا، وقال جماعة من المفسرين: إن الذي دعا هو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، أي دعا ربه أن ينزل العذاب على هؤلاء الكفار المستهزئين، لكن هذا القول بعيد، فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لم يكن يدعو على قومه، بل كان يصبر رجاء أن يؤمنوا وأن يخرج الله من أصلابهم من يؤمن بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهذا القول وإن قاله جماعة من المفسرين إلا أنه بعيد، أو معنى سأل استخبر واستفهم، أي أن أحد الكفار استخبر واستفهم عن هذا العذاب.

(﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۞ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [المعارج: ١، ٢] الاستحقاقهم له بكفرهم وعنادهم)، ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۞ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [المعارج: ١، ٢]، انظروا اللام، قال العلماء: أي أنه مرصد للكافرين معد للكافرين، ولذلك جاءت اللام، أو تكون اللام بمعنى على، الأنكم تعرفون عند العرب حروف الجرينوب بعضها عن بعض إلا إذا وجد مانع، فتكون اللام هنا بمعنى على، على الكافرين، فإما أن يكون المعنى على. للكافرين فتكون اللام هنا بمعنى على.

﴿ لَيْسَ لَهُ دَافِعُ ۞ مِنَ اللّهِ ﴾ [المعارج: ٢، ٣] أي: ليس لهذا العذاب الذي استعجل به من استعجل، من متمردي المشركين، أحد يدفعه قبل نزوله، أو يرفعه بعد نزوله، وهذا حين دعا النضر بن الحارث القرشي أو غيره من المشركين فقال: ﴿ اللّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أُو اعْتِنَا بِعَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ [الأنفال: ٣٣] إلى آخر الآيات.

فالعذاب لا بد أن يقع عليهم من الله، فإما أن يعجل لهم في الدنيا، وإما أن يؤخر عنهم إلى الآخرة. (الشرح)

أما عذاب الْآخِرَة؛ فهو حاصل وواقع، ولا بد من وقوعه، ولا يجوز أن يقال: يمكن أن يدخل الله جميع الناس الجنة، هذا رد للنصوص الكتاب والسنة، الله عَزَّ وَجَلَّ أخبرنا أن هناك أقوامًا يدخلون الناس ويعذبون بكذا ويفعل بهم كذا، وهذا والله واقع، لا نشك فيه شعرة، نحن نؤمن به إيهانًا جازمًا، وأما تعجيل العذاب في الدنيا فقد يعذب الله الكفار بأيدي المؤمنين، وقد ينزل بهم ألوانًا من العذاب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وقد لا يقع ذلك، وهذا كله بحكمة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(الماتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللّهُ: فلو عرفوا الله تعالى، وعرفوا عظمته، وسعة سلطانه وكمال أسمائه وصفاته، لما استعجلوا ولاستسلموا وتأدبوا، ولهذا أخبر تعالى من عظمته ما يضاد أقوالهم القبيحة فقال: ﴿ ذِى الْمَعَارِج ۞ تَعْرُجُ الْمَلَايِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [المعارج: ٣، ٤] أي: ذو العلو والجلال والعظمة، والتدبير لسائر الخلق.

(الشرح)

أي قيل أن: ﴿ ذِى الْمَعَارِجِ ﴾ [المعارج: ٣]، معناها ضو الفواضل والعلو، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رفيع الدرجات، عالٍ بذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على جميع خلقه، وقيل: معنى ﴿ ذِى الْمَعَارِجِ ﴾ [المعارج: ٣]، أي: ذو المعارج الذي تعرج إليه الأعهال في معارج بين الأرض والسهاء، وتعرج إليه الأرواح عند قبضها في معارج، وطرق بين الأرض والسهاء، وتعرج إليه الملائكة إذا فرغت مما أسند إليها في الأرض، في طرق بين الأرض، فهي تعرج إليه بتدبيره سبحانه وأقداره، وإلا فهذا العروج غير ممكن، إلا أن الله أقدر على ذلك، فهو سبحانه على كل شيء قدير.

قَالَ رَحِمَهُ الله: الذي تعرج إليه الملائكة بما دبرها على تدبيره، وتعرج إليه الروح، وهذا اسم جنس يشمل الأرواح كلها، برها وفاجرها.

(الشرح)

أي كل روح، كل روح تقبض تعرج إلى السهاء.

(الماتن)

قَالَ رَحِمَهُ الله: وهذا اسم جنس يشمل الأرواح كلها، برها وفاجرها، وهذا عند الوفاة، فأما الأبرار فتعرج أرواحهم إلى الله، فيؤذن لها من سماء إلى سماء، حتى تنتهي إلى السماء التي فيها الله عَزَّ وَجَلَّ، فتحيي ربها وتسلم عليه، وتحظى بقربه، وتبتهج بالدنو منه، ويحصل لها منه الثناء والإكرام والبر والإعظام.

(الشرح)

أي: أن الروح الطيبة التي طابت بالتوحيد ولطاعة الله عَزَّ وَجَلَّ بعد أن تقبضها الملائكة وتضعها في الكفن من الجنة والحنوط من الجنة تعرج بها إلى السهاء الدنيا، فيستفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان بن فلان بأطيب أسهائه، فيقال: مرحبًا بالنفس الطيبة، كانت في الجسد الطيب ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان، وما من ملأ من الملائكة إلا وهو يسأل الله أن يعرج بهذه الروح من جهتهم، ثم يستفتح لها في السهاء الثانية فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان بن فلان بأطيب أسهائه التي كانت في الدنيان فيقال: مرحبًا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان، ثم هكذا في السهاء الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة وَالسَّابِعَةُ حتى تبلغ ما ينتهي إليه المخلوق، فيثني عليها و تبتهج بها يَكُوْن.

ثم يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى فتعاد الروح الطيبة كريمة إلى الأرض، هذه أرواح الأبرار الذين طابت نفوسهم بالتوحيد، يا إخوة يا أحبة أغلى ما نملك على الإطلاق التوحيد، والله والله لا أغلى من التوحيد، الدنيا كلها لا تساوي شيئًا من التوحيد، النفوس التي طابت بتوحيد ربها وبالحرص على تقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تكرم هذا الإكرام العظيم عند خروجها.



يا إخوة سبحان الله حال المؤمن عجيب، حال المؤمن عجيب، وهو ينازع السكرات، وتخرج الروح يبشر، والروح لازالت في جسده وأهله حوله يبكون، يقال: أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب اخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان فلا يزال يُقال لها ذلك وهي في الجسد حتى تخرج، فعند ذاك عندما يقال لها: أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب اخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان إذا سمعت هذا أحبت لقاء الله، إذا بشر المؤمن بهذه البشارة العظيمة أحب لقاء الله فأحب الله لقائه، ثم تعرج روحه كها ذكرنا.

(وأما أرواح الفجار فتعرج، فإذا وصلت إلى السماء استأذنت)، يعني إلى السهاء الدنيا، إذا وصلت إلى السهاء الدنيا، الروح الفاجرة التي تقذرت بالشرك وبها يغضب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ينزل إليها الملائكة بكفن من النار وحنوط من النار، فيقال لها: أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، خبثها صاحبها، اخرجي ذميمة وأبشري بحميم وغساق، وآخر من شكله أزواج، فإذا سمعت هذا انتشرت في الجسد، فتخرج تتقطع معها العروق، كها يخرج السفود من الصوف المبلول، فإذا خرجت أخذها الملائكة فوضعوها في هذا الحنوط وهذا الكفن، وخرج منها ريح خبيثة، وتعرج بها الملائكة إلى السهاء، وما من ملأ من الملائكة إلا وهم يستعيذون من هذه الروح.

حتى إذا بلغوا السماء الدنيا قالوا: من هذا؟ فيقولون: فلان بن فلان بأخبث أسمائه في الدنيا، فيقال: لا مرحبًا بالنفس الخبيثة، كانت في الجسد الخبيث، ارجعي ذميمة، وأبشري بحميم وغساق، وآخر من شكله أزواج فلا يؤذن لها، ولا تفتح لها أبواب السماء، فيول الله: اكتبوا كتابه، انظروا يا إخوة الروح الطيب يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: الروح الطيب يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحًا، ما ينزلها الملائكة، تطرح روحه طرحًا، فيكون ما يكون في القبر.

(الماتن)

قُالَ رَحِمَهُ اللّهُ: فإذا وصلت إلى السماء استأذنت فلم يؤذن لها، وأعيدت إلى الأرض. ثم ذكر المسافة التي تعرج فيها الملائكة والأرواح إلى الله.

(الشرح)

الروح ذكر الشيخ أنه اسم جنس للأرواح، أي أروحا بني آدم، كل روح من أرواح بني آدم، وقال جماعة من المفسرين: الروح هنا هو جبريل عليه السلام، الذي هو أفضل الملائكة وأشرف الملائكة

9

فيكون من باب ذكر الخاص بعد العام، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَابِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا ﴾ [القدر: ٤]، أي جبريل عليه السلام، ولا مانع من الأمري، فتعرج إليه سبحانه الملائكة ومنهم جبريل عليه السلام وتعرج إليه الأرواح على ما ذكرنا.

(الماتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللّهُ: ثم ذكر المسافة التي تعرج فيها الملائكة والأرواح إلى الله، وأنها تعرج في يوم بما يسر لها من الأسباب، وأعانها عليه من اللطافة والخفة وسرعة السير، مع أن تلك المسافة على السير المعتاد مقدار خمسين ألف سنة، من ابتداء العروج إلى وصولها ما حد لها، وما تنتهي إليه من الملأ الأعلى.

(الشرح)

يعني أن هذه المسافة هي مسافة عروج الأرواح وعروج الملائكة وعروج الأعمال من الأرض إلى ما دون العرش، إلى آخر نقطة يبلغها المخلوق، ما مقدار المسافة بين الأرض وآخر نقطة يبلغها المخلوق دون العرض؟ قالوا: خمسون ألف سنة، مقدار خمسين ألف سنة، وهذا لا يستطيعه مخلوق الا بأقدار الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالله الذي أقدر هذه الا بأقدار الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالله الذي أقدر هذه المخلوقات على أن تعرج من الأرض إلى السهاوات في لحظات يسيرة، قادر على أخذ الكفار، وعلى تعذيب الكفار.

(الماتن)

قُالَ رَحِمَهُ الله: فهذا الملك العظيم، والعالم الكبير، علويه وسفليه، جميعه قد تولئ خلقه وتدبيره العلي الأعلى، فعلم أحوالهم الظاهرة والباطنة، وعلم مستقرهم ومستودعهم، وأوصلهم من رحمته وبره وإحسانه، ما عمهم وشملهم وأجرئ عليهم حكمه القدري، وحكمه الشرعي وحكمه الجزائي.

(الشرح)

العلماء يقولون: الأحكام ثلاثة، بعض أهل العلم يقولون: الأحكام ثلاثة: الحكم القدري بقضاء الله قدره، والحكم الشرعي الطلبي، والحجكم الجزائي أي الثواب والعقاب على الأعمال، والله عَزَّ وَجَلَّ أجرى أحكامه على خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قَالَ رَحِمَهُ الله: فبؤسًا لأقوام جهلوا عظمته، ولم يقدروه حق قدره، فاستعجلوا بالعذاب على وجه التعجيز والامتحان، وسبحان الحليم الذي أمهلهم وما أهملهم، وآذوه فصبر عليهم وعافاهم ورزقهم.

(الشرح)

(وآذوه)، أي أن هؤلاء قد آذوا ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بتكذيبهم له، ولرسله، وبكفرهم برسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وللمؤمنين، والأذى أخف الضرر، فهو علق اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وللمؤمنين، والأذى أخف الضرر، فهو يطلق على ما خف أمره وضعف أثره، العباد لا يضرون الله عَزَّ وَجَلَّ، لكنهم يؤذون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بهذا الذي ذكرنا الكفر والتكذيب للرسل والأذية للمؤمنين، ومع ذلك يصبر عليهم، ويعافيهم، ويرزقهم، بل من كرمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يجيب دعاء المضطر منهم، سبحانه كريم رؤوف حليم رحيم رحمن، وهو سبحانه سريع العقاب، شديد العقاب، قوي عزيز متكبر، قاهر قادر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(الماتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: هذا أحد الاحتمالات في تفسير هذه الآية الكريمة فيكون هذا العروج والصعود في الدنيا، لأن السياق الأول يدل على هذا، ويحتمل أن هذا في يوم القيامة.

(الشرح)

وهذا الذي عليه أكثر المفسرين، أن اليوم الذي كون مقداره خمسين ألف سنة هو يوم القيامة.

قَالَ رَحِمَهُ اللّهُ: وأن الله تبارك وتعالىٰ يظهر لعباده في يوم القيامة من عظمته وجلاله وكبريائه، ما هو أكبر دليل على معرفته، مما يشاهدونه من عروج الأملاك والأرواح صاعدة ونازلة، بالتدابير الإلهية، والشئون الربانية، في ذلك اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة.

(الشرح)

كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمن لا يؤدي زكاته وتعذيبه في ذلك اليوم، قال: «في يَومٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حتَّى يُقْضَى بِيْنَ الْعِبادِ،»، والحديث عند مسلم في الحديث، وهذا



الحديث نص على أن يوم القيامة مقداره خمسون ألف سنة، لكن كما قلنا: يخفف عن أهل التوحيد والإيمان، حتى يكون في حقهم كما بين الظهر والعصر.

(الماتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللّهُ: في ذلك اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة من طوله وشدته، لكن الله تعالىٰ يخففه على المؤمن.

وقوله: ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾ [المعارج: ٥] أي: اصبر على دعوتك لقومك صبرًا جميلا لا تضجر فيه ولا ملل.

(الشرح)

ولا انقطاع عن الدعوة، لا تضجر فيه ولا ملل ولا انقطاع عن الدعوة.

(الماتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللّهُ: بل استمر على أمر الله، وادع عباده إلى توحيده، ولا يمنعك عنهم ما ترى من عدم انقيادهم، وعدم رغبتهم، فإن في الصبر على ذلك خيرًا كثيرًا.

(الشرح)

وفي هذا توجيه للدعاة إلى الحق إلى التوحيد والسنة، إلى ما ينفع الناس أن يصبروا على ما يجدونه من أذى الناس، فإن العادة أن الناس أعداء من خالف عادتهم، أن الناس يعادون من يخالف ما ألفوه، حتى لو كان شفيقًا عليهم، فينبغي على الداعية الموجه حتى لو كان شفيقًا عليهم، فينبغي على الداعية الموجه أن يصبر على أذى الناس صبرًا جميلًا، لا تسخط فيه، ولا ملل، ولا انقطاع عن دعوة الناس إلى ما يريده رب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا تغيير لشيء من الدين ليرضي الناس، بل يثبت ويدعو الناس إلى ما يريده رب الناس سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا يجعله عداء بعض الناس له يغير في دين الله ليرضيه، بل يثبت على دين الله عن دعوته، بل عليه أن يصبر ويستمر على الدعوة ولا ينقطع عن دعوته لكثرة المخالفين وقلة المستجيبين.

هو بهذا يسير على طريق رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولله حكمة والله ما تحرك متحرك في الكون إلا بحكمة، لله حكمة فعلى الداعية أن يطمئن، بل على المؤمن عمومًا أن يطمئن فالكل بعدل وحكمة، والله لا يكون شيء إلا وفيه عدل وحكمة، لأن الله



عدل لا يظلم أبدًا، والله الحكيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإذا عرفت أيها المؤمن أن أقدار الله النازلة بعدل وحكمة فإن قلبك يطمئن، وترتاح، وتعيش حياة طيبة، وهذا لا يكون إلا للمؤمن، المصدق الذي على يقين من عدل ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ومن حكمة ربه.

(الماتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللّهُ: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۞ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ۞﴾ [المعارج: ٦، ٧] الضمير يعود إلى البعث الذي يقع فيه عذاب السائلين بالعذاب.

(الشرح)

يعني إن الكفار يرون يوم القيامة وما أخبرتهم مما يقع فيه مستبعد الوقوع، أي أنه محال الوقوع، مستحيل أن يقع.

(الماتن)

قُالَ رَحِمَهُ اللّهُ: أي: إن حالهم حال المنكر له، أو الذي غلبت عليه الشقوة والسكرة، حتى تباعد جميع ما أمامه من البعث والنشور، والله يراه قريبًا.

(الشرح)

(والله يراه قريبًا)، نراه أي الله عَزَّ وَجَلَّ، لماذا قال: نراه مع أن علم الله جزم؟ قالوا: من باب المقابلة، ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ ﴾ [المعارج: ٧] مقابلة، ومعنى نراه في حق الله نعلمه، نعلم وقوعه ووقت وقوعه حيث لا يعلم ذلك إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أعني وقت وقوعه، والمؤمنون يرونه قريبًا بتصديقهم لله عَزَّ وَجَلَ، ولرسوله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(الماتن)

قَالَ رَحِمَهُ الله: والله يراه قريبًا، لأنه رفيق حليم لا يعجل، ويعلم أنه لا بد أن يكون، وكل ما هو آت فهو قريب.

(الشرح)

وبعض المفسرين قال: ﴿ وَنَرَاهُ ﴾ [المعارج: ٧] أي يراه المؤمنون قريبًا، لماذا؟ قالوا: لأن الله عَزَّ وَجَلَّ علمه جزم وليس رأيًا، لكن الحقيقة الأمر كما قلت الظاهر ولا إشكال فيه، نراه أي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى



يراه، ومعنى يراه يعلمه، ولماذا عُبر بـ "نراه" هنا؟ من باب المقابلة، وبهذا نكون انتهينا من تفسير الجزء الأول من الآيات.

﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ۞ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۞ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمً حَمِيمًا ۞ ﴿ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِبِذٍ بِبَنِيهِ ۞ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ۞ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي كُيْبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِبِذٍ بِبَنِيهِ ۞ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ۞ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تَوْمِيدٍ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ۞ كَلَّا إِنَّهَا لَظَى ۞ نَزَّاعَةً لِلشَّوَى ۞ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ۞ وَجَمَعَ فَأُوْعَى ۞ [المعارج: ٨ - ١٨].

في هذه الآيات الكريهات يُبين الله عَزَّ وَجَلَّ وقوع يوم القيامة وبعض ما يكون في ذلك اليوم من أهوال، يوم تكون السهاء التي هي أشد خلقًا من الناس بناها الله عَزَّ وَجَلَّ وسواها وشدها وقواها، تلك السهاء القوية تكون في ذلك اليوم كأنها سائلة كالرصاص والذهب والمعادن التي تسخن عليها النار فتسيل من شدة السخونة، وذلك لكثرة تشقق السهاء في ذلك اليوم، وتفتر السهاء في ذلك اليوم لهيبة الله عَزَّ وَجَلَّ، والإشفاق من غضب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولما في ذلك اليوم من أهوال شديدة، وتكون الجبال القاصية كالصوف المنفوش، حيث تدك وتفتت تفتيتًا، فينسفها الله نسفًا، وتصير هباء، وتختلط بالأرض، وفي ذلك اليوم العظيم الذي يذهل فيه الناس عن أحبابهم حتى تذهل الأم عها ترضع، فلو كانت معها رضيعة ترضعها لذهلت عَنْهَا.

في ذلك اليوم لا يسأل قريب قريبًا، ولا صاحب صاحبًا عن حاله وشأنه مع أنه يراه في أسوأ حال، ولا يسأله أن يحمل عنه شيئًا، ولا يطلب منه أن يحمل شيئًا من ذنبه، فكل مشغول بنفسه، ويحب السلامة لنفسه، فالقريب يرى قريبه، الأب لأولاده يتبدل قلبه ويتمنى أن يفدي نفسه من عذاب الله ببنيه، بل وبزوجته معه التي كان يحبها ويودها في الدنيا وبإخوانه وأخواته، وعشيرته كلها التي كانت تضمه في الدنيا وتنصره وينصرها، وتحميه ويحميها وتقف معه في شدته، بل ومن في الأرض جميعًا من البشر والحيوانات والقنوت والأموال، المهم أن ينجو هو.

يتمنى لو يستطيع أن يفدي نفسه بكل هذا، لكن كلا لم يكون، ولو كان لما نفع، فلا قرابة تنفع، ولا فداء يقبل في ذلك اليوم، فلا ينتظر المجرم في ذلك اليوم إلا لظى جهنم التي تلتهب، ويشتد حرها، التي من شدتها تنزع جلدة الوجه والرأس إذا ألقي فيها أهلها منكوسين على رؤوسهم، أول من تلقى

الرأس والوجه فتنزع جلدة الوه، وتنزه فروة الرأس، وتتطاير اليدان والرجلان، تنزع اليدين من مكانهما، والرجلين من مكانهما، ثم ترجع إلى مكانها، ثن تصل إلى داخل جوف الإنسان فتصل إلى قلبه وتصل إلى ما في بطنه، تنزع كل هذا، وهي في يوم القيامة وترى أهلها، وتعرف أهلها بأسمائهم، فتنادي الذين تركوا الحق وأعرضوا عنه بأسمائهم إليها أن هلموا، تراهم من بعيد، فتنادي كل واحد باسمه تعال هلم، فالنار تدعوهم والملائكة يدعونهم، يدفعونه، حتى تكب وجوههم في النار بكل ذلة ومهانة.

إنه والله كائن، إنه والله لحق اليقين، إن أقسم بالله أن هذا سيكون، معاشر الفضلاء الله عَزَّ وَجَلَّ في الدنيا ما طلب منا إلا اليسير، سبحانه أمرنا بها فيه خيرنا، وضاعف ثوابنا ونهانا عها فيه شرنا والله ما نهى الله عن شيء إلا وفيه شرلنا، وجعل السيئة بمثلها وفتح لنا باب التوبة بالتوحيد، وفعل الواجبات، وترك المحرمات، والتوبة إذا وقعنا في حرام، أمر يسير على من يسره الله عليه، لكن الذي يغفل ويدنس نفسه ويخبث نفسه يوم القيامة يتمنى لو ينجو من عذاب الله بأن يفتدي نفسه بالدنيا كلها، سبحان الله الآن يفعل الحرام من أجل لذة ساعة، من أجل كم؟ مليون؟ عشرة ملايين؟ يوم القيامة يتمنى لو يقدم فداء الدنيا كلها ببشرها وحيواناتها وكنوزها وأموالها.

فالله الله معاشر المؤمنين الله الله، لنتقي الله، لنعمل بطاعة الله على نور من الله نرجو ثواب الله، ولنترك معصية الله على نور من الله نخاف عذاب الله، نُقبل على الطاعات، وننكب عن المحرمات، فإذا ذلت القدم بادرنا بالاستغفار والتوبة.....

(الأسئلة)

السؤال:

الجواب: من طعام البلد من الأرز عندنا كيلو ونصف، فإن زاد معه إدامه من الدجاج أو اللحم فهذا كمال، وليس واجبًا، أمَّا إذا كان مطبوخًا فإن الَّذِي يكفي ليشبع الشخص المعتاد، الذي يكفي في العادة ليشبع الشخص المعتاد، فهذا هو الإطعام عن كل يوم لا تصومه، وهل تقضي؟

الجواب: لا، حقها الإطعام هي إن تحاملت فصامت أجزئ عنها، فإذا أطعم عنها ما تحتاج إلى قضاء.

السؤال: هذا امرأة تقول: أنها أنجبت قبل ثلاثة أَشْهُرِ، وهي الآن مرضع، تقول: أنها ينزل منها نقطة دم في اليوم الأول وفي اليوم ثاني تغتسل وتصلي، واليوم الثالث ينزل نقطة دم كذلك لمدة ثلاثة عشر يومًا ثم يتوقف أسبوع ثم عاد في أول رمضان؟

الجواب: هذه الأخت أولًا هي أعلم بنفسها، هل من عادتها أنها إذا أرضعت لا يأتيها الحيض أو لا؟ ثم ينبغي أن تراجع الطبيبة لتعرف هل هذا دم فساد أو دم حيض، والأصل أن ما ينزل على المرأة في أيام حيضها يكون حيضًا، إلا إذا علمنا خلاف ذلك، فالأصل أنه حيض، ولو كانت حاملًا على الراجح من أقوال العلم، لكن في مثل هذه الحال الراجح من أقوال العلم، لكن في مثل هذه الحال نقول: راجع الطبيبة، لأنها أعرف، فإذا قالت لها الطبيبة الحاذقة: لا، هذا ليس حيضًا هذا دم فساد فهو دم فساد، وإذا قالت لها: إنه حيض فإنه حيض، وإذا لم تعرف فإن الأصل أنه حيض إذا كان في وقت الحيض والذي تعرفه المرأة.

السؤال: هذا يقول: أنه تجاوز الميقات ولم يعقد النية إلا بعد خمس دقائق، يقول: أنها كانت في باله ولكن لم تحرك بالسيارة نسيها، هل عليه شيء؟

الجواب: النية للمعتمر نوعان:

النوع الأول: نية إرادة عمرة، وهذه تحصل للإنسان وهو في بيته، عندما يتهيأ هو يريد العمرة.

والنية الثانية: نية الدخول في النسك، بحيث يعتبر نفسه محرمًا يجتنب محظورات الإحرام، وهذه الغالب على الناس أنهم يؤخرونها إلى الميقات، وهذه السنة، فإذا كان هذا الأخ ما نوى قبل الميقات، أعني الدخول في النسك، وأراد أن ينوي في الميقات ثم لم ينوي، لم تحل منه النية حتى أبعد عن الميقات،

فإن الميقات مكان معلوم، مثلًا ميقاتنا في الدينة ذو الحليفة هو المسجد على طرف الوادي ثم الهضبة العليا التي تحيط بالمسجد، وأنت في المسجد إذا نظرت يمينًا أو شهالًا ترى مرتفعًا يحيط بالمسجد هذا من الميقات، فلو أن الإنسان ما نوى عند المسجد، لكن عندما صعد على هذا المرتفع سواء جهة المستشفى أو من جهة خط الهجرة على المرتفع فقد نوى من الميقات.

أما إذا تجاوزه حتى ترك هذا المكان؛ فإنه يجب عليه أن يرجع إلى الميقات قبل أن ينوي، وينوي من الميقات، فإن لم يرجع ونوى بعد أن تجاوز الميقات؛ فعليه دم ذبيحة تُذبح، وتُوزّع على فقراء مكة، فإن كان فقيرًا لا يملك قيمة الدم؛ فإنه يصوم عشرة أيام، هذا مذهب جمهور الفُقَهَاء، وهو الراجح لثبوته عن صحابة رسول الله صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ.

فبناء عليه يا أخي إذا كنت في محيط الميقات، لكن ليس في المسجد المبني في الميقات، وأحرمت فقد أحرمت الميقات، أما إذا تركت الميقات وراءك، فإن رجعت قبل أن تحرم، وأحرمت من الميقات في شيء عليك بالإجماع، أما إذا أحرمت ونويت بعد ما تجاوزت الميقات؛ فعليك دم إن كنت قادرًا على بارك الله في الجميع، وأسعد الله الجميع، وتقبل الله من الجميع، وجعل لهذه الأيام والليالي مباركات عَلَىٰ الجميع.

واللهُ تَعَالَى أَعْلَى وَأَعْلَمُ، وَصَلَّ اللهُ عَلَى نَبِيبِّنَا وَسَلَّم.



تفسير جزء تبارك

(سورة المعارج)

من كتاب:

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان

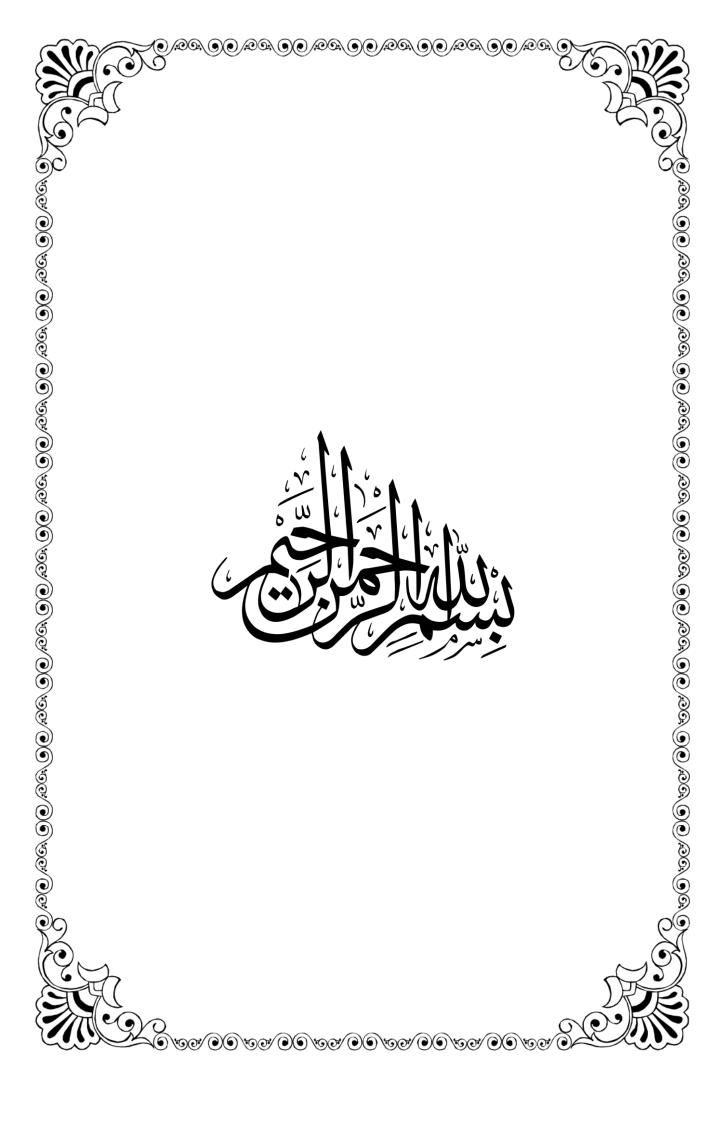
لِلشَّيْخُ العَلَّامَة

عَبْدُ الرَّحْمَن بِن ناصِر بِن عَبْدُ اللّهِ بِن سِعْدِيًّ وَحَمُهُ اللّهُ عِنْ سِعْدِيًّ وَحَمُهُ اللّهُ

شَرْحُ فَضِيلَةُ الشَّيْخ

أ.د: سليمان بن سليم الله الرحيلي

غَفَرَ اللّٰهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ



المجلس (۱۳)

بِسۡ __ِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰزِ ٱلرَّحِي حِ

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على المبعوث رحمة اللعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم صلّ على محمدٍ وعلى آل محمد، كمّا صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، اللهم صلّ على محمدٍ على آل محمد كمّا صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد.

أُمَّا بَعْدُ:

فمعاشر الفضلاء إن الله عَزَّ وَجَلَّ جَعَ لكم فِي وقتكم هذا، وَفِي ساعتكم هذه أسبابًا يعظمُ معها رجاء ُ إجابة الدعوة، فأنتم صائمون، وَفِي آخرِ ساعةٍ من يومِ الجُمْعَة، وقد نزلَ المطر، وبعضكم مُسافر، وكُلُّ هذه أسبابٌ يعظمُ معها رجاء ُ إجابة الدعوة، فإن دعا الوالدُ لأو لاده زادَ سببًا آخر.

فوصيتي لنفسي وإخواني أن نغتنم الوقت في الدعاء لأنفسنا وأهلينا وذُرياتنا وخاصتنا، والدعاء لولاةِ أمورنا والدعاء لعلمائنا، أسألُ الله عَزَّ وَجَلَّ بأسمائه الحُسنى وصفاته العُلا أن يهدينا أجمعين إلى ما يُحبُ ويرضى، كَمَا أوصي الجميع بعدم نسيان إخوانهم المستضعفين الذين يمرونَ بمحن شديدة، كإخواننا في غزة، وإخواننا في السودان، أسألُ الله عَزَّ وَجَلَّ القويَ العزيز أن يُفرجَ عنهم، وأن يُنفسَ عنهم، وأن يحميهم وأن يحفظهم، وأن يدفعَ عنهم كُلَّ شر.

معاشر الفُضلاء، نواصلُ شرحنا فِي تفسير القُرآن الكريم، حيثُ نُفسرُ فِي هذا الشهر جزءَ تبارك، ولا زلنا مع تفسير سورة المعارج، وقد قرأنا الجزءَ الثاني من آياتِ هذه السورة، وفسرناها تفسيرًا موضوعيًا إجماليًا إيهانيًا، وبقي أن نُفسرها تفصيلًا تفصيليًا، فيتفضل الابن نور الدين وفقه الله والسامعين، يقرأ لنا الآيات يُذكرنا بها، ثم يقرأ من تفسير الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، ونُعلقُ عليه.



أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم.

﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ۞ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۞ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۞ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِيِذٍ بِبَنِيهِ ۞ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ۞ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِيِذٍ بِبَنِيهِ ۞ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ۞ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي يُبْرَقُونِهُ ۞ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ۞ كَلَّا إِنَّهَا لَظَى ۞ نَزَّاعَةً لِلشَّوَى ۞ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ۞ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ۞ [المعارج: ٨-١٥].

(الماتن)

قال الإمام السعدي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى وغفر له ولشيخنا والسامعين: ثم ذكرَ أهوالَ ذلك اليوم وما يكونُ فيه فقال: ﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴾ أي: يومَ القيامة تقعُ فيه هذه الأمورُ العظيمة، ﴿ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴾ وهو الرصاصُ المُذابُ من تشققها وبلوغ الهولِ منها كُلَّ مبلغ.

(الشرح)

نعم، بعدَ أن بيّنَ ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن عذابه واقعٌ لا محالة بالمُدبرينَ عن الحق، المُعرضينَ عنه، وأن يومَ القيامة واقعٌ لا محالة، وأن الكُفارَ لجهلِهم وسخافة عقولهم يرونَ عذابَ الله بعيدًا لن يقع، فهو مُستبعد الوقوع عندهم هو مُحال، ويرونَ أن يومَ القيامة وما يكونُ فيه بعيدًا مُستبعد الوقوع، ولن يقع.

وبيّنَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يعلمُ أَنّه واقعٌ قريبًا لأنه واقعٌ لا محالة، وكُلُّ واقعٍ قريب، ولا يعلمُ وقتَ وقوع الساعة إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لكنَ المؤمنينَ المُصدقينَ للهِ عَزَّ وَجَلَّ المُصدقينَ للهِ عَزَّ وَجَلَّ المُصدقينَ للهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرونَ ويعلمونَ أن يومَ القيامةِ قريب؛ لأن الله أخبرهم بذلك، ولأن رسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبرهم بذلك، فلا توجدُ عندهم ذرةُ شَكِ فِي وقوع يومَ القيامة.

وأن النَّاسَ يوم القيامة منهم شقيٌ يدخلُ فِي النار ويُعذبُ فِي النار، والله إن المؤمنينَ يوقنون أن هناكَ من النَّاس مَنْ هو سعيد ويدخلُ الجنة، ولا يُوردونَ فلسفاتٍ وأقوالًا باطلة، كالقولِ: إنه يُمكن أن يُعذبَ اللهُ جميعَ يوم القيامة ولا يُدخل أحدًا الجنة، أو يُمكن أن يُعذبَ اللهُ عَلَى أن يُدخلَ الله جميع الخلق الجنة ولا يُعذب أحدًا بالنار.

كيفَ يسوغُ أن يقولَ مسلمٌ هذا وقد أخبرنا الله أن هناكَ مَنْ يدخلُ النار ويُعذبُ بكذا، ويقولُ كذا، ويُعابُ بكذا، فالمؤمنونَ المصدقونَ للهِ عَزَّ وَجَلَّ ولرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرونَ ويعلمون

أن يومَ القيامةِ قريب، ويوقنونَ بها أخبرَ اللهُ به، وأخبرَ رسولهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ به، مما يقعُ فِي ذلكَ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ به، مما يقعُ فِي ذلكَ اليوم.

بعدَ أَن بيّنَ اللهُ هذا، بيّنَ أهوا لا وأمورًا عظامًا تقعُ فِي يومِ القيامة، فِفي يومِ القيامة تكونُ السياء التي هي شديدةٌ قوية متهاسكة، لا ترى فيها فتورًا، ولا ترى فيها عوجًا، تكونُ فِي ذلك اليوم كالمُهلِ، والمُهل فسرهُ الشيخ بأنه الرصاص المُذاب بالنارِ شديدة الحرارة.

وفسرهُ بعضُ المفسرين بأنه حُسالةُ الزيت، إذا وضعتَ زيتًا فِي إناء ومكث فإنكَ ترى فِي أسفلهِ حُثالة، ليست مُتماسكة وليست سائلة، فبعض المفسرين قال: تكونُ السماء مثل هذه الحُثالة متشققة، متفطرة.

وبعض المفسرين قال كمّا قال الشيخ: المُهل هو الرصاص كالمعدن ونحو ذلك إذا سُخِنَ بالنارِ فإنه يذوب، فتكونُ السهاء من تشققها وانفطارِها فِي ذلك اليوم كأنها رُصاص مُذاب، كان قويًا فلها سُلطت عليه النار صارَ سائلًا.

(الماتن)

قال: من تشققها وبلوغ الهولِ منها كُلَّ مبلغ.

(الشرح)

نعم، لماذا تتشققُ السماء يومَ القيامة؟

أولًا: لأمر اللهِ لها، فاللهُ يأمرها بذلك.

وثانيًا: لهيبتِها لله عَزَّ وَجَلَّ.

وثالثًا: لخوفِها وفزعِها من غضب الله في ذلك اليوم.

ورابعًا: لأهوالِ ذلك اليوم.

هذه الأمور الأربعة تجعل السماء تتشقق وتتفطر في ذلكَ اليوم.

(الماتن)

﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴾ وهو الصوفُ المنفوش.

(الشرح)

وهو الصوف المنفوش الذي نُفشَ.

وقال بعض المفسرين: (العهن) هو الصوف المصبوغ.

وقالوا: إن الصوفَ إذا صُبغَ يضعف، فتصير الجبال كالصوف المصبوغ.

وقال بعضُ المفسرين: كالصوفِ الملون؛ لأن الجبالَ ملونة، فإذا دُكت فإنها تصيرُ خطوطًا كالصوفِ الملون.

وقال بعضهم: (العهن) هو الصوفُ الأحمر.

المهم: (العهن) هو الصوفُ المنفوشُ الضعيف. فهذه الجبالُ الراسياتُ شديدة الصلابة تُصبحُ ذلك اليوم كالصوفِ الضعيف المنفوش.

(الماتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: ثم تكونُ بعد ذلكَ هباءً منثورًا فتضمحل.

(الشرح)

نعم، ينسفُها اللهُ نسفًا، ويدكها دكًا، ويُفتتها تفتيتًا، ثم تُصبحُ هباءً، وتختلطُ بالأرض. هذا هو حالُ الجبالِ يومَ القيامة.

(الماتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: فإذا كان هذا الانزعاجُ والقلقُ لهذه الأجرامِ الكبيرةِ الشديدة، فما ظنُكَ بالعبدِ الضعيف الذي قد أثقلَ ظهرهُ بالذنوبِ والأوزار، أليس حقيقًا أن ينخلعَ قلبهُ وينزعجَ لُبهُ ويذهلَ عن كُلِّ أحد.

(الشرح)

نعم، إذا كانت الساء السميكة والجبال الشديدة، يحصلُ لها ذلك، فكيفَ بالإنسانِ الضعيف الذي خُلقَ ضعيفًا، وحملَ نفسهُ الأوزارَ والذنوب، أمنَ الله فِي الدنيا، ولم يخف من الله فِي الدنيا، فإنه فِي يومِ القيامة سيخافُ خوفًا شديدًا، فالإنسانُ إذا وافي وهو يعلم أنّه يحملُ ذنوبه، ورأى هولَ ذلك اليوم، فإن لُبهُ يطير، يرى الساوات غيرَ الساوات، والأرض غيرَ الأرض، وكُلَّ شيءٍ قد تغير، ويرى الأهوال، فيذهلُ عن كُلِّ قريبٍ وحبيب، ألصقُ ما يكون المرضعةُ بِمَنْ تُرضعهُ حالَ إرضاعه، ألصق ما يكون بين البشر، ما يكون بين المرضعة والمرضع من أولادها حالَ الإرضاع، فإنَ فيه حنانًا وودًا والتصاقًا عجيبًا، ومع ذلك فالمرضعةُ تذهلُ عها أرضعت فِي ذلكَ اليوم، ولذلك قال الله.

قال: ولهذا قال سبحانه: ﴿ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۞ يُبَصَّرُونَهُمْ ﴾ أي يُشاهدُ الحميمَ. (الشرح)

﴿ يُبَصَّرُونَهُمْ ﴾ أي يُشاهدُ بعضهم بعضًا، فيُشاهدُ الأبُ أبناءه ويعرفهم، ويُشاهدُ الأبناءُ أباهم ويرونَ ويعرفونه، وكذلك الأُم، ويُشاهدُ ابنُ العم ابنَ عمه، ويُشاهدُ الصديقُ صديقه، يرونهم ويرونَ أحوالهم، لكنهم لا يقفونَ لهم، ولا ينتظرونهم، بل يفرُ بعضهم من بعض.

(الماتن)

قال: أي يُشاهدُ الحميمُ وهو القريبُ حميمهُ، فلا يبقى في قلبه مُتسعٌ لسؤالهِ عن حاله، ولا فيما يتعلقُ بعشرتهم ومودتهم، ولا يهمهُ إلا نفسه.

﴿ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ ﴾ الذي حقَ عليه العذاب، ﴿ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِبِذٍ بِبَنِيهِ ۞ وَصَاحِبَتِهِ ﴾ أي زوجته، ﴿ وَأَخِيهِ ۞ وَضَعِيلَتِهِ ﴾ أي قرابته.

(الشرح)

لم يُفسر الشيخ الأخ لأنه معروف.

(الماتن)

﴿ وَفَصِيلَتِهِ ﴾ أي قرابتهِ، ﴿ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴾ أي التي جرت عادتُها فِي الدنيا أن تتناصرَ ويُعينَ بعضُها بعضا.

(الشرح)

نعم، فسرَ بعض أهل العلم الفصيلة بالقرابة القريبة.

وفسرَ بعضُ المفسرين الفصيلة بالعشيرة وهي القبيلة.

وفسرَ بعضُ المفسرين الفصيلة بالفخذِ من القبيلة؛ لأن العادة القبائل تكون أفخاذًا، والفخذ أخص من القبيلة.

وفسرَ بعض المفسرين الفصيلة بالأُم، قال: فصيلتهُ يعني أُمه.

والمقصودُ: شدة القرابة التي تتناصرُ مع الإنسان في الدنيا، وتحمي الإنسان في الدنيا ويحميها، في ذلك اليوم لا يسألُ أحدٌ منهم أحدًا، لا يسألهُ عن حاله، ولا يسألهُ عما يحتاج، ولا يسألهُ أن يحملَ عنه شيئًا، ولا يطلبُ منهُ أن يحملَ عنهُ هو شيئًا، بل كُلُّ منشغلٌ بنفسه.

(الماتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: ففي يوم القيامةِ لا ينفعُ أحدٌ أحدًا، ولا يشفعُ أحدٌ إلا بإذن الله، بل لو يفتدي المجرمُ المستحقُ للعذابِ بجميعِ ما فِي الأرضِ ﴿ ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴾ ذلك، لم ينفعه.

(الشرح)

﴿ ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴾؛ الضمير عائد إلى الافتداء، يعني: ثم يُنجيهِ ذلك الافتداء. يعني يا إخوة، يتمنى لو يُلقى كُلُّ هؤلاء في النار، ثم يُنجيهِ ذلكَ من عذاب الله فلا يُعذب.

(الماتن)

﴿ كُلًّا ﴾ أي: لا حيلة ولا مناصَ لهم.

(الشرح)

نعم ﴿ كَلَّا ﴾ كَمَا يقول العلماء: كلمة ردع وزجر. وقال بعض أهل العلم: هي على بابها نافية، هي نافية، في نافية، فلا حيلةً لهم ولا مناصَ لهم من العذاب.

(الماتن)

قد حقت عليهم كلمة ربك، وذهب نفع الأقارب والأصدقاء.

(الشرح)

ولا يقبلُ اللهُ منهم أي فِداء، فلا قريبَ ينفع، ولا فِداءَ يُقبل.

وبهذا تعرف حقارة الدنيا، هذه الدنيا يا عبدَ الله لو جمعتها كُلها من أطرافِها، وجُمعَ لكَ كُلَّ شيءٍ تُحبهُ فيها، فإنها لا تُساوى شيئًا أمامَ عذاب الله عَزَّ وَجَلَّ.

ولذلك المؤمن يعرفُ للدنيا قدرها، ولا يلهو بها عن الآخرة، كَمَا يأتي إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

(الماتن)

﴿ إِنَّهَا لَظَى ۞ نَزَّاعَةً لِلشَّوَى ﴾ أي النارُ التي تتلظى.

(الشرح)

﴿ إِنَّهَا لَظَى ﴾ لظى هي النار، وهذا من أسماء النار، سُميت بذلك لأنها تتلظى، أي تتلهب، فهي شديدةُ اللهب.

تنزعُ من شدتها للأعضاء الظاهرةِ والباطنة.

(الشرح)

﴿نَزَّاعَةً لِلشَّوَى ﴾، ما هو الشوى؟

قالَ بعضُ أهل العلم: هي الأعضاءُ ظاهرُها وباطنُها، فإذا كُبَ المخذولُ فِي النار، فإن النارَ أول ما تُقابله، تنزعُ جلدهُ، بدًا من فروةِ رأسهِ، إلى جلدِ وجههِ، إلى بقية جلدهِ، ثم تنزعُ لحمهُ، فلا يبقى من لحمهِ شيءٌ على العظيم، ثم تنزعُ يديه من أماكنها، ثم تنزعُ رجليه من أماكنها، ثم تدخلُ إلى جوفه فتنزعُ قلبه، وتنزعُ أحشاءه، ثم يردُ الله كُلَّ ذلك كَمَا كان، يُعذبُ ويُهان.

فهذا أولُ ورودهِ على النار، - نعوذُ باللهِ من ورودِها-.

(الماتن)

﴿تَدْعُو ﴾ إلىٰ نفسها.

(الشرح)

يعني أن النارَ ترى أهلها من بعيد، فتعرفهم بأسمائهم، وأعيانِهم، فتُناديهم إليها: يا فُلان هلمَ، يا فلان تَعَالَى، فتدعوهم النار بأسمائهم.

والملائكةُ تدُعهم، تدفعهم دفعًا شديدًا، النارُ تدعوهم، والملائكةُ تدُعهم إلى النار.

(الماتن)

﴿ تَدْعُو ﴾ إلىٰ نفسها ﴿ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ۞ وَجَمَعَ فَأُوْعَى ۞ ﴾ أي أدبرَ عن اتباع الحق، وأعرضَ عنه، فلا غرضَ له فيه، وجمعَ الأموالَ بعضها فوقَ بعض، وأوعاها فلم يُنفق منها ما ينفعهُ ويدفعُ عنهُ النار.

(الشرح)

(أوعى) معناها: جعلَ المالَ فِي وعاءٍ وختمه، أي أغلقه وأوكاه، فلا يُخرجُ منهُ شيئًا لله، بل يُجمعُ المال ويُخزنهُ، فهذا أعرضَ عن الحق، وكان المالُ وبالاً عليه، فالأكثرونَ من أهلِ الدنيا هم الأقلون يومَ القيامة، أي الذين بخلوا بالمال وجمعوه وصاروا يُكثرونهُ ولا يُخرجونَ منهُ شيئًا لله، هم الأكثرون يومَ القيامة، إلا مَنْ قال بالمالِ هكذا وهكذا

وهكذا، فأخرجَ منهُ لله عَزَّ وَجَلَّ، فنعمَ المالُ الصالح للرجل الصالح الذي يكتسبُ المالَ من حلال، ويُنفقهُ فِي حلال، ويعرفُ حقَ اللهِ فيه، ويُخرجُ للهِ عَزَّ وَجَلَّ منه؛ هذا مُفلح.

أما غيرهُ والعياذُ بالله؛ فإنه متوعدٌ بالعذاب الشديد.

(الماتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: فالنارُ تدعو هؤلاءِ إلى نفسها وتستعدُ للالتهابِ بهم. (الشرح)

نقرأ الجزء الثالث من الآيات.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۞ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۞ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۞ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۞ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَابِمُونَ ۞ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقُّ مَعْلُومٌ ۞ لِلسَّابِلِ وَالْمَحْرُومِ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ عَيْرُ مَأْمُونٍ ۞ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ۞ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ عِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ۞ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۞ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ الْعَادُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ الْعَادُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُعَافِظُونَ ۞ أُولَبِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُعَافِظُونَ ۞ أُولَبِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُعَافِطُونَ ۞ أُولَبِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ۞ وَالَذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُعَافِطُونَ ۞ أُولَبِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ۞ وَالَدِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُعَافِطُونَ ۞ أُولَبِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ۞ وَاللّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُعَافِطُونَ ۞ أُولَبِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ۞ وَاللّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُعَلِيكُ فَلَوْلَاكَ فَلَا عَلَيْ عَلَى عَلَيْكُ فَلَا عَلَيْكُ فَلَا عَلَيْكُونَ ۞ وَاللّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُعْمُ لِفُونَ ۞ أُولِيكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ۞ وَاللْمِارِحِ: ١٩٤٥ -٣٥].

في هذه الآيات العظيمة يُخبرُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وهو خالقُ الإنسان، أن طبيعة الإنسان أنَّه خُلقَ هلوعًا، شديد الخوف، قليلَ الشُكر، لا يصبرُ على شرٍ وضراء، ولا يشكرُ عندَ خيرٍ ونعماء، فإذا مسهُ الشرُ والضُر من فقرٍ أو مرضٍ أو بلاءٍ أو فقدِ محبوبٍ أو غيرِ ذلك مما يكرهه لم يصبر، بل كان كثيرَ التسخط والتجزع، والاعتراض، والحُرْنِ على ما مضى من ذلك، والهم على ما يأتي، فلا ينسى ماضيًا من بلاء، ولا يهنأُ بحاضر، ولا يأمنُ على مُستقبل؛ فهو في قلقٍ دائم.

وإذا مسهُ الخيرُ من مالٍ أو صحةٍ أو غيرِ ذلك مما يُحبه، لم يشكر، ولم يعلم أن ذلكَ من الله، ولم يُعطِ مما أتاهُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهو كثيرُ الحُزنِ عند المُصيبة.

والزعم أنَّه لا يستحقُ ذلك، وأنه مظلوم، وهو شديدُ الحرصِ عند النعمة، والزعمِ أنَّه إنها أوتي ذلك بعلمه وذكائه، وقُدراته، وأنه لا حقَ لأحدٍ فيها عِنده، وهذا طريقُ الخُسران فِي الدنيا والآخرة، ولا ينجو من هذا الخُسران إلا المؤمنون المُصلون المتصفون بالصفات المذكورةِ فِي الآيات، فإن أمرهم



كَمَا قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عجبًا لأمر المؤمن إن أمرهُ كلهُ له خير، وليسَ ذلكَ لأُحدِ إلا للمؤمن، إن أصابتهُ سراء شكرَ فكانَ خيرًا له، وإن أصابتهُ ضراء صبرَ فكان ذلكَ خيرًا له»، رواهُ مسلم.

المؤمن يعلم أنّه إن أصابته ضراء فذاك بعدلٍ من ربه وحكمة؛ فيصبرُ على ذلك، وإن أصابته نعماء فإنه يوقن أنها من فضل الله سُبْحَانَه و وَتَعَالَى فيشكر على ذلك، وهؤلاء المؤمنون المُفلحون الناجون من الخُسران من إيهانهم وصفاتِهم أنهم يداومون على صلاتِهم، ما داموا أحياء، ومعهم عقولهم، لا يتركون الصَّلاة أبدًا، يؤدون فرضها في وقته، يُقيمونها ويحرصون على الصَّلاة أبدًا، يؤدون فرضها في وقته، يُقيمونها ويحرصون على تتميمها، ولا يُلهيهم شيءٌ عنها، فهي المُقدمة عندهم على كُلِّ شيء، إذا جاء وقتُها تركوا كُلَّ شيء وأقبلوا على الصَّلاة، يداومون عَلَيْهَا.

ومن إيمانهم وصفاتهم أنهم يُخرجونَ من أموالهم التي هي رزقٌ من الله، يُخرجونَ منها لله، فيُخرجونَ منها على فيُخرجونَ الواجبَ فيها، وهو الزكاة، والنفقةُ الواجبةُ عليهم، على وجهِ التهام، ويتصدقونَ منها على المُحتاجين، فمن سألهم وأظهرَ لهم أنَّه مُحتاج أعطوهُ، ومن تعففَ من المُحتاجين تفقدوهُ وأوصلوا إليهِ ما ينفعهم من أموالهم، فخيرُهم واصل للسائل الذي يُظهرُ فقره وللمتعفف الذي يُخفي فقره.

ومن إيهانهم وصفاتهم أنهم يُصدقونَ تصديقًا جازمًا لا شكَ معه، بكُلِّ ما أخبرَ اللهُ به، وما أخبرَ بهِ رسولهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من البعث والحساب، وما يكونُ يومَ القيامة، ويوقنونَ من ذلك، وأنهم ملاقوا ربهم، ويستدعونَ لذلك اليوم، يُخلصونَ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويُجردونَ الاتباعَ لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن إيهانهم، ومن صفاتِهم أنهم مُشفقونَ وجلونَ خائفونَ من عذاب اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، يخافونَ أن يُصيبهم العذابُ فِي الدنيا، أو فِي الآخرة؛ لأنهم يوقنون أن كُلَّ بني آدم خطاء، فهم فِي خوفٍ من الله، وَفِي خوفٍ من عذاب اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ فإن عذابَ اللهِ غيرُ مأمون، فهو قريبٌ من الظالمين.

وهذا الخوفُ يدفعهم إلى إحسان العمل، يدفعهم إلى تقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فيحرصونَ على أن يكونوا حيثُ أمرهم الله، وعلى أن يغيبوا حيثُ نهاهم الله، فلا يُفقدونَ فِي أماكن الطاعة، ولا



يو جدونَ فِي أماكن المعصية؛ لأنهم يخافونَ الله، يخافونَ أن ينزلَ العذاب على العُصاةِ حالَ عصيانِهم، فلا يعصونَ الله، ولا يُجالسونَ العُصاة، ويحرصونَ على أن يكونوا مع الصادقين، ومن الصادقين.

ومن إيمانهم وصفاتهم أنهم يحفظونَ فروجهم؛ وبالتالي يحفظونَ فروجَ غيرهم، مَنْ حفظَ فرجه، حفظَ فرج عُيره، فلا يضعونَ شهوتهم ولا مُقدمات الشهوة إلا فيها أحلَ الله عَزَّ وَجَلَّ، فنظرهم إلى مَا أحلَ الله، سمعهم فيها أحلَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا يفعلونَ شَيْئًا يقودهم إلى شهوةٍ محرمة، حافظونَ لله، سمعهم هذه صفتهم الدائمة، ولا يضعونَ الشهوة إلى فيها أباحَ الله هم، وذلك بأمرين لا ثالثَ لها: الأول: الزواجُ الشرعي، فيحلُ للزوج أن يستمتعَ بزوجتهِ مَا اجتنبَ مَا حرمَ الله.

ويحلُ للزوجِ أن يتزوجَ واحدة، ولا لومَ عَلَيْهِ، وثانية ولا لومَ عَلَيْهِ، وثالثة ولا لومَ عَلَيْهِ، ورابعةَ ولا لومَ عَلَيْهِ، ورابعة ولا لومَ عَلَيْهِ.

قَالَ السلف؛ مَنْ لامَ مَنْ تزوجَ أربعًا مع القُدرةِ على العدل؛ فقد خالفَ شرعَ الله.

فهم يحفظونَ فروجهم إلا في هذين الطريقين:

الأول: الزواج.

والثاني: ملكُ اليمين بالطريق الشرعي، فيستمتعُ السيدُ بأمته، ولا حرجَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ، ولا لومَ عليهم لأنهم فعلوا مَا أباحَ اللهُ لهم.

وإنها اللومُ على مَنْ يطلبُ طريقًا لتفريغِ شهوته، أو يضعُ مقدمات الشهوة فِي غيرِ هذين الطريقين، مِنْ زنًا ولواطٍ ونظرٍ محرم، وغيرِ ذَلِكَ، فهؤ لاءِ هم الذين يستحقونَ اللوم، فيدخل فِي ذَلِكَ يا إخوة كُلُّ طريقِ غيرَ الزواج وملك اليمين.

ولذلك الذين يأتون ويضحكون على النَّاس ويقولون: لا دليلَ على تحريم الاستمناء في الكتاب وَالسُّنة، إما أنهم مُغرضون، وإما أن علمهم قاصر، فهذه الآية نصُّ فِي تحريم الاستمناء؛ لأن الله عَزَّ وَحفَ المؤمنين بأنهم حافظونَ لفروجهم، إذًا مَا هُوَ الأصل؟ الأصل حفظُ الفرج، واستثنى طريقين:

- الزواج.
- وملك اليمين.

(17)

ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ ﴾، مَنْ طلبَ مَا وراء هذين الطريقين، ﴿ فَأُولَبِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ [المؤمنون: ٧]، المعتدونَ المرتكبونَ للحرام المتجاوزونَ حدودَ الله.

سبحان الله يا إخوة تأملوا كيفَ سورَ الله الحلالَ بالحفظِ قبلهُ وبعده، فقبلهُ وصفَ المؤمنين بأنهم لفروجهم حافظون، ثُمَّ ذكرَ الحلال ثُمَّ قَالَ: ﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَيِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾، مَنْ طلبَ وراءَ هذين الطريقين: ﴿فَأُولَيِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾.

وَمِنْ صَفَاتِهِم: أنهم يحفظونَ الأمانةَ بأنواعِها، مِنْ دينٍ، فالدينُ عندهم أمانة، ورأسهُ وأعظمهُ التوحيد، فهم يحفظونَ دينهم، ويحفظونَ توحيدهم، وسِرهم لغيرهم، وعملٍ أو مالٍ أو غيرِ ذَلِكَ، ويؤدونها إلى أهلها، ويحفظونَ عهودهم مع الله عَزَّ وَجَلَّ، أو مع خلق الله، فَإِنهُم يعلمونَ أن اللهَ سيسألهم عَنْ عهودهم، فيحرصونَ على رعايتها حقَ رعايتها.

وَمِنْ إِيمَانِهِم: أنهم لا يشهدونَ إلا بالحقِ فِي حق اللهِ وفي حق الخلقِ، فهم لا يشهدون أن لَا إِلَهُ إِلَّا اللهُ وأن مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، ويشهدونَ بالحقِ للخلق، وإذا ترتبَ على شهادتهم الوصولُ إلى الحق لم يكتموها، بل سارعوا إلى أدائها مقيمينَ لها لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا يُجاملونَ فيها أحدًا مِنْ الخلق، فلا يكتمونَ مَا يعلمون مُجاملةً لقريبٍ أو حبيب، ولا يشهدونَ بها لا يعلمون، مُجاملةً لقريبٍ أو حبيب أو نكايةً في عدو.

وَمِنْ إيهانهم: أنهم يُحافظونَ على صلواتِهم، يُحافظونَ على أوقاتِها، ويُحافظونَ على شروطِها، ويحافظونَ على شروطِها، ويحافظونَ على خشوعها.

ولأهمية الصَّلَاة، عظمَ اللهُ شَانها فنكرها فِي أولِ الصفات، ثُمَّ ختمَ بها الصفات؛ فالصلاةُ أصلُ الخيرِ للموحد، وسببُ لكُلِّ خير، الصَّلَاة دافعةٌ للشر بإذنِ الله، جالبةٌ للخيرِ بإذن الله.

﴿ أُولَيِكَ ﴾ المؤمنون الشاكرونَ عندَ النعماء، الصابرونَ عِنْدَ الضراء، ﴿ فِي جَنَّاتٍ ﴾ وليسَ فِي جنةٍ واحدة، فِي بساتين عظيمة مُتعددة هي حدائق نضرة جميلة، لا يُمكنُ وصفُها، فمهما وصفها المخلوق أو تخيلها المخلوق لن يصلَ إلى حقيقتها، ولن تخطرَ على قلبه.

أولئك المؤمنون في تلك الجنات ﴿ مُكْرَمُونَ ﴾ بأنواع النعيم، نعيمٌ دائم لا مُنغصَ لَهُ، لا فِي طلبه، ولا فِي التنعم به، ولا فِي الخوفِ مِنْ القطاعه، ولا فِي الخوفِ مِنْ ضعفه، ولا فِي الخوفِ مِنْ التعودِ عَلَيْهِ، هم مُكرمون، أكرمهم اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بجميعِ أنواع الإكرام فِي جناتِ النعيم.

هَذَا التفسير الموضوعي الإجمالي الإيماني لهذه الآيات.

ثُمَّ نعودُ إلى التفسيرِ التفصيلي لهذه الآيات.

(الماتن)

قَالَ الإمامُ السعدي رَحِمَهُ اللهُ فِي قولهِ سبحانه: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ وَهَذَا الوصفُ للإنسانِ مِنْ حيثُ هُوَ، ووصفَ طبيعته الأصلية أنه هلوع.

(الشرح)

نعم، هَذَا عَلَيْهِ جماعة مِنْ المُفسرين: أن الإنسان هنا جنس الإنسان، فجنسُ الإنسان خُلقَ هلوعًا. وذهب جماعةٌ مِنْ المُفسرين منهم ابن جرير الطبري: إلى أن الإنسان هنا هُوَ الكافر، فهذه طبيعةُ الكافر، فيكون الاستثناء القادم منقطعًا على هَذَا المعنى.

لكن الظّاهِر وَاللَّهُ أَعْلَمُ هُو مَا ذكرهُ الشيخ: أن الإنسان هنا جنس الإنسان.

(خُلقَ هلوعًا)، الهلوع، قَالَ بعض المفسرين: إنه شديدُ الخوف مع شدةِ الحرص.

وَقَالَ بعضُ المفسرين: الهلوع هُوَ الضعيف.

وَقَالَ بعضُ المفسرين كما قَالَ الشيخ: إن الآيات التي تليها فسرت الهلوع؛ بأنهُ الَّذِي لا يصبرُ عِنْدَ البلاء، ولا يشكرُ عِنْدَ النعماء.

(الماتن)

وفسرَ الهلوعَ بقوله: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴾ فيجزعُ إن أصابهُ فقرٌ أو مرضٌ أو ذهابُ محبوبٍ لَهُ مِنْ مالٍ أو أهلِ أو ولد، ولا يستعملُ فِي ذلكَ الصبرَ والرضا بما قضا الله.

(الشرح)

بل هُوَ شديدُ الجزع، معنى الجذوع: شديدُ الجزع، الَّذِي يتضجر ويتظلم إذا وقعَ به البلاء مِنْ الله عَزَّ وَجَلَّ.

(الماتن)

﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ فلا يُنفقُ مما أتاهُ الله، ولا يشكرُ الله على نعمهِ وبره، فيجزعُ فِي الضراء، ويمنعُ فِي السراء.

(الشرح)

نعم، المنوع يا إخوة؛ هُوَ الَّذِي يمنعُ غيرهُ خيره. (المنوع: هُوَ الَّذِي يمنعُ غيرهُ خيرهُ)؛ فهذا يجمعُ بين أشرِ مَا يكونُ فِي الإنسان، عندهُ جزعٌ شديد، وعندهُ حرصٌ شديد، وقد قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «شرُ مَا فِي الرَجُلِّ: شُحٌ هالع، وجُبنٌ خالع» رواهُ أبو داود وصححهُ الألباني.

أشرُ صفات الرجل أن يكونَ شحيحًا حتى يُصبحَ هلوعًا خائفًا على المال، لو دخلَ عَلَيْهِ مائة ألف، وأنفقَ ريال، لما نظرَ إلى الَّذِي دخل، وإنها نظرَ إلى الَّذِي خرج، اليوم ذهب ريال، والمال إذا ذهب منه شيء نقص.

هَذَا معنى الشُّح الهالع.

(والجُبُن الخالع) هُوَ الخوفُ الشديد الَّذِي يخلع القلب، (خالع) يعني يخلع القلب مِنْ شدة الخوف.

فهاتان الصفتان: (الشُّح الهالع، والجُبُن الخالع) أشر الصفات التي يتصف بها الرجُل، كما أخبرَ النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَهَذَا متصفٌ بهاتين.

(الماتن)

﴿ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾ الموصوفينَ بتلك الأوصاف.

(الشرح)

﴿ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾ قَالَ بعضُ أهل العلم: إلا المُصلين المرادُ بهم: إلا المؤمنين، إلا المؤمنين، وذكرَ الصَّلاةَ لأنهُ لا إيانَ بلا صلاة.

﴿ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾ يعني إلا المؤمنين، والصلاة مِنْ الإيهان، ولا إيهانَ بلا صلاة عندَ جماعةً مِنْ أهل العلم وَهُوَ الراجح مِنْ أقوالِ أهل العلم، بدليل، وَهَذَا أحد الأدلة: أن الله يعني ذكر المؤمنين بالصلاة، فَقَالَ: ﴿ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾.

وقول الله: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾، مَا قَالَ: إلا الذين يُصلون، قَالَ: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾؛ ليدُلَ على أن هذه الصفة لازمةٌ لهم، لا تتخلف؛ فهي لازمةٌ لإيهانهم، وَمِنْ إيهانهم لا تتخلفُ أبدًا.

إلا المصلين الموصوفينَ بتلك الأوصاف.

(الشرح)

نعم، فإن الصَّلَاةَ ثُهذبُ طبعهم، وتُهذبُ نفوسهم، فالمُصلي يخرجُ عَنْ جنسِ الإنسان الَّذِي خُلقَ هلوعًا إلى جنس الإنسان المطمئن، إلى الإنسان الراضي، الشاكر، الصابر، فالصلاة سببُ لكُلِّ خير.

(الماتن)

فَإِنَهُم إذا مسهم الخيرُ شكروا اللهَ وأنفقوا مما خولهم الله، وإذا مسهم الشرُ صبروا واحتسبوا. وقولهُ فِي وصفهم: ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَايِمُونَ ﴾ أي مداومونَ عَلَيْهَا فِي أوقاتها بشروطِها ومكملاتها، وليسوا كمن لا يفعلها، أو يفعلها وقتًا دونَ وقت، أو يفعلُها على وجهٍ ناقص.

(الشرح)

نعم، (دائمون)، قَالَ بعضُ العلماء: المقصود بالصلاة هنا: الفرائض، و(دائمون) أنهم مداومونَ عَلَيْهَا، يؤدونها على وجهِ التمامِ مَا أمكنهم، فلا يُصلونَ ويخلون، ولا يتركونَ الصَّلَاةَ أبدًا، ويحرصونَ على تمامها.

وَقَالَ بعضُ المفسرين: (دائمون) معناها: ساكنونَ خاشعون؛ لأن الدائم هُوَ الساكن الَّذِي لا يجري، الماء الدائم هُوَ الماء الساكن الَّذِي لا يجري، فدائمون قالوا: معناها ساكنونَ خاشعونَ للهِ عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَ عُقبة بن عامر الجُهني رَحِمَهُ اللهُ: الدائمُ هُوَ الَّذِي إذا صلى لم يلتفت عَنْ يمينهِ ولا عَنْ شمالهِ. وقيلَ: (دائمون) أي يفعلونَ فرضها ويُكثرونَ نفلها؛ فهم يُكثرونَ مِنْ نوافل الصَّلَاة ويُحافظونَ على فروض، على الصلواتِ المفروضة.

والكُلُّ صحيح وتحتملهُ الآية، ولا تعارضَ بين المعاني فتُجمع فِي هذه الآية.

(الماتن)

(الشرح)

﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقُّ مَعْلُومٌ ﴾ مِنْ زكاةْ وصدقة.

نعم، ذهبَ جماعة مِنْ السلف إلى أن الحقَ المعلوم هنا هُوَ الزكاة؛ لأن الله وصفهُ بكونهِ مُعلومًا، والحق المعلوم بأجزائهِ وصفاته هُوَ الزكاة.

وذهب بعضُ السلف: إلى أنَ الحقَ المعلوم هنا: الحق الواجب وَهُوَ الزكاة، والنفقة الواجبة، كالنفقة على الوالدين، والنفقة على الزوجة، وصلة الرحم، أن يصلَ الإنسان رحمهُ بالمال، والصدقة على النّاس.

وعلى هَذَا؛ فمعنى (معلوم) أنه مضمون يُداومونَ عَلَيْهِ.

بعضُ الأخيار يا إخوة يجعل مِنْ مالهِ، مما لا يجب عَلَيْهِ، جُزءًا معلومًا لأهل الحاجة يصلهم بانتظام، فِي آخر الشهر، فِي أول الشهر يصلهم مبلغ، يتكفل بأُسر، وقد لا يعرفونه، وإنها يصلهم المال، فهم يعلمونه، يقولون: اليوم سيأتينا إِنْ شَاءَ اللهُ المبلغ، فَهُوَ معلومٌ عندَ النَّاس الذين يُعطونَ هَذَا المال. وعندي أن الثاني أقرب مِنْ الأول، فالحق المعلوم يشمل الزكاة والنفقة الواجبة، وكُل مَا يُخرج لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(الماتن)

﴿لِلسَّابِلِ ﴾ الَّذِي يتعرضُ للسؤال.

(الشرح)

نعم، لشدةِ حاجته يسأل النَّاس.

الأصل يا إخوة أن الإنسان السوي يصعب عَلَيْهِ أن يسأل النَّاس، لَكِنَّ بعض النَّاس مِنْ شدة حاجتِهم يضر أن يسأل النَّاس، لا طريقَ عنده إلا أن يسأل، فهذا هُوَ السائل.

(الماتن)

﴿ وَالْمَحْرُومِ ﴾ وَهُوَ المسكينُ الَّذِي لا يسألُ النَّاسَ فيُعطوه، ولا يُفطنُ لَهُ فيُتصدقُ عَلَيْهِ.

(الشرح)

نعم، المحروم قِيلَ كما قَالَ الشيخ: هُوَ المسكين الَّذِي لا يجدُ كفايته، لكنه مُتعفف، لا يُخبرُ النَّاس، وهؤلاء يا إخوة مِنْ الإيمان أن نتفقدهم، مِنْ جيرانِنا وأقاربِنا وإخوانِنا، نتفقدهم، ونتفقد أحوالهم، ونوصل إليهم؛ لأنهم لن يُخبروا ولن يسألوا.

وقالَ بعضُ المفسرين: (المحرومُ) هُوَ الفقيرُ الَّذِي حُرمَ الغِني فَهُوَ لا يجدُ شَيْئًا.

وَقَالَ بعضُ المفسرين: (المحروم) هُوَ الَّذِي يعمل ويبذل الأسباب، لَكِنَّ لا يُحصلُ مَا يكفيه، مع عملهِ وبذلهِ الجُهد، مَا يُحصل مَا يكفيه.

والكُل صحيح، فالكل يدخل فِي معنى المحروم.

(الماتن)

﴿ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾ أي يؤمنونَ بما أخبرَ به، وأخبرت به الرُسُلُ مِنْ الجزاءِ والبعث، ويتيقنونَ ذَلِكَ، فيستعدونَ للآخرة، ويسمعونَ لها سعيها.

والتصديقُ بيوم الدين يلزمُ منهُ التصديقُ بالرُّسُلِّ وبما جاءوا به مِنْ الكُتب.

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴾، أي: خائفونَ وجلون، فيتركونَ لذلكَ كُلَّ مَا يُقربهم مِنْ عذاب الله.

(الشرح)

نعم يا إخوة، الشفقة خوفٌ خاص، وَهُوَ الخوفُ مِنْ معلوم، الخوف مِنْ شيء تعلمه؛ هَذَا يُسمى شفقة، فهم مُشفقونَ مِنْ عذاب الله؛ لأنهم علموا عذاب الله، وآمنوا بعذاب الله، فهم مُشفقونَ حِنْ عذاب الله عَزَّ وَجَلَّ

(الماتن)

﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴾ أي هُوَ العذابُ الَّذِي يُخشى ويُحذر.

(الشرح)

وَلَا بُدَّ مِنْ أَن يَخَافَهُ الإنسان فِي الدُّنْيَا؛ لأَن كُلَّ بني آدم خطاء، ولا يأمن أحد على نفسهِ الخطأ؛ فينبغي أن يبقى المؤمنُ خائفًا مِنْ الله فِي الدُّنْيَا، خائفًا مِنْ عذاب الله؛ لأنه:

أولًا: يُدرك أن كُلُّ بني آدم خطاء.

وثانيًا: لا يدري مَا يكون مِنْ أحواله؛ فإن النَّاس تتقلب، والقلوب تتقلب، فَهُوَ يَخافُ مِنْ عذاب اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

ومَنْ خافَ الله فِي الدُّنْيَا، وخافَ عذاب الله فِي الدُّنْيَا، أمنه الله يوم القيامة، فقد أخبرنا رسولنا صلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أن الله قَالَ: وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أمنين، إذا خافني فِي الدُّنْيَا أمنته يوم القيامة، وإذا أمنني فِي الدُّنْيَا أخفته يوم القيامة». رواه ابن المبارك وابن حبان، والطبراني، وصححه الألباني.

فَمِنْ خافَ الله فِي الدُّنْيَا، وافَ عذاب الله فِي الدُّنْيَا، أمنهُ الله يوم القيامة، أما مَنْ أمنَ الله وأساءَ العمل؛ فإن الله يُخوفهُ يومَ القيامة.

(الماتن)

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾ فلا يطؤونَ بها وطًا محرمًا مِنْ زِنًا أو لواطٍ أو وطأٍ فِي دُبرٍ أو حيضٍ ونحوِ ذَلِكَ، ويحفظونها أيضًا مِنْ النظرِ إليها ومسِها ممن لا يجوزُ لَهُ ذَلِكَ، ويتركونَ أيضًا وسائلَ المُحرمات الداعيةِ لفعل الفاحشة.

(الشرح)

لأن حفظ الفرج لا يكون إلا بهذا، لابد مِنْ اجتنابِ وسائل الحرام، وَلَا بُدَّ مِنْ اجتنابِ مُقدمات الحرام مما هُوَ حرام، ولو إلى الصور ونحو ذَلِكَ مما يُهيجُ الشهوة، وَلَا بُدَّ مِنْ اجتنابِ فعل الحرام، ولو إلى الصور ونحو ذَلِكَ مما يُهيجُ الشهوة، وَلَا بُدَّ مِنْ اجتنابِ فعل الحرام ومقدمات الحرام زِنا، هُوَ زِنا الأكبر هُوَ فعلُ الفاحشة، فالنظرُ إلى الحرام زِنا، هُوَ زِنا العينين، وسماعُ الحرام الَّذِي يُهيجُ الفاحشة زِنا؛ هُوَ زِنا الأُذنين، والسعيُ زِنا الرجلين، والزِنا الأكبر: هُو مَا يكونُ بالفرج الَّذِي يُصدقُ ذَلِكَ أو يُكذبه.

(الماتن)

﴿ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾ أي سُرياتِهم، ﴿ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ فِي وطئنَ فِي المحل الَّذِي هُوَ محلُ الحرث.

(الشرح)

قَالَ العلماء: يؤخذُ مِنْ هَذَا أَن مَنْ فعلَ حلالًا لا يُلام، فلا لومَ على مَنْ فعلَ مَا اباحهُ اللهُ لَهُ، فلا يُلامُ، ولا يُثرِبُ عَلَيْهِ إذا فعلَ الحلال.

﴿ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ ﴾ أي غيرَ الزوجةِ وملك اليمين.

(الشرح)

أي مَنْ طلبَ استفراغَ الشهوة بغيرِ الزواجِ وملك اليمين.

(الماتن)

﴿ فَأُولَيِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ أي: المتجاوزونَ مَا أحلَ اللهُ إلى مَا حرمَ الله.

(الشرح)

فهم متجاوزونَ لحدود الله، مُعتدونَ فِي فعلهم.

ودلت هذه الآيةُ علىٰ تحريمِ نكاح المُتعة؛ لكونِها غيرَ زوجةٍ مقصودة، ولا مِلكِ يمين. (الشرح)

نعم، أُمنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا احتجت على تحريم نكاح المتعة بهذه الآية، وكذلك تدل على تحريم غير ذَلِكَ مما ليسَ زواجًا شرعيًا، ولا ملكَ يمين شرعيًا كالاستمناءِ وغيره.

(الماتن)

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ أي: مراعونَ لها محافظونَ مجتهدونَ علىٰ أدائها والوفاءِ بها.

(الشرح)

فهم إذا أُتمِنوا لم يخونوا، وإذا عاهدوا لم يغدروا، إذا أُتمنوا لم يخونوا؛ فليست الخيانةُ وصفًا لهم، وإذا عاهدوا لم يغدروا، فليسَ الغدرُ مِنْ صفاتهم.

(الماتن)

قَالَ: وَهَذَا شَاملٌ لجميعِ الأماناتِ التي بين العبدِ وبين ربه، كالتكاليف السِريةِ التي لا يطلعُ عَلَيْهَا إلا الله.

(الشرح)

نعم، بعض العلماء يا إخوة يقولون: إن الدين ينقسم إلى قسمين:

- شعائر.
- وأمانات.

أما الشعائر: فهي الأمور الظاهرة التي يطلعُ عَلَيْهَا النَّاس، مثل: صلاة الجماعة، مثل: جلوسنا في المجلس، مثل: تحديثي أنا، هَذَا أمر يطلع عَلَيْهِ النَّاس، يسمعهُ النَّاس؛ فهذا يُسمى شعيرة.

والقسم الثاني: أمانات، وهي التي لا يطلعُ عَلَيْهَا النَّاس، كالنيات.

الآن نحنُ جلوس، لا يعلمُ نياتنا إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهي أمانة، نيتُكَ فِي قلبك أمانة، مُعاملة الرجل للناس شعيرة.

ولذلك بعض النَّاس يا إخوة ينجح فِي الشعيرة ويفشل فِي الأمانة، بعض النَّاس فِي معاملة النَّاس كما يقولون: عسل، مِنْ ألطف النَّاس، لَكِنَّ مَا إن يدخل البيت ويغلق الباب حتى يُصبحَ أسدًا ونحلًا

يقرص، غضوب، لجوج، كثير الاعتراض، هَذَا نجح فِي الشعيرة التي أمام النَّاس، لَكِنَّ فشل فِي الأمانة التي لا يطلع عَلَيْهَا النَّاس.

إذًا بعض أهل العلم يقولون: إن الدين شعائر وأمانات، والشيخ يُشير إلى هَذَا، يقول: مِنْ الأمانة: التكاليف السِرية التي لا يطلع عَلَيْهَا إلا الله.

أيضًا منها الصوم، الصوم أمانة، ولذلك قَالَ الله: «إلا الصوم فإنه لي».

والحَقُّ أن الدينَ كُلَّهُ أمانة، وأن رأسَ الأماناتِ على الإطلاق التوحيد، أعظم أمانة عندنا التوحيد، وأعظم خيانة على الإطلاق الخيانة في التوحيد.

والدينُ كُلُّهُ أمانة، والله سيسألنا عَنْ هذه الأمانة.

(الماتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: والأماناتِ التي بين العبدِ وبين الخلقِ فِي الأموالِ والأسرار، وذلك العهدُ شاملٌ للعهدِ اللّذِي عاهدَ عَلَيْهِ الله، والعهد اللّذِي عاهدَ الخلق عَلَيْهِ؛ فإن العهدَ يُسألُ عنه العبد هل قامَ به ووفاه؟ أم رفضهُ وخانهُ فلم يقم به.

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَابِمُونَ ﴾ أي لا يشهدونَ إلا بما يعلمونهُ مِنْ غيرِ زيادةٍ ولا نقصٍ ولا كتمان، ولا يُحابي فيها قريبًا ولا صديقًا ونحوه، ويكونُ القصدُ بإقامتها وجه الله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ﴾ [الطلاق: ٢]، ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ [النساء: ١٣٥].

(الشرح)

هَذَا على أن المُرادَ بالشهادة هنا: شهادةُ الخلقِ للخلق، تشهدُ بهال، أو نكاح أو نحو ذَلِكَ.

وَقَالَ بعضُ السلف، وَهَذَا مذكورٌ عَنْ ابن عباسٍ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا: الشهادةُ هنا شهادةُ أن لا إلهَ إلا الله، وأن محمدًا رسولُ الله، فهم قائمونَ بها ظاهرًا وباطنًا، يعتقدونَها ويقولونَها ويعملونَ مقتضاها. (الماتن)

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾.

(الشرح)

انظروا يا إخوة، إذا تأملون في الآيات، نجد أن ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَالَ: ﴿ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۞ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَايِمُونَ ۞ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقُّ مَعْلُومٌ ۞ لِلسَّايِلِ وَالْمَحْرُومِ ۞ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَايِمُونَ ۞ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقُّ مَعْلُومٌ ۞ لِلسَّايِلِ وَالْمَحْرُومِ ۞ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَايْمونَ ۞ وَالَّذِينَ ﴾ فكررَ الاسمَ الموصول مع كُلِّ وصفٍ، مع أنه يصحُ لُغةً أن يُقال: الذين هم على صلاتهم دائمون، وفي أموا لهم حقٌ معلوم، لكنَ تكرار الاسم الموصول لفائدة.

يا إخوة: ليسَ فِي القُرآنِ حرفٌ زائدةٌ لا فائدة لَهُ، تكرار الاسم الموصول للدلالةِ على أنَ كُلَّ وصفٍ مِنْ هذه الأوصاف يستحقُ أن يوصف به المؤمن بانفراده، فهي ليست أوصافًا تابعة فقط، هي تابعة للتوحيد، ولكنَ كُلَّ وصفٍ يصلح أن يكونَ مُستقلًا ويُذكرُ وحدهُ.

ولذلك يقولُ العلماء: إن هذه الأوصاف مكارمُ أوصاف المؤمنين، ولذلك كان جزاءُ أهلها الإكرام.

(الماتن)

﴿ أُولَيِكَ ﴾ أي الموصوفونَ بتلك الصفات.

﴿ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ۞ ﴾ أي قد أوصلَ اللهُ لهم مِنْ الكرامِة والنعيم المُقيم، مَا تشتهيهِ الأنفس، وتلذُ الأعين، وهم فيها خالدون.

وحاصلُ هَذَا: أن الله وصف أهل السعادة والخير بهذه الأوصف الكاملة والأخلاق المرضية الفاضلة، مِنْ العبادات البدنية؛ كالصلاة والمداومة عَلَيْهَا، والأعمال القلبية، كخشية الله الداعية لكل خير، والعبادات المالية، والعقائد النافعة، والأخلاق الفاضلة، ومعاملة الله ومعاملة خلقه أحسنَ مُعاملة مِنْ انصافهم وحفظ حقوقهم وأماناتِهم، الفعة التامة بحفظ الفروج ما يكرهه الله تَعَالىَ.

(الشرح)

أحسن، نقفُ عِنْدَ هذه النُقطة، ونُكملُ غدًا إن شاء اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، ودرسنا غدًا سيكونُ فِي كُرسينا المعتاد إِنْ شَاءَ اللهُ؛ نقلنا الدرس اليوم إلى هَذَا الكُرسي؛ لأن الشيخَ عبد الرزاق حفظهُ الله يعني أعلنَ



أنه لن يُقيمَ الدرس، ورفقًا بالناس بسبب المطر؛ لأن ذاك المكان فيه مشقة على النَّاس في وقت نزول المطر.

لَكِنّ الدرس غدًا إِنْ شَاءَ اللهُ سيكون بعد العصر فِي الكُرسي المعتاد، لعلنا نُجيب عَنْ شيء مِنْ الأسئلة.

(الأسئلة)

السؤال: جزاكم الله خيرًا، وبارك فيكم، ونفعنا الله بها سمعنا. أحسنَ الله إليكم، هَذَا يقول: أيها أفضل: أن أُصلى التراويحَ والتهجد، أم أكتفى بأحدهما؟

الجواب: أيها أفضل: أن أُصلي التراويحَ والتهجد، أو أكتفي بأحدهما؟

مَنْ قالَ لك إنهم صلاتان! إنها صلاةٌ واحدة، يُجتهدُ فيها فِي العشر الأواخر؛ لأن سُنة النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان يجعلُ قيامهُ فِي العشر الأواخر زائدًا عَنْ قيامهِ فِي العشرين الأول.

فإذا دخلت العشر أحيا ليلهُ.

وبالمناسبة يا إخوة: هناك فرق بين إحياء الليل وقيام الليل.

قيام الليل لا يكونَ إلا بالصلاة.

وإحياء الليل يكون بالصلاة، والدعاء، والذكر وقراءة القُرآن، فلا يلزم مِنْ قولِ أُمنا عائشة رَضِيَ وَإِحياء الليل يكون بالصلاة، والدعاء، والذكر وقراءة القُرآن، فلا يلزم مِنْ قولِ أُمنا عائشة رَضِيَ اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كانت إذا دخلت العشر أحيا ليله، أنه يقوم الليل كُله، لا، ولكن كان يجتهدُ فِي العبادة فِي الليلِ كُلّه، ولكن لا شك أنه كان يُطيلُ القيامَ فِي العشر الأواخر، فقد صلى بأصحابهِ ليلة الثالث والعشرين إلى ثُلث الليل، وصلى بهم ليلة الخامس والعشرين إلى نصف الليل، وصلى بهم ليلة السابع والعشرين إلى قُرب الفجر، مِنْ بعد العشاء إلى قُرب الفجر.

فالسُنةُ للمؤمن أن يكونَ قيامهُ فِي العشر الأواخر مختلفًا عَنْ قيامهِ فِي العشرينَ الأول، وَهَذَا الَّذِي يقع، والتسمية فقط للتمييز، سُميَّ تهجدًا لأنه يكون فِي آخر الليل، وإلا فالكُلُّ قيام، ولذلكَ لا يوترونَ بعدَ التراويح؛ لأن الصَّلَاة لازالت قائمة، وإنها يستريحونَ بينهها، ثُمَّ يُكملونَ الصَّلَاة.

ولذلك مَنْ أراد أن يفوزَ بها وردَ فِي الحديث: «مَنْ قامَ مع إمامهِ حتىٰ ينصرف؛ كُتبَ لَهُ قيامُ ليلةٍ أو ليلهِ»، فليُصلي مع الإمام أولِ القيام إلى أن يوترَ فِي آخره، وَهَذَا هُوَ السُّنة، ولا أعلمُ سُنةً لمن يُصلي مع الإمام إلا أن يبقى معهُ حتى ينصرف، هذه السُّنةُ الصريحةُ الصحيحة، ولا أعلمُ سُنةً لمن صلى مع الإمام إلا هَذَا.

لا أعلم أن السُّنة للمأموم أن يتركَ إمامهُ يُصلي وينصرف هُوَ، نعم يجوز لَهُ، لَكِنَّ أن يُقال: إنها السُّنة، مَا نعرفُ هذه السُّنة، السُّنة، مَنْ قامَ مع إمامهِ حتى ينصرف، كُتبَ لَهُ أجرُ قيام ليلة.

والذي عَلَيْهِ السلف: أن القيامَ لا حدَ لَهُ محدود، فقد أدركَ الإمامُ مالك رَحِمَهُ اللهُ أهلَ المدينة في زمنه يُصلونَ مِنْ أزمانٍ متطاولة ثلاثًا وعشرينَ ركعة، وَهذَا يعضد الرواية الصحيحة أنه عُمر رَضِيَ اللّهُ عَنْه فِي آخر الأمر جمعَ النّاس على ثلاثٍ وعشرينَ ركعة، وهذه الرواية ليست شاذة؛ لأنها لا تُخالفُ رواية الإحدى عشرة ركعة؛ بل كانَ ذَلِكَ فِي أول الأمر، ثُمَّ جُمعَ النّاس على ثلاثٍ وعشرين، ثُمَّ استمرَ أهلُ المدينة على صلاةِ التراويح ثلاثًا وعشرين ركعة إلى زمن الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ.

والإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ يذكرُ أنه أدركَ أهلَ مكة مِنْ أزمانٍ متطاولة يُصلونَ ستًا وثلاثينَ ركعة، ثُمَّ يوترون، فهذا فعلُ السلف فِي المدينة، وفعلُ السلفِ فِي مكة.

وتتابعَ عَلَيْهِ العلماء، وأقرهُ العلماء.

نعم، الكمالُ لو أمكنَ أن تُصلى إحدى عشرةَ ركعة مع تطويل يمتد مع الوقت، هَذَا أكمل مَا يكون، ولكن صلاة الليل مثنى مثنى إلى أن يوترَ الإنسان.

السؤال: أحسنَ اللهُ إليكم، هذه أُخت أسلمت قبل تسع سنوات، ووالداها لازلا كافرين، ويُريدان زيارتها فِي نهارِ رمضان؟

الجواب: الكُفارُ مخاطبونَ بفروع الشريعةِ تكليفًا، فلا يجوزُ للمؤمن أن يُعينَ الكافر على الفِطر؛ لأنه لا يمنعهُ مِنْ الفِطرِ.

يعني يا إخوة لو كان عِنْدَ الإنسان خادمة كافرة، وأرادت أن تُفطر؛ فإنه لا يمنعها، طبخت لنفسِها، مَا يمنعها.

لَكِنَّ قالت لَهُ: أحضر لي كذا وكذا لأطبخ؟ مَا يُحضر لها.

قالت لَهُ: أحضر لي مِنْ المطعم لآكل؟ مَا يُحضرُ لها؛ لأن الكُفار مُخاطبون بفروع الشريعة.

فإذا جاءها والداها، فها تُقدم لهم طعامًا ولا شرابًا.

لَكِنّ لو قاموا إلى الثلاجة وأخذوا مِنْ الثَّلاثَة مَا تمنعهم، ولو جاءوا معهم بحلوى أو شيء، مَا تمنعهم مِنْ الأكل، لَكِنّ تُبينُ لهم أنها مَا تأكل لأنها مُسلمة صائمة.

السؤال: أحسنَ الله إليكم، يقول: امرأة بعد عمرتها مرضت مرضًا شديدًا، وتعافت بعدَ يومين، وبعدما تعافت جامعها زوجُها ونسيت أن تأخذَ مِنْ شعر رأسِها، فهاذا عَلَيْهَا؟



الجواب: عَلَيْهَا أَن تذبح شاة، تركت واجبًا، وَهُوَ التقصير؛ لأنها امرأة، وَهُوَ التقصير. ومَنْ تركَ واجبًا فعليه دم. واجبًا فعليه دم، مَنْ تركَ شَيْئًا مِنْ نُسكه أو نسيه فعليه دم.

فهذه مَا دام أنها جُمِعت؛ فإنا نقول: يجب عَلَيْهَا دم؛ لأن القول بعدم هَذَا؛ فيه مشقة شديدة، وَهَذَا القول، قولٌ صحيح، فنقول: خلاص، قد تركت التقصير، وعليها دم يُذبح فِي مكة، ويوزع على فُقراء مكة، فإن كانت فقيرة لا تملكُ قيمة الدم فإنها تصوم عشر أيام فِي أي مكان، مُفرقة أو مُتتابعة.

السؤال: أحسنَ اللهُ إليكم، هَذَا يقول: هل يُشترط حو لان الحول فِي زكاة عروض التجارة؟

الجواب: نعم، يا إخوة انتبهوا، عروضُ التجارة مال، ولذلك عروض التجارة تُضافُ إلى مالك النّجواب: نعم، يا إخوة انتبهوا، عروض التجارة؛ فإن الحول يبقى الأصلي، يعني يا إخوة لو أكرمني الله وكان عندي مائة ألف، -والله على كُلِّ شيء قدير، سبحانه وتعالى - كان عندي مائة ألف، اكتسبتُها في شهر مُحرم، حولهُا في شهر محرم.

فِي شهر شوال: اشتريتُ بها أرضًا بقصد أن أبيعها، صارت ماذا؟ عروض تجارة، مِنْ أين يبدأ حولهًا؟ مِنْ محرم، ليسَ مِنْ يوم الشراء، انتبهوا إلى هَذَا؛ لأن هَذَا يُخطئ فيه كثير مِنْ النَّاس، عروض التجارة يبقى على أصل المال، هَذَا المال الَّذِي اشتريتَ به عروض التجارة، مَا حولهُ؟ هُوَ حول عروض التجارة.

فكما قُلت لكم: فِي محرم اكتسبتُ مائة ألف، فِي شوال اشتريتُ أرضًا لأبيعها، جاء محرم: أسأل عَنْ قيمتها فِي السوق؟ قالوا: قيمتها صارت مائة وخمسين ألف؛ أُزكيها. قالوا: صارت ثمانين ألف؛ أُزكيها.

واضح يا إخوة؟ لَا بُدَّ مِنْ حولان الحول، ولكن حول عروض التجارة هُوَ حولُ أصل المال.

أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يُفقهني وإياكم في دينه، وأن يجعلنا جميعًا مفاتيحًا للخير، مغاليق للشر، وأن يُصلح أحوالنا أَجْمَعِين، وأن يُعينا حياةً طيبة، وأن يتقبلَ مِنا، وأن يُعيننا على الصيامِ والقيام، وأن يجعلنا مِنْ عبادهِ السابقينَ في العشر الأواخر، وأن يجعلنا في العشر بعافيةٍ وأمنٍ وإيهان، ونشاطٍ واجتهادٍ في العبادة.

واللهُ تَعَالَى أَعْلَى وَأَعْلَمُ، وَصَلَّ اللهُ عَلَى نَبِيبِّنَا وَسَلَّم.





جزء تبارك والتعليق على تفسير السعدي - رحمه (لله -



لفضيلة الشيخ /

أ.د: سلّيمان الرحيلي

- حَفِظَهُ (للهُ -

الْسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْصَّلَاةُ وَالْسَّلَامُ الأَتمانِ الْأَكملانِ على المبعوثِ رحمةً للعالمين، وعلى آلهِ وصحبهِ أَجْمَعِين.

أَمَّا بَعْدُ:

فمعاشر الفضلاء؛ بعد ساعتين وشيء من الدقائق تدخل علينا العشر الأواخر من رمضان، العشر المباركات، العشر الآتي هن أفضل ليالي العام على الإطلاق، العشر التي فيها ليلة شه هي خير من ألف شهر، هي ليلة شريفة، عظيمة القدر ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿ [الدخان: ٤]، فيها تقدر مقادير العام الذي يليها إلى مثلها، هي للمؤمن المجتهد فيها في بركاتها، وأجورها، خير له من ألف شهر.

وهذه الليلة المباركة أخبرنا الله -عزَّ وجلَّ - أنها في رمضان؛ حيث قال -سبحانه -: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ اللَّهِ عَلَى اللّٰهِ عَنَّ وجلَّ - أنها في رمضان؛ حيث قال -سبحانه -: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴾ [القدر: ١]، وقال -سبحانه -: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴾ [الدخان: ٣].

وأخبر جبريل -عليه السلام- نبينا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنها في العشر-الأواخر من رمضان، وجاء: وأرشدنا حبيبنا ونبينا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى التهاسها في العشر-الأواخر من رمضان، وجاء: «التمسوها في العشر الأواخر، فإنْ ضعُفَ أحدُكُم أو عجزَ فلا يُغلَّبنَ على السَّبع البَواقِي». وجاء التهاسها في الأوتار من العشر الأواخر من رمضان.

لكن الأوتار ما هي هل هي باعتبار أول الشهر؛ فتكون الليلة ليلة إحدى وعشرين وهي وترية، أم باعتبار آخر الشهر، وآخر الشهر مجهول لنا، فقد يكون الشهر ثلاثين يومًا، وقد يكون الشهر تسعة وعشرين يومًا، وقد قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «التَمِسوها في العَشرِ الأواخِرِ مِن رَمَضانَ؛ في تاسِعةٍ تَبقىٰ، وفي سابِعةٍ تَبقىٰ، وفي خامِسةٍ تَبقىٰ»، أي: باعتبار آخر الشهر؛ لكن إذا كان الشهر ثلاثين يومًا ستختلف الليلة الوترية عن كون الشهر تسعة وعشرين يومًا؛ ولذلك الحزم أن يجتهد المؤمن في العشر كلها من أولها إلى آخرها، يغتنم كل لحظة فيها، فإن كل ليلة من ليالي رمضان يحتمل أن تكون العشر كلها من أولها إلى آخرها، يغتنم كل لحظة فيها، فإن كل ليلة من ليالي رمضان يحتمل أن تكون



ليلة القدر فيها إلى آخر ليلة من رمضان، وقد قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «التَمِسوها فِي آخِر لَيْلَةِ مِنْ رَمَضَانَ».

فالحازم الناصح لنفسه يجتهد في العشر - كلها من أول دخولها إلى آخر لحظة فيها، وهو بذلك يقتدي بالنبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يجتهد في العشر ما لا يجتهد في غيرهم، كان صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا دخلت العشر شد مئزره «كان النبيُّ صَلَّى الله عليه وسلَّمَ إذا وضيب في العبادة، واعتزل النساء «وأَحْيَا لَيْلَهُ»، فلا يخلط دَخَلَ العَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ»، أي: جدَّ واجتهد ونصب في العبادة، واعتزل النساء «وأَحْيَا لَيْلَهُ»، فلا يخلط ليله بنوم واجتهاد، وإنها ليله كله في عبادة الله -سبحانه وتعالى-، يذكر الله، يتلو القرآن، يدعو الله، يقوم ويصلى الليل كله في عبادة من أوله إلى آخره.

«وأَيْقَظَ أَهْلَهُ»، فيوقظ، ويأمرهم بالاجتهاد في هذه العشر.

فمن السنن التي تكاد تكون مهجورة: أن يوقظ الرجل أهله، وأن يحث أولاده وبناته على الاجتهاد في العشر الأواخر، وأن يتفقدهم في ذلك.

وأنت -أيها المؤمن المبارك- قد بلغك الله -عزَّ وجلَّ - هذه العشر، وأسأل الله -عزَّ وجلَّ - كما أقبل بها علينا أن يُقبل بقلوبنا عليه فيها، وأن يعيننا على الاجتهاد فيها، وأن يبلغنا تمامها ونحن في صحة وعافية وأمن وإيان.

أنت -يا أُخِي - قد بلغت هذه العشر؛ ولكنك لا تدري ما يُحدث بعد ذلك لك، فقد تكون هذه العشر. آخر عشر. مباركات من العشر. الأواخر من رمضان تعيشها، فاجتهد فيها كأنها آخر لحظات العمر، في كل ليلة اعمل كأن هذه الليلة آخر ليلة في حياتك، وأنك ستقبض بعدها، واجتهد، ثم اجتهد حتى تتم العشر.، وسَلِ الله القبول، وأن يعيد عليك هذه العشر. أعوامًا عديدة، وأزمنة مديدة، وأنت في عافية وحال رشيدة، وما تدري -يا عبد الله - ربها كان اجتهادك في هذه العشر. المرجح لكفة حسناتك عندما توزن الأعهال، فيكون ذلك في نجاتك من النار، ودخولك الحنة.

فالله الله -معاشر الإخوة - في الاجتهاد في هذه العشر، ومن أراد الاعتكاف سواءً أراد اعتكاف العشر كلها أو أراد اعتكاف الليلة فقط، أو أراد اعتكاف الليلة والنهار فإنه عند غروب شمس اليوم

يكون في المسجد ناويًا الاعتكاف، فإن نوى الليلة فقط فإنه إذا صلى الفجر مع الإمام خرج، وإن نوى الليلة ونهارها فإنه إذا أفطر غدًا وصلى المغرب خرج، وإن نوى العشر. كلها فإنه يبقى إلى أن يُعلن دخول ليلة العيد، والأفضل والأكمل له أن يبقى إلى أن يصلي فجر يوم العيد، وأن لا يخرج من معتكفه قبل ذلك.

وهل يذهب إلى صلاة العيد بثوب اعتكافه؟ ذهب بعض العلماء إلى هذا، وقالوا: الأفضل أن يذهب إلى صلاة العيد بثوب اعتكافه.

وذهب بعض العلماء: إلى أنه يخرج إلى بيته، ويغتسل للعيد، ثم يذهب إلى صلاة العيد، وهذا عندي أقرب -والله أعلم-.

قوصيتي لنفسي وإخواني جميعًا: أن نغتنم هذه الأوقات الفاضلة، لعلنا أن نفوز فوزًا عظيمًا بتحصيل الأجور العظيمة المباركة في هذه الليالي المباركة.

ثم -يا معاشر الفضلاء- إن درسنا -كعهدكم به- في تفسير جزء تبارك، ولا زلنا في تفسير سورة المعارج، ونختم تفسيرها بهذا المجلس -إن شاء الله عزَّ وجلّ-، فيتفضل الابن نور الدين - وفقه الله والسامعين - يقرأ لنا الآيات الأخيرة من هذه السورة.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

{فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ (٣٦) عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ (٣٧) أَيَطْمَعُ كُلُّ الْمُشَارِقِ الْمُرْيُ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ (٣٨) كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ (٣٩) فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ الْمُغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (٤٠) عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٤١) فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَالْمَعَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (٤٠) عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٤١) فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَالْمَعَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (٤٠) عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٤١) فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٤٢) يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٤٢) يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ فَيْمُ فِي فَلُولَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (٤٤) وَنُ مُنْ مُنْ مُقَلُّمْ ذِلَةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (٤٤) وَلَاكُ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (٤٤) وَلَكُ الْمُعارِجِ: ٣٦ – ٤٤].

في هذه الآيات العظيمة ينكر الله -عزَّ وجلَّ - حال الكفار مع رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأمانيهم الباطلة، فأي شيء دفع هؤلاء الكفار أهل الغرور إلى أن يسير بعضهم مسرعين نحوك أيها الرسول، ويتجمعوا حولك عن يمينك وعن شهالك، وهم على شكل حلقات متعددة، متفرقة،

يسمعون قراءتك للقرآن وهو لا يؤمنون به، ولا يريدون أن يؤمنون به، وإنها دعاهم إلى ذلك الكفر والبطر والغرور، فيستمعون إليك لا لينتفعوا، ولا ليؤمنوا، وإنها ليسخروا منك، ولعلهم يجدون كلمة يسخرون بها منك.

وعلى عكس هؤلاء يفر بعضهم ويشردون عنك يمينًا وشمالًا، ويجلسون بعيدين عنك في جماعات متفرقة، يخافون أن يسمعوا كلامك.

فهم معك على فريقين:

الأول: يسرع إليك لا ليؤمن بك، وإنها ليهزئ بك.

والثاني: فريق يسرع عنك؛ حتى لا يسمع كلامك.

وفي الحالين هم إذا رأوا المؤمنين، وأكثرهم من الضعفاء، قالوا كبرًا وبطرًا: لئن أُدخل هؤلاء الجنة، فإنّا سنسبقهم إليها، فغنهم ضعفاء ونحن أشراف أقوياء، فنحن أولى بالجنة منهم، فهؤلاء المؤمنون الضعفاء إن كان سيدخلون الجنة، وإلا فهم يكذبون؛ لكن إن كانوا سيدخلون الجنة، فنحن سنسبقهم إلى تلك الجنة، فهم مع كفرهم يتمنون الأماني الباطلة، فيطمع كل امرئ منهم أن يُدخل جنة النعيم لا لإيهانهم، وإنها لأنهم أشراف أقوياء.

كلا ليس الأمر كما يزعمون، وليس الأمر بأمانيهم الباطلة، وأطماعهم، فإن الله حرَّم الجنة على الكافرين، وأوجب عليهم النار، ولن ينفعهم شرفهم، ولا قوتهم شيئًا، فهم مما خُلقوا؟ خلقوا من ماء مهين ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصَّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ [الطارق: ٧].

فهم في حقيقة أمرهم ضعفاء، فأصلهم هو هذا، فلا ينفعهم شرف ولا قوة، ولا يستطيع أحد منهم أو كلهم أن يخلق واحدًا منهم، وإنها الذي خلقهم الله، وهم مقرون بذلك، وأن الله -سبحانه وتعالى-، فليس لهم إلا النار، وتعالى- هو الذي خلقهم، ومع ذلك كفروا به، وأشركوا به -سبحانه وتعالى-، فليس لهم إلا النار، مع الذلة والمهانة.

وأقسم ربنا -جلَّ في علاه- بمشارق الشمس والكواكب ومغاربها الذي يُسيرها ويدبرها - سبحانه وتعالى-، هو الذي خلق السهاء، وخلق الكواكب فيها، وجعل لها مشارق، وجعل لها مغارب، تسير فيها بانتظام، لا يحصل لها انحراف، وإنها تخرج الشمس من المشرق، وتغرب من

المغرب، ولها مشارق متعددة، ولها مغارب متعددة، وهكذا كل الكواكب تسير بأمر الله، سخرها الله -سبحانه وتعالى - بقدرة محيطة، فخلقها، وخلق السموات، وخلق الأرض التي هي أكبر من خلق الناس، وسخرها وسيرها -سبحانه وتعالى -.

أقسم الله بهذا على أنه -سبحانه- قادر على أن يهلك هؤلاء الكفار في لحظة، ويأتي بأناس خير منهم، يعبدون الله -عزَّ وجلَّ-، ولا يشركون به، ولو شاء الله أن يُهلكهم لما أعجزه ذلك، ولا ما فات واحد منهم ربه؛ بل يصيبهم ذلك في لحظة عظيمة.

فإذا كان الله -و لا شك- قادرًا على الكواكب العظيمة، وقادرًا على أن يهلكهم في الدنيا في لحظة كما فعل بالمجرمين الأوائل، فإنه -سبحانه وتعالى- قادر يوم القيامة على أن يبعثهم، ويعيدهم مرة أخرى، ويبدل أمثالهم بأن يبعثهم بأعيانهم في أجساد أكبر من أجسادهم.

فأعرض عنهم، ولا تقتل نفسك حسرات عليهم، فليس عليك هداهم، وإنها عليك البيان، واتركهم بعد البيان يخوضوا في باطلهم بأقوالهم الباطلة، وعقائدهم الفاسدة، ويلعبوا في دينهم ودنياهم، فإن تكلموا لا يتكلمون بحق، وإن عملوا لا يعملون صوابًا، فإنهم ملاقوا يومهم الذين يوعدون، فإنهم ميتون، ثم يوم القيامة يبعثون ويحشرون، ويرون بأعينهم ما أخبرتهم به من أهوال يوم القيامة، ويجازون ويدعون دَعًا؛ وذلك يوم يخرجون من قبورهم مسرعين، مجيبين دعوة الداعي، لا يتأخرون عنه، ولا يميلون عنه، يسرعون إلى أرض المحشر. كحالهم في الدنيا حين تطلع الشمس، فيسرعون إلى أصنامهم، يسجدون لها، ويتقربون لها، وهم في خروجهم من قبورهم في قلق وفزع شديد، واضطراب شديد، يملئ قلوبهم الخوف والذلة والمهانة، ويظهر ذلك على وجوههم، فوجوههم كأنها أغشيت قطعًا من الليل مظلمة، وكأن عليها غبارًا متراكمًا، ذلة ملأت قلوبهم، فظهرت على وجوههم.

هكذا يكون حالهم في اليوم الذي كانوا يوعدون في القرآن، وعلى لسان رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لكنهم لم يصدقوا؛ بل أنكروا، وكذبوا، فلم يستعدوا لذلك اليوم، فكان حالهم في ذلك اليوم حال ذلة ومهانة وسوق إلى عذاب الله -سبحانه وتعالى-.



هذا المعنى الإجمالي الموضوعي الإيهاني لهذه الآيات، ثم نفسر الآيات تفسيرًا تفصيليًا، فنقرأ ما سطره الإمام المفسر المتفنن السعدي -رحمه الله تعالى- ونعلق عليه.

(الماتن)

قال الإمام السعدي -رحمه الله تعالى وغفر له ولشيخنا وللسامعين- : يقول تعالى، مبينًا اغترار الكافرين: ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴾ أي: مسرعين.

(الشرح)

(﴿ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾)، معناه: أي شيء دعا الكافرين.

قال: (﴿ مُهْطِعِينَ ﴾ أي: مسرعين)، إليك.

وقال بعض المفسرين، عنك.

وقال بعض المفسرين؛ إلى تكذيبك.

والكل حصل من الكفار، فبعض الكفار كانوا يسرعون إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم؛ رجاء أن يسخروا منه، وبعض الكفار كانوا يسرعون عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم؛ حتى لا يسمعوا منه. وكلهم يسرعون إلى تكذيب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، لا يتفكرون، ولا ينظرون في البراهين الدالة على صدقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، نشأ معهم لم يعرفوا عليه كذبة واحدة وهو الملقب عندهم بالصادق الأمين؛ لكنهم جميعًا سارعوا إلى تكذيبه، ولم يتمهلوا، ولم يتفكروا في البراهين الدالة على صدقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم.

(الماتن)

﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴾ أي: قطعًا متفرقة وجماعات متوزعة، كل منهم بما لديه فرح.

(الشرح)

فهم مكذبون مستهزؤن.

(عِزِينَ)، أي: جماعات متباعدة، أي: جماعة تبعد عن جماعة تبعد عن جماعة.

فالعزة: الناس يجلسون جماعات متفرقة، العزة جماعات من الناس يجلسون جماعات متفرقة.



وهم هكذا في الحال بعضهم حول النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جماعة وجماعة وجماعة، وعن يمينه وعن شماله، يقصدون الاستهزاء به، وجماعة بعيدة عنه، جماعات متفرقة عن اليمين وعن الشمال.

(الماتن)

﴿ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴾ بأي: سبب أطمعهم، وهم لم يقدموا سوى الكفر، والجحود برب العالمين، ولهذا قال: ﴿كلا﴾ [أي:] ليس الأمر بأمانيهم ولا إدراك ما يشتهون بقوتهم.

(الشرح)

بل مأواهم جهنم وبئس المصير.

(الماتن)

﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴾ أي: من ماء دافق، يخرج من بين الصلب والترائب، فهم ضعفاء، لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا.

قال -سبحانه-: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴾.

قال الشيخ السعدي -رحمه الله-: هذا إقسام منه تعالى بالمشارق والمغارب، للشمس والقمر والكواكب.

(الشرح)

الشيخ فسر المشارق والمغارب: بأنها مشارق الشمس والقمر والكواكب، ومغارب الشمس والقمر والكواكب؛ لأنه جاءت مجموعة.

وبعض المفسرين قالوا: مشارق الشمس ومغارب الشمس؛ لأن للشمس مشارق عدة، ومغارب عدة.

وهي باعتبار كونها مشرقًا واحدة؛ ولذلك جاء المشرق أحيانًا مفردًا. وباعتبار الصيف والشتاء فهي اثنتان؛ ولذلك جاء: ﴿رَبُّ الْمُشْرِقَيْنِ﴾[الرحمن:١٧]. وباعتبار التعدد هي مشارق. على كل حال: الشمس لها مشارق، والكواكب لها مشارق يعلمها الله، والشمس لها مغارب، والكواكب لها مغارب يعلمها الله -سبحانه وتعالى-.

فالله -عزَّ وجلَّ - أقسم بالشمس، والقمر، والكواكب، التي خلقها وسخرها وجعل سيرها في انتظام.

وهذا الإقسام الذي ذكره الشيخ في ضمن قسمه -سبحانه- بربها الذي خلقها وسخرها، وهو الله -سبحانه وتعالى-؛ لأنه قد يقول لنا قائل: الله -عزَّ وجلَّ- قال: ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَاللهُ عَلَى اللهُ عَلَى الله عَلَى الله

﴿ فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمُشَارِقِ وَالْمُغَارِبِ ﴾، "فلا" هنا ما معناها؟

قيل: لا؛ لتأكيد القسم، يؤتى بها في لغة العرب لتاكيد القسم، فهي مؤكدة للقسم.

وقيل: لبيان أن المقسم عليه ظاهر بين، لا يحتاج إلى قسم؛ لكن هؤلاء أنكروه، فأقسم الله -عزَّ وجلَّ -، مع أن هذا لا يحتاج إلى قسم.

وقال بعض المفسرين: "لا" هنا نافية لزعمهم، فمعنى: ﴿ فَلا أُقْسِمُ ﴾، أي: فلا نفي لزعمهم أنهم لو بعثوا لدخلوا الجنة، ﴿ فَلا أَنْهِم لو بعثوا لدخلوا الجنة، ﴿ فَلا أَنْهِم لو بعثوا لدخلوا الجنة، ﴿ فَلا أُقْسِم مُ بِ مِنْ لَا اللَّهُ الللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّا اللَّالَّا اللَّلْمُ اللَّهُ اللَّهُ الللّ

﴿ فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمُشَارِقِ وَالْمُغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴾ [المعارج: ٤٠] ﴿ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ [المعارج: ٤١]:

قال بعض المفسرين: المعنى إن لقادرون يوم القيامة على أن نعيدهم بأبدانٍ أكبر من أبدانهم، ونعيدهم بأعيانهم.

وقال بعض المفسرين: إنا لقادرون في الدنيا على أن نهلك هؤلاء الكفار، ونأتي بقوم غيرهم لا يكفرون بنا؛ بل يؤمنون ويوحدون. وكلا المعنيين صالح.

فالعنى: إنا قادرون على أن نهلكهم اليوم جميعًا عن بكرة أبيهم، وعلى أن ننشأ قومًا آخرين خيرًا منهم، يؤمنون ويوحدون ويعبدون، وإذا كنا قادرين على ذلك اليوم فإنا قادرون على أن نبعثهم يوم القيامة، وأن نخرجهم من قبورهم، ونعيد أعيانهم؛ لكن بأجساد أكبر من أجسادهم. وقد تقدم معنا: أن أجساد الكفاريوم القيامة وفي النار تعظم جدًا، حتى أن مقعد أحدهم من النار ما بين مكة والمدينة، وأن رس أحدهم مثل جبل أحد.

(الماتن)

قال -رحمه الله-، هذا إقسام منه تعالى بالمشارق والمغارب، للشمس والقمر والكواكب، لما فيها من الآيات الباهرات على البعث، وقدرته على تبديل أمثالهم، وهم بأعيانهم، كما قال تعالى: ﴿وَنُنْشِئَكُمْ فِيمَا لا تَعْلَمُونَ﴾.

(الشرح)

إذًا الشيخ ذهب إلى أن المقصود بالقدرة هنا على تبديلهم في يوم القيامة، وهو قول لجماعة من المفسرين، والقول الآخر لجماعة من المفسرين، ولا تعارض بين القولين؛ بل هما قولان صالحان تحتملهما الآية.

(الماتن)

﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ أي: ما أحد يسبقنا ويفوتنا ويعجزنا إذا أردنا أن نعيده.

(الشرح)

وقيل: وما نحن بمغلوبين، فلا غالب لله -عزَّ وجلَّ- ولا لأمره -سبحانه وتعالى-.

(الماتن)

قال: فإذا تقرر البعث والجزاء، واستمروا على تكذيبهم، وعدم انقيادهم لآيات الله ﴿فَذَرُهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا ﴾ أي: يخوضوا بالأقوال الباطلة، والعقائد الفاسدة، ويلعبوا بدينهم، ويأكلوا ويشربوا، ويتمتعوا ﴿حَتَّىٰ يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴾ فإن الله قد أعد لهم فيه من النكال والوبال ما هو عاقبة خوضهم ولعبهم.

ثم ذكر حال الخلق حين يلاقون يومهم الذي يوعدون، فقال: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ﴾ أي: القبور، ﴿سِرَاعًا﴾ مجيبين لدعوة الداعي، مهطعين إليها.

(الشرح)

فهم مسرعون إلى موضع الحساب.

(الماتن)

﴿ كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴾ أي: [كأنهم إلىٰ علم] يؤمون ويسرعون. (الشرح)

أي: كأنهم إلى علم منصوب لهم يؤمون ويقصدون ويسعون إليه.

وقيل: إلى غاية يسرعون ويسعون، إلى غاية حدت لهم يسرعون ويسعون.

﴿ يُوفِضُونَ ﴾، معناها: يسعون إلى شيء بسرعة شديدة في غاية الإسراع.

وقال بعض المفسرين: ﴿ كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ ﴾، أي: كأنهم إلى أصنامهم ﴿ يُوفِضُونَ ﴾، أي: يسرعون؛ وذلك أنهم في الدنيا إذا أصبحوا وطلعت الشمس أسرعوا إلى أصنامهم، من يسبق أولًا، ويعبد ويسجد أولًا، فكأنهم إلى أصنامهم يوفضون، أي: يسيرون مسرعين إلى موضع الحشر، كأنهم يسرعون إلى أصنامهم في الدنيا.

(الماتن)

قال: فلا يتمكنون من الاستعصاء للداعي، والالتواء لنداء المنادي، بل يأتون أذلاء مقهورين للقيام بين يدى رب العالمين.

﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةُ ﴾.

(الشرح)

﴿ تَرْهَقُهُمْ ﴾، أي: تخشاهم، وتظهر على وجوههم، تخشاهم فتملأ قلوبهم، وتظهر على وجوههم.

(الماتن)

قال: وذلك أن الذلة والقلق قد ملك قلوبهم، واستولى على أفئدتهم، فخشعت منهم الأبصار، وسكنت منهم الحركات، وانقطعت الأصوات.



فهذه الحال والمآل، هو يومهم ﴿الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ ولا بد من الوفاء بوعد الله. (الشرح)

ووعد الله لا يُخلف، ولا شك أن الكفار سيدخلون النار، والله الذي لا إله إلا هو لن يكون إلا هذا، الكفار سيدخلون النار، ويعذبون في النار، ومن المؤمنين الموحدين من سيدخل النار ولا شك، فمن المؤمنين الموحدين المؤمنين العصاة من سيدخل النار.

والموحد العاصي الموافي بذنبه تحت مشيئة الله إن شاء الله عفا عنه، وإن شاء عذبه؛ لكننا نجزم أن من المؤمنين الموحدين العصاة من سيدخل النار ثم يخرج منها؛ لأننا نصدق خبر ربنا وخبر رسولنا صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولذلك نحن نقول للمؤمنين دائمًا: إياك أن تغتر بقول أهل السنة إن الموحد العاصي مهما كانت معاصيه ما دام أنه موحد تحت المشيئة: إن شاء عفا الله عنه، وإن شاء عذبه، فإن علمنا يقينًا أن من الموحدين العصاة من سيدخل النار، فمن الذي يُؤمِنُك؟! والله لو قيل لنا ان واحدًا من الموحدين العصاة سيدخل النار، والله لن نأمن، ما الذي يُؤمِنَ الواحد منا من أن يكون ذلك الواحد، فكيف وقد علمنا بالأدلة أن هناك من الموحدين العصاة من سيدخل النار، نعم، يعفو الله عمن شاء؛ لكن من الموحدين العصاة من سيدخل النار، من الذي سيؤمنك من أن تكون من هؤلاء.

ولذلك من الآن أمِن نفسك بفضل الله لا تكن من العصاة، كن مع الصادقين، كن مع الصادقين، كن مع الصادقين، كن من التوابين، احرص ما استطعت أن لا توافي بذنب.

وبهذا نكون ختمنا تفسير سورة المعارج، وكعادتنا نختم التفسير بذكر بعض فوائد السورة الكبرى وحكمها الكلية.

هذه السورة تسمى سورة المعارج، وتسمى سورة "سأل سائل"، وتسمى سورة الواقع، وقد نزلت في مكة بعد سورة الحاقة.

ومن فوائدها الكبرى وحكمها الكلية:

الفائدة الأولى:

أن من سخافة العقل وبليغ الجهل إنكار البعث والجزاء، وهذا هو حال الكفار، والله ما أنكر البعث ذكيٌ ذَكِي؛ بل إن من سخافة العقل وبليغ الجهل إنكار البعث والجزاء.

الفائدة الثانية ،

أن جهنم حق، وأن لدخولها أسبابًا، أعظمها الكفر والشرك والنفاق، فهذا الذي لا يغفره الله، ولن يرى أصحابه الجنة أبدًا، لن يدخلوها، ولن يشموا ريحها، وإنها سيدخلون جهنم ويعذبون فيها.

الفائدة الثالثة:

أن النجاة من عذاب الله إنها هي للموحدين المصلين، ومن عصى منهم فهو تحت المشيئة إن شاء ربه عفا عنه، وإن شاء عذبه ثم أخرجه وأدخله الجنة.

الفائدة الرابعة:

أن الناس يتفاضلون في إيهانهم، فليسوا في الإيهان على درجة واحدة، وأن أعظم أسباب التفاضل في الإيهان: الصفات المذكورة في هذه السورة التي سبق وفسرناها.

الفائدة الخامسة:

أن من أعظم ما يُثَقِّل ميزان الموحد يوم القيامة: الصفات المذكورة في هذه السورة.

أن من أعظم ما يُتَقِّلُ كفة حسنات الموحد الصفات المذكورة في هذه السورة.

الفائدة السادسة:

أن الصلاة من الإيمان، وهي ملازمة للإيمان، والإيمان ملازم لها.

أن الصلاة من الإيمان، وأنها ملازمة للإيمان، وأن الإيمان ملازم لها.

الفائدة السابعة:

أن الحياة الطيبة في الدنيا وطمأنينة القلب هي في شكر الله على النعماء، والصبر عند الضراء.

أن الحياة الطيبة في الدنيا، وطمأنينة القلب، وراحة النفس هي في شكر الله عند النعماء، وفي الصبر عند الضراء، وهذا حاصل للموحدين المتصفين بالصفات المذكورة في السورة.



فمن أراد الحياة الطيبة، وطمأنينة قلبه، وراحة نفسه؛ فليكن شكَّارًا عندج النعمة، صبورًا عند الضراء، متصفًا مذه الصفات.

الفائدة الثامنة:

أن من الخسران العظيم، ومن صفات أهل الخسران العظيم: الجذع والتسخط عند البلاء، والكفران وعدم الشكر عند النعماء.

الفائدة التاسعة:

أنه لا ينفع شيء من الدنيا يوم القيامة إلا ما كان لله، فكل شيء في الدنيا لم يكن لله لا ينفع صاحبه يوم القيامة.

هذه الدنيا كل شيء فيها، كل شيء فيها لا ينفعك إلا إذا كان لله، أو لادك لا ينفعونك يوم القيامة إلا إذا ربيتهم على الدين، فتؤجر على ذلك، ولربم شفعوا لك، ولربم رفعت منزلتك في الجنة إليهم. تربية الأولاد على الخير هذه فوائدها لا تحصى في الدنيا والآخرة.

من فوائدها في الآخرة: أن أو لادك الصالحين قد يشفعون لك، فالصالحون يشفعون يوم القيامة إذا أذن الله -عزَّ وجلَّ - لهم، وإذا دخلت أنت وهم الجنة قد تكون أنت في منزلة دنيا، وهم في منزلة عليا، فيرفعك الله إلى منزلتهم.

ولذلك الوالد الحريص والأم الحريصة يحرصون على تربية الأبناء والبنات على الخير، ويجتهدون في ذلك ولا يملون ولا يكلون أبدًا.

الفائدة العاشرة،

أن كل ما قرَّب إلى الله من أمور الدنيا فهو خير، وأن كل ما باعد عن الله من أمور الدنيا فهو شر.

هذا المال هل هو خير لي أو شر لي؟

انظر! إن كان يقربك إلى الله، وتنفق منه لله فهو خير لك، وإن كان يباعدك عن الله، ويلهيك عن الخير، ويشغلك عن المسابقة إلى الجنات، والمسارعة في الخيرات فهو شرك لك وعليك.

فهذا ميزان عظيم.

الفائدة الحادية عشرة،

أن الخير كله في الإقبال على كتاب الله -عزَّ وجلَّ-، وعلى سنة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

والشركله في الإعراض عن كتاب الله أو عن سنة رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أنت أيها العبد المخلوق خيرك مركوز في كتاب الله -عزَّ وجلَّ-، وفي سنة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن آمنت بالكتاب والسنة، وعظَّمت الكتاب والسنة، وعملت بالكتاب والسنة فقد حصَّلت الخبر.

أما الشر فهو معقود في الإعراض عن كتاب الله وعن سنة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. الفائدة الثانية عشرة:

أنه لا شرف ولا عزة ولا قوة للإنسان على وجه الحقيقة إلا بالإيهان، وإلا فهو ضعيف مخلوق من ماء مهين.

لا تزيده الدنيا شرفًا، وإنها الذي يشرِّفه ويكرمه تقوى الله، الإيهان بالله -سبحانه وتعالى-.

الفائدة الثالثة عشر:

تسلية أهل الحق، ودعاة الحق على ما يلقونه من أذى المخالفين، فإن العاقبة حميدة.

فإمامهم وقدوتهم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقي ما لقي من المشركين، لكن العاقبة كانت له صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقي اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكم من داعية حق لم ير التمكين في الدنيا، لكن مُكِّن لعلمه بعد أن مات، فصار علمه يملأ الآفاق.

شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- كان داعية إلى الحق، قوَّالًا بالحق، فسُجِن حتى مات وهو مسجون، واليوم ما من صاحب حق إلا وهو يقرأ في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وينتفع بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية.

وكم من صاحب باطل وأشر رُفِع في الدنيا، ثم مُحق.

ابن أبي دؤاد في زمن فتنة القوم بخلق القرآن كان صاحب سلطة، وسطوة، وهيبة؛ حتى أن بعض العلماء كان ليأمن عذاب السلطان يسرع ليصلي مع ابن أبي دؤاد؛ أحمد بن أبي دؤاد، يضع نعليه تحت إبطيه ويذهب مسرعًا، يقولون: ماذا؟ يقول: أريد أن أصلي مع أحمد، يقولون: مع ابن حنبل؟ يقول: لا، مع ابن أبي دؤاد.

مُكِّن له وهو صاحب باطل، وشر عظيم، لكن أين هو؟ -أعنى في الناس، مُحِق ولا يعرفه أحد، إلا

من ينبش في الكتب.

أما الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة الذي ثبت على القول بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، الذي عُذّب، فكان يضرب بالسياط حتى إذا دمي جلده وضع الملح على جلده ليزداد ألمًا، وكان يؤمر بأن يمسك بقوائم مثل هذا الكرسي، ثم يسحب سحبًا حتى تنفصل مفاصله، هذا غرضهم وهو ثابت صابر عى الحق، مكّن الله له، ولا زال الناس يستفيدون من علمه، وهو إمام من أئمة أهل السنة والجهاعة.

فداعية الحق قد يؤذى من المخالفين؛ بل قد يؤذى ممن لم يعجبه كلامه ولو كان قريبًا منه، كل من خالفته وأنت تدعوا إلى الحق يؤذيك، ولابد.

ولذلك صاحب العقيدة السلفية الناس يتهمونه بالإرجاء؛ لأنه لا يعتدي في التكفير، وناس يتهمونه بأنه تكفيري؛ لأنه يكفر من كفّره الله ورسوله صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بضوابطه الشرعية.

ما المطلوب منه؟

أن يبين الحق، ويصبر، ويُعرض عن الجاهلين؛ فإن العاقبة حميدة.

الفائدة الرابعة عشر؛

أن الذكاء والذكاء أن يتذكر المؤمن دائمًا الموت، وما بعده، وأن يكون خائفًا من عذاب الله خوفًا يدفعه إلى فعل الطاعات واجتناب المحرمات.

الفائدة الأخيرة:

أن أظهر صفات أهل الحق: أنهم يتكلمون بالحق، ويعملون صالحًا.

وأن أظهر صفات أهل الباطل والانحراف: أنهم لا يتكلمون بالحق، ولا يعملون صالحًا.

هذه بعض الفوائد الكبرى، والحكم الكلية التي التقطناها من هذه السورة المباركة.

أسأل الله -عزَّ وجلَّ - أن يجعل تدارسنا لكتاب الله -عزَّ وجلَّ - مقبولًا عنده، وأن تغشانا بذلك الرحمة، وأن تنزل علينا السكينة، وأن تحفنا الملائكة، وأن يذكرنا الله في من عنده، وأن نكون لمن قال الله لملائكته: «أُشْهِدُكم أنِّي قد غفرتُ لهُم، وأَعْطَيتُهم سُؤْلَهُم».

أسأل الله -عزَّ وجلَّ - أن يكون علمنا نافعًا لنا وللمسلمين والمسلمات، ونعوذ بالله من أن يكون العلم حجة علينا. تقبل الله من الجميع، ويسّر الله للجميع. والله على نبينا وسلم.

تفسير جزء تبارك

(سورة نوح)

من كناب:

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان

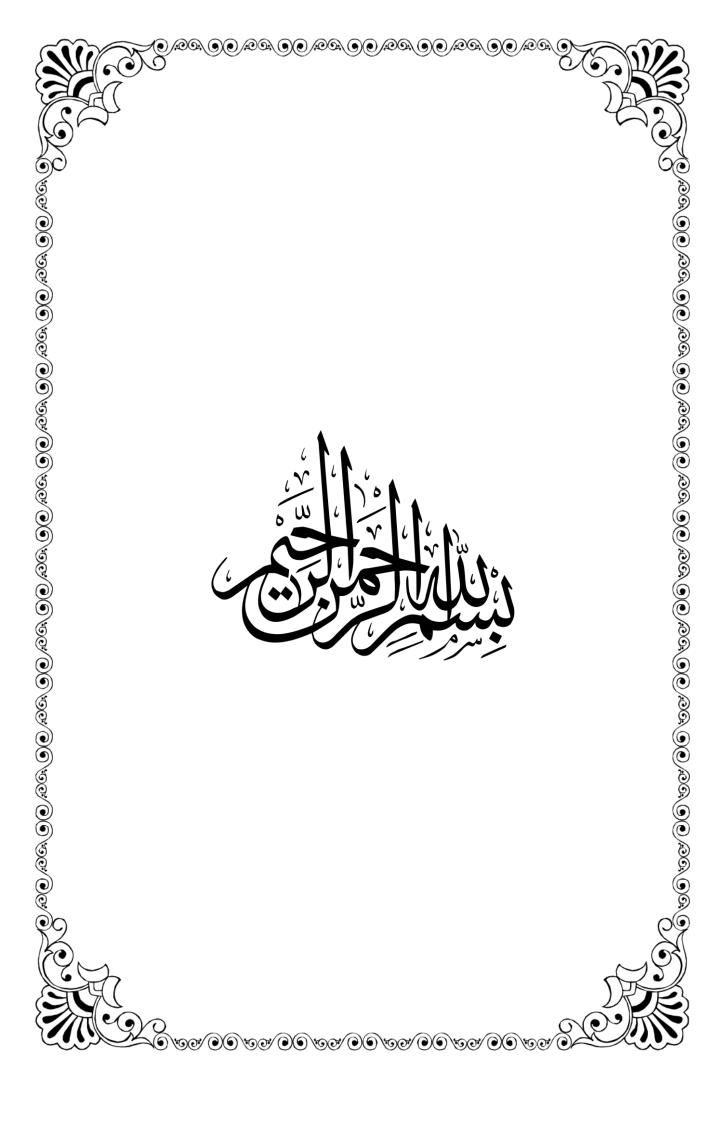
لِلشَّيْخُ العَلَّامَة

عَبْدُ الرَّحْمَن بِن ناصِر بِن عَبْدُ اللّهِ بِن سِعْدِيًّ وَحَمُدُاللَّهُ اللّهِ بِن سِعْدِيًّ وَحَمُدُاللَّهُ

شَرْحُ فَضِيلَةُ الشَّيْخ

أ.د: سليمان بن سليم الله الرحيلي

غَفَرَ اللّٰهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ





المجلس (١٥)

بِنْ مِلْكُهُ الْكُمْ زِالْرَّحِي مِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأتمان الأكملان عَلَىٰ المبعوث رحمةً للعالمين، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمًّا بَعْدُ؛

فمعاشر الفضلاء؛ نواصل درسنا في التفسير حيث نفسر جزء تبارك، وموضوع مجلسنا اليوم تفسير سورة: نوح، وسورة نوحٍ مكية، وموضوعها: قصة نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مع قومه، فالسورة كلها من أَوْلها إِلَىٰ آخرها في قصة نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مع قومه.

ومقصدها: تسلية النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخذ الاعتبار من هانِه القصة العظيمة.

ولما كانت السورة كلها في قصة نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وكانت متصلة فإنا سنفسر السورة كاملةً متصلة، فيتفضل الابن نور الدين وفقه الله والسامعين يقرأ لنا آيات السورة.

(الماتن)

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيهُمْ عَذَابُ أَلِيمُ ۞ قَالَ يَاقَوْمِ إِنَّى لَكُمْ نَذِيرُ مُبِينُ ۞ أَنِ اعْبُدُوا اللّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۞ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُوَجِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمَّى إِنَّ أَجَلَ اللّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخِّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا ۞ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَابِي إِلّا فِرَارًا ۞ وَإِنِي كُلّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَصَرُوا وَاسْتَكُبَرُوا اسْتِكُبَارًا ۞ ثُمَّ إِنِي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۞ يُرسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۞ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۞ يُرسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۞ وَيُمْعِلُ لَكُمْ بِشَاوًا ۞ وَيَحْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا ۞ مَقَلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۞ وَيُعْعَلُ لَكُمْ بَنَاتًا ۞ مُعَلِّلًا وَيَنِينَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ۞ مَقَلْ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ فِي الْقَمَرَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ۞ وَقَدْ خَلَقَتُكُمْ أَطُوارًا ۞ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۞ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهُمْ فِيهَا لَيْ فَنُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۞ قَاللّهُ مَنَى الْأَرْضِ نَبَاتًا ۞ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرًاجًا ۞ وَاللّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۞ ثُمَّ لَكُمْ أَنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۞ قَالًا وَيُعْلَى لَكُمْ أَلَا السَّمْ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۞ وَاللّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۞ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۞ قَالًا وَيَحْوَلَ السَّهُ عَمَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۞ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۞ قَالًى قَالُكُمْ الْمُؤْلِ وَبَعَلَ السَّهُ مَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۞ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۞ قَالًا وَلَا السَّهُ فَلَا السَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَا لَكُمْ الْمُؤْلِقُ وَلَا الللّهُ الْمُعْرَالُ الْمُؤْلِلَ الْمُؤَلِقُولُ اللّهُ الْمَالِعُلُ اللّهُ الْمُؤَالِ اللّهُ عَلَى اللّهُ الْمَالِلَ اللّهُ الْمَالِعُلُوا مِنْهُا سُلِهُ الْمُؤَالِ اللَّهُ الْمُؤَالِ ال

(الشرح)

نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْل رُسُل الله عَزَّ وَجَلَّ إِلَى البشر، وذلك أن نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ بُعِث إِلَى قومٍ مشركين، وأَمَّا آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ فلم يكن رسولًا وَإِنَّمَا كان مشركين، والرسول هو الَّذِي يُبعَث إِلَى قومٍ مشركين، وأَمَّا آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ فلم يكن رسولًا وَإِنَّمَا كان نبيًا؛ لأنه لم يُبعَث إِلَى قومٍ مشركين، فنوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْل الرسل وجاء بدين الله عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي هو: التوحيد والنهي الشِّرْك، وكل الرُسُل الَّذِين جاءوا من بعده دينهم واحد هو هذا الدين الَّذِي جاء به نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ وهو توحيد الله، والبراءة من الشِّرْك.

ونوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ من أولي العزم من الرُسُل؛ لأنه أطول الرُسُل دعوةً إِلَىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ فقد لبث في قومه: ألف سنة إِلَّا خمسين عامًا يدعوهم إِلَىٰ التوحيد، وينهاهم عن الشِّرْك، ويدعوهم إِلَىٰ طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكانت في قصته عِبرةٌ عظيمة، ومن هنا أفرِدت قصته في سورة مستقلة هي هلاِه السورة الَّتِي بين أيدينا.

ففي هذه الآيات العظيمة يخبر الله عَزَّ وَجَلَّ أنه أرسل نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى قومه الَّذِين كانوا مشركين بالله عَزَّ وَجَلَّ يعبدون الأصنام، وذلك أنهم كانوا عَلَىٰ التوحيد، وكانوا عَلَىٰ الفِطرة، وكان هناك رجالُ صالحون منهم يحبونهم، وإذا رأوهم يجتهدون في الطاعة، فهات أوْلئك الرجال فاقتنص إبليس هذه الفرصة، وغلو القوم في أوْلئك الرّجال، فأوْحى إليهم ووسوس أن انصبوا في مجالسهم أنصابًا لهم، وصوروا تماثيل لهم في صورهم، وضعوها في مجالسهم الَّتِي كانوا يجلسون فيها، حَتَّىٰ إِذَا رأيتموهم نشطتم في العبادة.

ففعلوا واَلنَّيَّة حسنة، ونصبوا تلك التهاثيل فلم تُعبَد تلك الأصنام حَتَّى تنسخ العِلم وهلك أَوْلئك الَّذِين نصبوا تلك التهاثيل، فوسوس إبليس إِلَىٰ من بعدهم أن آباءكم وأجدادكم ما نصبوا هاذِه



الأصنام إِلَّا لتقربهم إِلَى الله زُلفي وليتقربوا بها إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ فعُبِدَت فوقعت الأصنام في الأرض، فكان أَوْل تركٍ للتوحيد وأَوْل شركٍ بالله عَزَّ وَجَلَّ مبنيًا عَلَىٰ الغلو في الصالحين.

فلما عبد قوم نوح الأصنام أرسل الله عَزَّ وَجَلَّ نوحا عَلَيْهِ السَّلامُ رسولًا إليهم لينُذِر قومه ويحذرهم عاقبة الشِّرْك والعصيان، وليحذرهم من عذاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الأليم المستأصل إن استمروا عَلَىٰ شِركهِم وعَلَىٰ عصيانهم، ففعل عَلَيْهِ السَّلامُ وبلغ الرسالة، وصبر وصابر، وقالَ لقومه: يا قومي إني لكم رسولٌ من الله مخوف لكم من عذاب الله عَزَّ وَجَلَّ إن لم تؤمنوا، وتوحدوا، وتطيعوا.

فأنا مبينٌ لكم عاقبة الشِّرْك، ومبينٌ لكم وجوب التوحيد، والطاعة، وتقوى الله وما أرسِلت به من ربي بيانًا واضحًا لا لبس فيه، فوحدوا الله وأطيعوه، ولا تعبدوا مع الله أحدًا واتقوه بفعل ما آمركم به، واجتناب ما نهاكم عنه وأطيعوني فيما أرسِلت به إليكم من ربي تصديقًا لي واتباعًا لي، فإنكم إن فعلتم نجوتم من عذاب الله، ويغفر لكم ذنوبكم، ويسترها عليكم، وتسلمون من عاقبتها في الدنيا والآخرة، ويمتعكم في الدنيا، ولا يهلككم بعذابٍ يستأصلكم من عنده، فتمكثون في الدنيا مدة أعماركم إلى أن يجين الأجل.

فإذا جاء الموت فلا راد له و لا يُقدَم، و لا يؤخر، فلو كنتم تعلمون لسارعتم إلى الإيهان، والتوحيد، والطاعة، ولما كفرتم بربكم وأشركتم، وعاندتم، وعصيتم، وأخذ عَلَيْهِ السَّلامُ يدعوهم ويبين لهم زمنًا طويلًا، فلم يؤمنوا، ولم يوحدوا ولم يطيعوا، فقالَ عَلَيْهِ السَّلامُ: ربي إني دعوت قومي إلى ما أمرتني به؛ فدعوتهم إلى التوحيد والطاعة، وبينت لهم ذلك في كل وقتٍ من ليلٍ أَوْ نهار، ولكنهم عاندوا وأصروا عَلَىٰ كفرهم، فلم يزدهم دعائي ودعوتي إلَّا هروبًا من الحق والتوحيد وشرودًا عنه، فلم تحقق دعوتي لم فائدة، بل حصل عكس المقصود.

فكان حالهم أني كلما دعوتهم إلى التوحيد والطاعة لتغفر لهم ما أسلفوه من الذنوب ولترضى عنهم أعرضوا إعراضا شديدًا، وأبوا أن يسمعوا قولي؛ فوضعوا أصابعهم في آذَانهم حَتَّىٰ لا يسمعوا ما أقول، وحرصوا عَلَىٰ ألا يروني بُغضًا لي لأني أدعوهم إلى التوحيد فتغطوا بثيابهم حَتَّىٰ لا يروني بُغضًا لي ولما أدعوهم إليه، وحَتَّىٰ يكونوا بعيدين عني، وأصروا واستمروا عِنادًا واستكبارًا عَلَىٰ شركهم، وعَلَىٰ ما هم عليه من الباطل والشر، واستكبروا عن قبول التوحيد والحق استكبارًا شديدًا، عجيبًا، عظيمًا، ودفعوا الحق كِرًا وعِنادًا.

واستنكفوا أن يؤمنوا كما آمن الضعفة والفقراء ومن لا يؤبه لهم، وكل ذلك يا ربي وأنت أعلم بي لم يجعلني أفتر عن دعوتهم، بل دعوتهم ليلا ونهارًا، وجهرًا وإصرارًا، وكنت آتي مجالسهم فأرفع صوتي أدعوهم إلى ما أرسلتني به فأدعوهم إلى التوحيد، وأنهاهم عن الشّر ك، وآمرهم بالتقوى، فأدعوهم مماعات، وأيضا أدعوهم واحدًا واحدًا إعلانًا بأن أكلمه كفاحًا أمام الناس، وإصرار بأن أكلمه خفيةً بيني وبينه، وكل ذلك من الحرص عَلَى أن يطيعوا ويستجيبوا.

فقلت لهم في دعوتي: استغفروا ربكم واطلبوا مغفرته وستره ذنوبكم، وعدم مؤاخذتكم بها بترككم الشِّرْك، وبطلب المغفرة من الله عند توحيدكم إنه كان غفارًا كثير المغفرة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لَن وحده، فهو سُبْحَانَهُ غفورٌ غفار يستر الذنوب ولا يُعجِل العقوبة، ويعفو عن الموحدين إن أذنبوا بسبب منهم إن هم تابوا واستغفروا، أَوْ بغير سبب منهم، بل بمحض عفوه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولو تركتم شِرككم واستغفرتم ربكم لعفا عنكم، وغفر لكم جميع أَوْزاركم السابقة، وزادكم عَلَىٰ ذلك أن ينزل عليكم المطر المتتابع الغزير الَّذِي فيه نفعٌ لكم، فتستقون منه، وتشرب منه أنعامكم، وتزرعون به، ولكم فيه منافع عظيمة، ويُكثِر أموالكم وأَوْلادكم الَّتِي هي زينة الحياة الدنيا، وبها تنالون ما تحبون في الدنيا، ويجعل لكم حدائق ذات بهجة ترتاح بها نفوسكم، وتحصلون قوتكم، وتتنعمون بمرآها وبثيًارها، وبهوائها.

وقلت لهم في دعوتي: يا قومي ما لكم لا تقدرون ربكم قدره، ولا تتفكرون في عظمته وجلاله، ولا تخافون نِقمته وانتقامه مع كثرة البراهين عَلَىٰ ذلك الدالة عَلَىٰ عظمة الله وجلال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

◄ ومن تلك البراهين: أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الَّذِي خلقكم فلا خالق إِلَّا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وخلقكم في مراحل متدرجة في أرحام أمهاتكم، ثُمَّ بعد ولادتكم وحياتكم ما بين ضعفٍ إِلَىٰ قوة، ومن قوةٍ إِلَىٰ ضعف، فهو الَّذِي خلقكم من العدم، ورباكم بالنِعَم، والَّذِي خلقكم قادرٌ عَلَىٰ أخذكم وإحيائكم مرةً أخرى وتعذيبكم.

◄ ومن تلك البراهين الساطعث: أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خلق السموات السبع مرتفعات، السماء الدنيا منها سقفٌ فوق رؤوسكم، ثُمَّ فوقها سماء، ثُمَّ فوقها سماء، فهكذا هي سبع سمواتٍ طِباق بعضها فوق بعض، ليس بينها وبين الأرض أعمدةٌ ترونها، ولا بين كل سماء وسماء أعمدة، ومع ذلك بعضها فوق بعض، ليس بينها وبين الأرض أعمدةٌ ترونها، ولا بين كل سماء وسماء أعمدة، ومع ذلك بعضها فوق بعض، ليس بينها وبين الأرض أعمدةٌ ترونها، ولا بين كل سماء وسماء أعمدة، ومع ذلك بعضها فوق بعض، ليس بينها وبين الأرض أعمدةٌ ترونها، ولا بين كل سماء وسماء أعمدة، ومع ذلك بين كل سماء وسماء أعمدة ومع ذلك بين كل سماء وسماء أعمدة بين المؤلفة وبين الأرض أعمدةٌ ترونها ولا بين كل سماء وسماء أعمدة بين المؤلفة وبين المؤلفة وبين الأرض أعمدةٌ ترونها ولا بين كل سماء ولين المؤلفة وبين الأرض أعمدةٌ بين المؤلفة وبين المؤلفة وبين الأرض أعمدةٌ بين كل سماء وسماء أعمدة وبين المؤلفة و

لا تسقط، ولا تميل، ولا تتفطر، وجعل القمر في السهاء، وجعله نورًا للأرض والفضاء فينير في اللّيْل حيث يحتاج الناس في اللّيْل إِلَىٰ نورٍ لا حرارة معه؛ لأن اللّيْل وقت السكون، وجعل الشّمْس كالمصباح المضيء اللّذي يُشِع ضوءً معه حرارة في وقت النّهار؛ لأن وقت النّهار وقت الحركة، فالناس يحتاجون ضوءًا وقادًا، وحرارة تحمى بها الأرض من العفن والنتن، وما يضر الناس.

فخلق سبحانه هلّه المخلوقات العظيمة وخلقها أعظم من خلق الإنسان، فخلقها وسخرها وسخرها و ودبرها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهاذَا الخلق لَا شَكَّ أنه أعظم خلق الإنسان، ولذلك نبههم نوحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ إلى هلّه القضية وإلى مقارنة خلقهم مع خلق السَّملوات والأرض وما فيهن، فها هم إلا مخلوقون من تراب، فأبوهم آدم عَلَيْهِ السَّلامُ إنها خُلِق من تراب، ثُمَّ هم من نسله خُلِقوا من ماءٍ مهين، فالتراب أصلكم، ومن ماءٍ مهين خُلِقتم، وذلك يدلكم عَلَى ضعفكم، فالقادر عَلَىٰ تلك الكواكب العظيمة قادرٌ عليكم.

ولو تفكرتم كيف خُلِق هذا الإنسان من تراب ثُمَّ صار بهذِه الهيئة عاقلًا متحركًا لأدركتم عظم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ولا يستطيع أحد منكم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ولا يستطيع أحد منكم أن يدفع الموت عن نفسه أَوْ عن حبيبه، ثُمَّ يُقبَر في التراب فيُعاد إِلَىٰ التراب وكل شيء منكم يبلى ويأكله التراب إلَّا عجب الذنَب، ثُمَّ إِذَا شاء سُبْحَانَهُ أن يبعثكم أنبتكم من عجب الذنَب، وركبكم من هذا العظم الصغير، فالّذي خلقكم أول مرة قادرٌ عَلَىٰ أن يعيدكم مرة أخرى، فالإعادة أسهل من الابتداء. والله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ جعل حياتكم الدنيا عَلَىٰ الأرض وسخر لكم الأرض؛ فجعل الأرض ممهدة كالبساط لتستطيعوا سُكناها، والسير عليها، ولتسلكوا فيها طُرقًا واسعةً ممهدة توصلكم إِلَىٰ مطلوبكم، لكنهم لم يتفكروا، ولم يتبروا، فقالَ نوحٌ شاكيًا لربه وهو أعلم به وبهم: إنهم ما أطاعوني بل زادوا في العصيان وبالغوا في ذلك، واتبعوا الرؤساء الضالين أهل الدنيا، وأهل الأموال وكثرة الأولاد مع ضلالهم وكفرهم وأطاعوهم في الكُفر والعصيان.

أَوْلئك الرؤساء الَّذِين أنعم الله عليهم بالأموال، وأنعم عليهم بالأولاد لم يشكروا الله عَلَىٰ تلك النِعَم، بل زادتهم تلك النِعَم شِركًا وعصيانًا وخسارةً، فقالَ أَوْلئك الرؤساء الضالون المضلون للناس الداعين لهم إِلَى الشِّرْك والعصيان: الزموا آلهتكم الَّتِي ورثتموها عن آبائكم واعبدوها، ولا تتركوا عبادة أصنامكم الكبار ودٍ، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسرًا وقد أضل أَوْلئك الرؤساء كثيرًا من



قومي فلم يؤمن إلا قليل، فلم يوحد أكثر قومي فهم معاندون بعيدون عن الحق فيا ربي لا تزد هؤ لاء الظالمين المُصرين المعاندين إِلَّا ضلالًا عن الحق لتأخذهم أخذ عزيزِ مقتدر.

فلما كان ذلك منهم وبسبب إصرارهم عَلَىٰ كفرهم وخطيئاتهم أُغرِقوا بالطوفان فأُدخِلوا فور إغراقهم نارًا فعُذِبوا بِالنَّارِ بعد موتهم، وهلذَا عذاب القبر وهو أحد الأدلة عَلَىٰ عذاب القبر، ولم يجدوا لهم من دون الله من ينصرهم، ويحول بينهم وبين عذاب الله، لا أولئك الرؤساء الَّذِين كانوا يضلونهم ولا غيرهم، وكان نوحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ قد دعا قبل إغراقهم أَوْ عند إغراقهم ألا يترك عَلَىٰ الأرض إنسانًا كافرًا يدور ويتحرك، ويسكن الديار والدور، فدعا ربه أن يُهلِكهم جميعًا، لماذا؟ لأنهم لا خير فيهم، ولو بقي واحدٌ منهم لظل يُضِل الناس، ويدعو المؤمنين الموحدين إلى الشَّرْك، ويُزين لهم الشَّرْك، ولا يخرج من أصلابهم إلَّا أمثالهم كفارٌ، فُجارٌ، ضُلال مضلون لعباد الله عَزَّ وَجَلَّ، فليس في بقاء أحدٍ منهم خير بل فيه شر.

فأغرق الله الكفار أَجْمَعِيْنَ، ولم ينجوا منهم أحد، ونجى نوحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ ومن آمن معه، ودعا نوح ربه للمؤمنين فخص ثُمَّ عم، فقالَ: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِى وَلِوَالِدَى وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِى مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالله إلاّ حسرة، وهلاكًا، وخُسرانًا، هذِه قصة نوح العظيمة المذكورة في هذِه السورة، وقد فسرنا الآيات تفسيرًا، موضوعيًا، إجماليًا، إيهانيًا، ثُمَّ نعود إلى تفسير الآيات تفسيرًا تفصيليًا، فيقرأ لنا الابن نور الدين وفقه الله والسامعين ما سطره الإمام الفقيه الأصولي المفسر المتفنن، العالم النحرير السابق لعصره عبدالرحمن بن ناصر بن سِعدي السَعدي رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ في تفسيره.

(الماتن)

قالَ الإمام عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى: لم يذكر الله في هذه السورة سوى قصة نوح وحدها لطول لبثه في قومه، وتكرار دعوته إلى التوحيد، ونهيه عن الشّرْك، فأخبر تَعَالَىٰ أنه أرسله إلى قومه، رحمة بهم، وإنذارًا لهم من عذاب الله الأليم، خوفًا من استمرارهم عَلَىٰ كفرهم، فيهلكهم الله هلاكا أبديًا، ويعذبهم عذابا سرمديًا، فامتثل نوح عليه السلام لذلك، وابتدر لأمر الله، فقالَ: ﴿يَاقَوْمِ إِنِي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ [نع: ٢]، أي: واضح النذارة بينها، وذلك لتوضيحه ما أنذر به وما أنذر عنه، وبأي: شيء تحصل النجاة، بين جميع ذلك بيانًا شافيًا، فأخبرهم وأمرهم بأصل ذلك،



فَقَالَ: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾ [نرح: ٣]، وذلك بإفراده تَعَالَىٰ بالتوحيد والعبادة، والبعد عن الشِّرُك وطرقه ووسائله، فإنهم إِذَا اتقوا الله غفر ذنوبهم، وإذا غفر ذنوبهم حصل لهم النجاة من العذاب، والفوز بالثواب.

(الشرح)

(وبأي: شيء تحصل النجاة، بين جميع ذلك بيانًا شافيًا، فأخبرهم وأمرهم بأصل ذلك)؛ يعني: أن أصل النجاة والفلاح: التوحيد، فلا نجاة إِلَّا بالتوحيد، فكل مُشرِكٍ بالله هالك، فلا نجاة إِلَّا بالتوحيد، فأصل النجاة هو التوحيد وتقوى الله، والتوحيد رأس تقوى الله، كل ما دون التوحيد إِنَّمَا يَصلُح بالتوحيد فيكون سببًا للفلاح والنجاح.

(فإنهم إِذَا اتقوا الله غفر ذنوبهم، وإذا غفر ذنوبهم حصل لهم النجاة من العذاب، والفوز بالثواب)؛ انظروا ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَالَ في هلّهِ الآيات في قول نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ فَانُ وَبِعُلْهِ السَّلَامُ: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾ [نوح: ١٤]، طيب يا إخوة التوحيد يهدم الذنوب كلها، فمَن كان مُشرِكًا ثُمَّ وحد غُفِرَست ذنوبه كلها.

الله فَالَ: ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾ [نر: ٤] الله فلماذًا قَالَ: ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾

- ✓ مِن هنا قَالَ بعض المفسرين: زائدةٌ لتوكيد المغفرة لتدل عَلَىٰ عموم المغفرة.
- ✓ وَقَالَ بعض المفسرين: هي لبيان الجِنس؛ يعني يا إخوة تخاطب أَوْلادك فتقول: أريد منكم أن تطيعوا الله، فهنا لا تريد من بعضهم وإنها تريد من جِنسهم؛ يعني: من الجميع، فبعض أهل العِلم قَالُوا: مِن هنا لبيان الجِنس؛ أي: يغفر جميع ذنوبكم يغفر جِنس ذنوبكم.
- ✓ وقَالَ بعض المفسرين: مِن هنا تبعيضية، وذلك أنهم لهم ذنوب قبل التوحيد وقد تقع منهم ذنوب بعد التوحيد، فالموحد ليس معصومًا، فمن ذنوبكم؛ يعني: يغفر لكم الذنوب الَّتِي كانت قبل توحيدكم بتوحيدكم، فإذا وحدتم وأذنبتم فإن الله يؤاخذكم بها إِلَّا أن يعفو عنكم، أَوْ تتوبوا وتستغفروا فيقبل توبتكم.

فلو لم يقل من هنا قد يُفهَم أنه يغفر لهم جميع الذنوب السابقة واللاحقة، فجاءت من هنا لتبين أن الذنوب الَّتِي تغفر بالتوحيد إِنَّمَا هي الذنوب السابقة، فالتوحيد يهدم كل ما كان قبله، أَمَّا اللاحقة بعد

التوحيد فالعبد يؤاخذ بها، لكن إن تاب واستغفر قَبِل الله توبته، والتائب من الذنب كمَن لا ذُنّب له، وقد يعفو الله بلا سبب منه ما دام أنه موحد.

✓ وقالَ بعض المفسرين: مِن هنا تبعيضية أَيْضًا لكن حملوه عَلَىٰ معنى آخر، قَالُوا: يغفر لكم من ذنوبكم الَّتِي لا حق فيها لمخلوق، أَمَّا إِذَا كان فيها حقٌ لمخلوق فَلَا بُدَّ أن تُرد إليه، لكن هذَا القول ضعيف، فإن التوحيد يهدم الذنوب كلها، فمَن كان مُشرِكًا فإنه لا يُسأل عن ذنبٍ فعله قبل توحيده وقبل إسلامه.

✓ وقال بعض المفسرين: مِن هنا بمعنى عن؛ يعني: يتجاوز لكم عن ذنوبِكم.
 (المان)

﴿ وَيُوَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمَّى ﴾ [نع: ١٤]، أي: يمتعكم في هذه الدار، ويدفع عنكم الهلاك إِلَىٰ أجل مسمى أي: مقدر البقاء في الدنيا بقضاء الله وقدره إِلَىٰ وقت محدود، وليس المتاع أبدًا، فإن الموت لا بُدَّ منه، ولهذا قَالَ: ﴿ إِنَّ أَجَلَ اللّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُوَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [نع: ١٤]، لما كفرتم بالله وعاندتم الحق، فلم يجيبوا لدعوته، ولا انقادوا لأمره، فَقَالَ شاكيا لربه: ﴿ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۞ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايِي إِلَّا فِرَارًا ﴾ [نع: ٥-١]؛ أي: نفورا عن الحق وإعراضًا، فلم يبق لذلك فائدة؛ لأن فائدة الدعوة أن يحصل جميع المقصود أوْ بعضه.

(الشرح)

(﴿وَيُوَخِّرُكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمَّى﴾ [نح: ١٤]؛ يعني: إن أشركتم فستهلكون بالعذاب، وهلاً في أيدي الملائكة أنهم إن أشركوا وأصروا يُهلكون بالطوفان في وقت كذا، لكن إن وحدتم فسيرفع عنكم العذاب، وستبقون بقية عمركم إِلَىٰ أن يأتي الموت.

قَالَ العِلمَاء: هلذَا باعتبار ما عند الملائكة والله، وإلا فالمقدر معلوم، لكن عند الملائكة أنهم إن وحدوا فإنهم لا يُهلكون بل يبقون بقية أعمارهم إِلَىٰ أن يأتي الموت، وإن لم يوحدوا فإنهم يملكون جميعًا في وقتٍ واحد بالطوفان.

(﴿ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ ﴾ [نح: ٧])؛ وهلذَا مبالغة منهم في النفور عن الحق، حَتَّىٰ أنهم لا يريدون أن يسمعوا شيئًا.

(﴿وَاسْتَغْشُوا ثِيَابَهُمْ ﴾ [نوح: ٧])؛ لماذا استغشوا ثيابهم؟ قَالَ بعض المفسرين: ليبتعدوا عن الحق الأنهم يُبغِضونه فلا يريدون أن يسمعوا، فيضعون أصابعهم في آذانهم، ويضعون فوق رؤوسهم ثيابًا.

✓ وَقَالَ بعض المفسرين: إِذَا رأَوْا نوحًا من بعيد عَلَيْهِ السَّلَامُ استغشوا ثيابهم حَتَّىٰ لا يعرفهم فيأتي إليهم ويدعوهم.

✓ وقَالَ بعض المفسرين: لبُغضِهم لنوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لإنه يدعوهم إِلَىٰ التوحيد لا يطيقون رؤيته، فإذا رأَوْه من بعيد استغشوا ثيابهم حَتَّىٰ لا يروا نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وهاذَا يحصل من بعض أهل الشر، فبعض أهل الشر يأتي ويقول لَمَن يُعرَف بالدعوة إِلَىٰ التوحيد وَاللَّهُ يقول: والله هاذَا الرجل ما أطيق أن أنظر إليه.

(﴿ وَأَصَرُّوا ﴾ [نع: ٧])؛ يعني: استمروا معاندين عَلَىٰ كفرهم وشرهم. (الماتن)

﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴾ [نوح: ١٨]؛ أي: بمسمع منهم كلهم.

﴿ ثُمَّ إِنِي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾ [نرح: ١]، كل هذا حرص ونصح، وإتيانهم بكل باب يظن أن يحصل منه المقصود.

﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ﴾ [نح: ١٠]؛ أي: اتركوا ما أنتم عليه من الذنوب، واستغفروا الله منها.

﴿إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠]، كثير المغفرة لمَن تاب واستغفر، فرغبهم بمغفرة الذنوب، وما يترتب عليها من حصول الثواب، واندفاع العقاب، ورغبهم أيضا، بخير الدنيا العاجل، فَقَالَ: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ [نوح: ١١]؛ أي: مطرا متتابعا، يروي الشعاب والوهاد، ويحيي البلاد والعباد.

﴿ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ﴾ [نرح: ١٦]؛ أي: يكثر أموالكم الَّتِي تدركون بها ما تطلبون من الدنيا وأولادكم، ﴿ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ [نرح: ١٦]، وَهٰذَا من أبلغ ما يكون من لذات الدنيا ومطالبها.

﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ [نوح: ١٣]؛ أي: لا تخافون لله عظمة، وليس لله عندكم قدر.

﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطُوارًا ﴾ [نح: ١٤]؛ أي: خلقًا من بعد خلق، في بطن الأم، ثُمَّ في الرضاع، ثُمَّ في سن الطفولية، ثُمَّ التمييز، ثُمَّ الشباب، إلى آخر ما وصل إليه الخلق، فَالَّذِي انفرد بالخلق والتدبير البديع، متعين أن يفرد بالعبادة والتوحيد، وفي ذكر ابتداء خلقهم تنبيه لهم عَلَىٰ الإقرار بالمعاد، وأن اللّذِي أنشأهم من العدم قادر عَلَىٰ أن يعيدهم بعد موتهم.

(الشرح)

(﴿ ثُمَّ إِنِي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴾ [نوح: ١])؛ أي: أني دعوتهم في مجامعهم، فكنت أذهب إِلَى مجامعهم وأرفع صوتي بالدعوة أُسمِعهُم جميعًا.

(﴿ ثُمَّ إِنِي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾ [نح: ١])؛ يعني: دعوتهم أفرادا بصوتٍ يُسمَع وخِفيةً بيني وبينهم، فكل ذلك مبالغة في إيصال الدعوة وحرص عَلَىٰ أن يستجيبوا.

(فرغبهم بمغفرة الذنوب، وما يترتب عليها من حصول الثواب، واندفاع العقاب)؛ وهذا هو الأمن، والأمن من أعظم النعَم، وأعظم الأمن أمن النفس أن تكون النفس آمنة، ولا أمن إلا بالتوحيد ومغفرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَيِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ ﴾ [الأنعام: ١٨]، من أراد الأمن فليلزم التوحيد تحقيقًا وليلزم تقوى الله، وليُكثِر من الاستغفار.

والله من جمع بين ثلاثة أمور: التوحيد، وكثرة الاستغفار، وكثرة ذِكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حصل له الأمن النفسي، فتجده في غاية الراحة، الناس يضطربون وهو في غاية الراحة؛ لأن الله عَزَّ وَجَلَّ قد أمنه.

(﴿ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴾ [نرح: ١١]؛ أي: مطرا متتابعا، يروي الشعاب والوهاد، ويحيي البلاد والعباد)؛ وهانيه هي البركة، فالتوحيد سبب الأمن والبركة، فيبارك الله للموحد فيها يؤتيه، ويقنعه بذلك فيجد بركة وراحة، فالتوحيد والبُعد عن الشِّرُك سببٌ للبركة والقناعة.

(﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ﴾ [نوح: ١٦])؛ فالجنة هي الحديقة المليئة بالأشجار الَّتِي تسُر الناظر إِذَا نظر إليها، ومن جمالها أن تكون فيها أنهار ومياه جارية، ولا سيها في الصباح والمساء، والَّذِين يعرفون المزارع يعرفون هلذا، فمن متَع الدنيا أن تكون هناك خضرة ومزرعة تجري فيها المياه صباحًا في أول النَّهَار، ومساءً في آخر النَّهَار.

(مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ ﴾ [نوح: ١٦])؛ معناها: لا تخافون بئس الله عَزَّ وَجَلَّ ونِقمته؛ لأنكم لا تقدرونه حق قدره.

(وَقَارًا ﴾ [نوح: ١٦])؛ الوقار: العظمة من التوقير؛ وهو: التعظيم.

وقَالَ بعض المفسرين معنى الآية: ما لكم لا تؤملون من الله ثوابًا ولا تخافون منه عقابًا، فمعنى ترجون: تؤملون الثواب، وتخافون العقاب، وسبب هلذًا لو حصل تعظيم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لكن لكونكم لا تعظمون الله فأنتم لا تؤملون الثواب من الله ولا تخافون عقاب الله.

(﴿**أَطْوَارًا﴾** [نوح: ١٤])؛ جمع: طورٍ؛ وهو: المرة.

(في بطن الأم، ثُمَّ في الرضاع، ثُمَّ في سن الطفولية، ثُمَّ التمييز، ثُمَّ الشباب، إلى آخر ما وصل إليه الخلق)؛ فخلقكم من ضعفٍ، وأَوْجدكم في ضعفٍ، ورباكم في حال ضعفكم، ثُمَّ رزقكم قوة، والله ما أحد يستطيع أن يُكسِب نفسه القوة، الله رزقكم القوة، ورباكم في قوتكم، فرباكم في ضعفكم، ورباكم في قوتكم، ثُمَّ ردكم إِلَى ضعف، في يستطيع أحدٌ منكم أن يدفع ذلك عن نفسه.

(الماتن)

واستدل أَيْضًا عليهم بخلق السَّمُوات الَّتِي هي أكبر من خلق الناس، فَقَالَ: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴾ [نوح: ١٥]؛ أي: كل سماء فوق الأخرى.

﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ﴾ [نح: ١٦] لأهل الأرض ﴿ وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ [نح: ١٦].

ففيه تنبيه عَلَىٰ عِظم خلق هٰذِه الأشياء، وكثرة المنافع في الشمس والقمر الدالة على رحمته وسعة إحسانه، فالعظيم الرحيم، يستحق أن يعظم ويحب ويعبد ويخاف ويرجى.

﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ [نوح: ١٧]، حين خلق أباكم آدم وأنتم في صُلبِه.



﴿ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا ﴾ [نح: ١٨] عند الموت ﴿ وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾ [نح: ١٨] للبعث والنشور، فهو الَّذِي يملك الحياة والموت والنشور.

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴾ [نوح: ١٩]؛ أي: مبسوطة مهيأة للانتفاع بها.

﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح: ٢٠]، فلولا أنه بسطها، لما أمكن ذلك، بل ولا أمكنهم حرثها وغرسها وزرعها، والبناء، والسكون عَلَىٰ ظهرها.

(الشرح)

انظروا يا إخوة الله عَزَّ وَجَلَّ قَالَ في خطاب نوح لقومه: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴾ [نوح: ١٥] ونحن نعِلم الرؤية تأتي بمعنى: النظر، وتأتي بمعنى: العِلم، فقالَ بعض العِلماء معناها: ألم تنظروا إِلَى السماء الدنيا وهي دليلٌ عَلَىٰ غيرها، فمَن رآها كأنه رأى بقية السَّملوات. وقالَ بعض المفسرين: هي بمعنى: ألم تعِلموا بها أخبرتكم به، فالرؤية هنا بمعنى: العِلم.

وقالَ بعض المفسرين: ألم تروا بأبصاركم السماء الدنيا، وتعِلموا بالخبر السَّملوات الأخرى، فأنتم تنظرون سماء الدنيا فترونها بأبصاركم، وأما السَّملوات الأخرى فإنها تعِلمونها بالخبر.

(﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نع: ١٦])؛ فيهن أي: في السَّمُوات، طيب القمر إِنَّمَا هو قريب من السماء الدنيا، قَالَ بعض المفسرين: لأنه إِذَا كان في واحدةٍ منهن فهو فيهن جميعًا، ما دام أنهن سبع وهو في السماء الدنيا فكأنه في السَّمُوات السبع.

وقَالَ بعض المفسرين: معنى فيهن: معهن، سبق وذكرنا أن حروف الجرينوب بعضها عن بعض؛ يعني: وجعل القمر معهن نورًا، فخلق القمر كما خلق السَّملوات وجعله نورًا.

(﴿ وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ [نح: ١٦])؛ فالقمر نورٌ، والشمس ضياء، والنور يُستمد من الضياء. ولذلك العِلماء اليوم: يقولون إن القمر في ذاته مظلم، ولكن نوره من ضوء الشَّمْس، ولذلك عندما يُحجَب ضوء الشمس عن القمر يحصل الخسوف، أوْ الكسوف، وسبق أن تكلمت عن هذين المعنين.

وقَالَ بعض المفسرين: النور ضوءٌ بلا حرارة، والضياء ضوءٌ مع حرارة، وكلا الأمرين موجود في القمر وَالشَّمْس، القمر نوره بأمر الله وتدبير الله يُستمَد من الشَّمْس، وهو ضوءٌ بلا حرارة يناسب النَّهَار والله حكيمٌ عليم.

(فلولا أنه بسطها، لما أمكن ذلك، بل ولا أمكنهم حرثها وغرسها وزرعها، والبناء، والسكون على ظهرها)؛ فأنتم تسكنون عليها وتسيرون فيها وتزرعونها، ولولا أنها مبسوطة لما حصل لكم ذلك عَلَىٰ وجه التهام.

(الماتن)

﴿قَالَ نُوحٌ ﴾ [نوح: ٢١] شاكيا لربه: إن هذا الكلام والوعظ والتذكير ما نجع فيهم ولا أفاد.

﴿رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي ﴾ [نح: ٢١] فيما أمرتهم به، ﴿وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [نح: ٢١] أي: عصوا الرسول الناصح الدال عَلَىٰ الخير، واتبعوا الملأ والأشراف الَّذِينَ لم تزدهم أموالهم ولا أولادهم إِلَّا خسارًا؛ أي: هلاكًا وتفويتا للأرباح فكيف بمن انقاد لهم وأطاعهم؟

﴿ وَمَكُرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴾ [نوح: ٢٧]؛ أي: مكرًا كبيرًا بليغًا في معاندة الحق.

﴿ وَقَالُوا ﴾ [نح: ٢٢] لهم داعين إِلَى الشرك مزينين له، ﴿ لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ ﴾ [نح: ٢٣] فدعوهم إِلَى التعصب عَلَىٰ ما هم عليه من الشَّرْك، وأن لا يدعوا ما عليه آباؤهم الأقدمون، ثُمَّ عينوا آلهتهم فقالوا: ﴿ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نح: ٢٣] وَ هٰذِه أسماء رجال صالحين لما ماتوا زين الشيطان لقومهم أن يصوروا صورهم لينشطوا -بزعمهم - عَلَىٰ الطاعة إذا رأوها، ثُمَّ طال الأمد، وجاء غير أولئك فَقَالَ لهم الشيطان: إن أسلافكم يعبدونهم، ويتوسلون بهم، وبهم يسقون المطر، فعبدوهم، ولهذا أوصىٰ رؤساؤهم للتابعين لهم أن لا يدعوا عبادة هٰذِه الأصنام.

(الشرح)

(﴿ وَلَا تَذَرُنَ وَدًّا وَلَا سُواعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نح: ٢٣])؛ فعَلَىٰ هلَا يا إخوة يكون هلاً بيانًا بعد إجمال، ويكون المعنى: وقالوا لا تذرن آلهتكم وهي: ودٌ، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر، فتكون تفسيرية بيانية للمجمل.

وقَالَ بعض المفسرين: إن آلهتهم الَّتِي كانوا يعبدون أكثر من هلَّهِ الأصنام، لكن هلَّه الأصنام أكبرها، فيكون هلاً من باب ذِكر الخاص بعد العام، فيكون المعنى: ومنها ود، وسواع، ويغوث، ويعوق ونسرًا.

(فَقَالَ لهم الشيطان: إن أسلافكم يعبدونهم، ويتوسلون بهم، وبهم يسقون المطر، فعبدوهم، ولهذا أوصى رؤساؤهم للتابعين لهم أن لا يدعوا عبادة لهذه الأصنام)؛ جاء في البخاري عن ابن عباس

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَ اللَّهُ عَنْهُمَ اللَّهُ عَنْهُمَ اللَّهُ عَنْهُمَ اللَّهُ عَنْهُمَ اللَّهُ عَنْهُمَ ا الصحيح.

(الماتن)

﴿ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ﴾ [نع: ٢٤]؛ أي: وقد أضل الكبار والرؤساء بدعوتهم كثيرا من الخلق، ﴿ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴾ [نع: ٢٤]؛ أي: لو كان ضلالهم عند دعوتي إياهم بحق، لكان مصلحة، ولكن لا يزيدون بدعوة الرؤساء إِلَّا ضلالًا أي: فلم يبق محل لنجاحهم ولا لصلاحهم، ولهذا ذكر الله عذابهم وعقوبتهم الدنيوية والأخروية.

فَقَالَ: ﴿مِمَّا خَطِيتَاتِهِمْ أُغْرِقُوا ﴾ [نح: ٢٥] في اليم الَّذِي أحاط بهم، ﴿فَأُدْخِلُوا نَارًا ﴾ [نح: ٢٥] فذهبت أجسادهم في الغرق وأرواحهم للنار والحرق، وهذا كله بسبب خطيئاتهم، التي أتاهم نبيهم نوح ينذرهم عنها، ويخبرهم بشؤمها ومغبتها، فرفضوا ما قال، حَتَّىٰ حل بهم النكال، ﴿فَلَمْ يَجُدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴾ [نح: ٢٥] ينصرونهم حين نزل بهم الأمر، ولا أحد يقدر يعارض القضاء والقدر.

(الشرح)

(﴿ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ﴾ [نح: ٢٤])؛ وقالَ بعض المفسرين: أي الَّذِين نصبوا تلك التهاثيل الَّذِين غلوا في الصالحين فنصبوا تلك التهاثيل أضلوا كثيرًا من الخلق بعدهم؛ لأنهم كانوا سبب عبادة الأصنام.

وقَالَ بعض المفسرين: أي الأصنام أضلت كثيرًا من الناس، ما معنى هلذَا؟ أي: بسبب وجودها ضل الناس.

(﴿ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴾ [نح: ٢٤])؛ فالمعنى: لو كان ضلالهم عند دعوتي إياهم بحقٍ لكان مصلحة، لكنه ليس كذلك، وَإِنَّمَا ضلالهم عنادٌ، واستكبارٌ، واستجابةٌ لأَوْلئك الرؤساء المضلين، فهو فسادٌ وظلماتٌ بعضها فوق بعض.

بالمناسبة العِلماء يقولون: طالب العِلم يحتاج إِلَىٰ شيخه، ولو كان متمكنًا من القراءة، ولو كان عنده كتب، ومن فوائد القراءة عَلَىٰ الشيخ أن شيخ ينبهه عَلَىٰ الخطأ في الكتاب، وينبهه عَلَىٰ الأخطاء الَّتِي تغير المعنى مثل هلاً الَّذِي معنا فإننا لو قرأناه كما هو مكتوب لتغير المعنى تمامًا ولما كان صحيحًا،



لكن عَلَىٰ ما صححناه فالمعنى مستقيم، ولذلك يقول العِلماء: لا يستغني طالب العِلم عن شيخه، ولا يستغني بالكتب عن الشيوخ إِلَّا مغرور وسيأتي بالعجائب، والَّذِي ما يتعِلم عَلَىٰ المشايخ يأتي بالعجائب حَتَّىٰ لو أخذ شهادات عُليا، لو أخذ شهادة دكتورا.

لعل الله أراد بنا وبكم تخفيفًا، غدًا إن شاء الله وبعد غد لن يكون هنا درس، يوم الأربعاء عصرًا إِنْ شَاءَ الله سنجتمع عَلَىٰ الدرس ونُكمِل تفسير السورة ونأخذ شيئًا من حِكمها وفوائدها، ثُمَّ ننتقل إِلَىٰ السورة التالية.

كتب الله الأجر للجميع، وبارك الله للجميع، وتقبل الله من الجميع، واللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَىٰ وَأَعْلَمُ. وَصَلَّ اللهُ عَلَى نَبِيبِّنَا وَسَلَّم.





الجلس (۱۳)

بِنْ مِلْكُهُ الْكُمْ زِالْكَرْ الرَّحِي مِ

الحَمْدُ اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ الرَحمن الرحيم مَالِك يَوْمِ الدين، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ إِلهَ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَحُدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ إِلهَ الأولين والآخرين، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ المبعوث رحمةً للعالمين، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أُمَّا بَعْدُ؛

فمعاشر الفضلاء؛ نواصل درسنا في التفسير حيث نفسر جزء: تبارك، وكنا نفسر في سورة نوح وقد قرأنا آياتها وفسر ناها تفسيرًا إجماليًا، إيهانيًا، موضوعيًا، وشرعنا في تفسيرها التفصيلي، وتوقفنا في أثناء ذلك، فيتفضل الابن نور الدين وفقه الله والسامعين يقرأ لنا من حيث وقفنا.

(الماتن)

□ قَالَ العلامة السعدي في قول الله سُبْحانَهُ وَتَعَالَى: ولهذا ذَكَرَ الله عذابهم وعقوبتهم الدنيوية والأخروية، فَقَالَ: ﴿مِمَّا خَطِيعَاتِهِمْ أُغْرِقُوا ﴾ [نبح: ٢٠] في اليم الَّذِي أحاط بهم ﴿فَأُدْخِلُوا نَارًا ﴾ [نبح: ٢٠] فن الله الله عنها، في الغرق وأرواحهم للنَّارِ والحرق، وَهٰذَا كله بسبب خطيئاتهم، الَّتِي أتاهم نبيهم نوح ينذرهم عنها، ويخبرهم بشؤمها ومغبتها، فرفضوا ما قَالَ، حَتَّىٰ حل بهم النكال، ﴿فَلَمْ يَخِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴾ [نبح: ٢٠] ينصرونهم حين نزل بهم الأمر، ولا أحد يقدر يعارض القضاء والقدر.

﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح: ٢٦] يدور عَلَىٰ وجه الأرض، وذكر السبب في ذلك فَقَالَ: ﴿ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [نوح: ٢٧] أي: بقاؤهم مفسدة محضة، لهم ولغيرهم، وإنما قال نوح عليه السلام ذلك، لأنه مع كثرة مخالطته إياهم، ومزاولته لأخلاقهم، علم بذلك نتيجة أعمالهم، لا جرم أن الله استجاب دعوته، فأغرقهم أجمعين ونجى نوحا ومن معه من المؤمنين.

(الشرح)

(هُمِمًّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا ﴾ [نح: ٢٥])؛ أي: ومن خطيئاتهم، ومن هنا تعليلية من تعليلية، وما للتأكيد، فالمعنى: بسبب خطيئاتهم أُغرِقوا، ومن: للتعليل، وما: زائد للتأكيد، خطيئاتهم يعني: بسبب خطيئاتهم أُغرِقوا.

(﴿ فَأُدْخِلُوا نَارًا ﴾ [نح: ٢٥])؛ أي: في القبر، فهم معذبون في قبورهم، فهله الآية من الأدلة عَلَى عذاب القبر، وأن عذاب القبر موجودٌ قبل أُمَّةُ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك أن الله قَالَ: ﴿ مِمَّا خَطِيعًا تِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا ﴾ [نوح: ٢٥]، والفاء تدل عَلَىٰ: التعقيب؛ فأُدخِلوا عقب إغراقهم نارًا، وذلك في قبورهم فهله إحدى الآيات الدالة عَلَىٰ عذاب القبر.

(فذهبت أجسادهم في الغرق وأرواحهم للنّارِ والحرق، وَهٰذَا كله بسبب خطيئاتهم)؛ فالخير كله في الدنيا والآخرة في الاستجابة لرُسُل الله عليهم السلام، وقد ختمهم أعمهم وأشرفهم مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا وهو اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي بُعِث للجن والإنس، فما من إنسي بعد بعثة مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا وهو مُكلَفٌ بأن يؤمن بمحمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما من جني بعد بعثة النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا وهو وهو مُكلَفٌ بأن يؤمن بمحمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالخير كله في لزوم ما جاء به مُحمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والشر كله في غالفة رسل الله عليهم السلام، وبعد بعثة النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خالفة رسول الله عليهم السلام، وبعد بعثة النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خالفة رسول الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فأنت يا عبد الله إِذَا أردت أن تبني بيتك عَلَىٰ الخير وأن تجلب الخير إِلَىٰ بيتك، وإِلَىٰ أهلك، وإِلَىٰ أهلك، وإِلَىٰ وَلادك، وإِلَىٰ ذريتك فعليك بلزوم ما جاء عن النّبِيّ صَلّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّم، أجعل بيتك يُشرِق بالكتاب وَالسُّنَّة، ويُبنى عَلَىٰ الكتاب وَالسُّنَّة، ويُعمَر بالكتاب وَالسُّنَّة، ويُنور بالكتاب وَالسُّنَة، والله يندفع عنك كل شر، ويجلب إليك كل خير، والله إن الخلل الّذِي يقع في البيوت والشرور الّتِي تقع في البيوت إنها سببها: انطفاء نور الكتاب وَالسُّنَة في تلك البيوت.

فكثيرٍ من الناس يشتكون من مشاكل في بيوتهم، وأمراضٍ كثيرة يتسلط بها عَلَى أهل بيوتهم وأعظم أسباب ذلك يرجع إِلَى: البعد عن الكتاب وَالسُّنَّة، وإِلَىٰ عدم التحرز بالكتاب وَالسُّنَّة، وإِلَىٰ عدم الاستنارة بالكتاب وَالسُّنَّة، ولذلك أنا أدعو دائمًا كل أب وكل أم عَلَىٰ جمع أهل البيت في كل يوم ولو عشر دقائق عَلَىٰ سُنةٍ عَلَىٰ حديث صحيح عن النَّبي صَلَّىٰ اللهُ ولو عشر دقائق عَلَىٰ سُنةٍ عَلَىٰ حديث صحيح عن النَّبيّ صَلَّىٰ اللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجربوا هذا يا إخوة وسترون الخير الكثير من المودة والمحبة واندفاع المشاكل والآستقامة عَلَىٰ دين الله ثمرةً لهذا الأمر العظيم.

(﴿ فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴾ [نبح: ٢٥])؛ فلم يكن لهم مغيثٌ و لا معينٌ و لا مُجيرٌ من عذاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(﴿ دَيًّارًا ﴾ [نوح: ٢٦])؛ قَالَ بعض أهل العِلم يعني: واحدًا، لا تذر عَلَىٰ الأرض من الكافرين واحدًا بل أهلكهم جميعًا.

وقَالَ بعض أهل العِلم أي: يدور عَلَىٰ وجه الأرض ويتحرك عَلَىٰ وجه الأرض، هاذَا المعنى الْتَّانِي الَّذِي ذكره بعض أهل العِلم.

وقَالَ بعض أهل العلم أي: يسكنوا دارًا، والمعنى: لا تبقي من الكافرين أحدًا.

(﴿ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [نوح: ٢٧])؛ نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِبِث فيهم ألف سنة إِلَّا خسين عامًا يدعوهم إِلَى التوحيد ليلًا ونهارًا سِرًا وجِهارًا، وينهاهم عن الشِّرْك ليلًا ونهارًا سِرًا وجِهارًا، ويدعوهم إِلَى طاعة الله واستمر عَلَىٰ ذلك عَلَيْهِ السَّلَامُ لمدة الطويلة، ومع ذلك ما آمن معه إِلَّا قليل، وبقي المتكبرون عَلَىٰ تكبرهم، فعلم أنه لا خير فيهم، وأنهم لن يؤمن إلا مَن قد آمن ، وأن بقاء الكفار عَلَىٰ الأرض صار مفسدةً لأهل الأرض فدعا عليهم بهلِهِ الدعوة الحقة فأجاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ دعو ته.

(الماتن)

﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَى وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا ﴾ [نح: ٢٨] خص المذكورين لتأكد حقهم وتقديم برهم، ثُمَّ عمم الدعاء، فَقَالَ: ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾ [نح: ٢٨]؛ أي: خسارًا ودمارًا وهلاكًا.

(الشرح)

(﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَى وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا ﴾ [نوح: ٢٨])؛ فبدأ بنفسه ولوالدي، ثُمَّ ثنى بأهم الناس بوالديه، ولمَن دخل بيتي مؤمنًا، فما بيته؟ قَالَ بعض أهل العِلم: أي: مسجدي؛ لأن المسجد هو اللّذِي يُدخَل للعبادة؛ فقَالُوا معنى بيتي: مسجدي.



وقَالَ بعض أهل العِلم بيتي هو: البيت حقيقةً؛ لأنه كان ملجأ للضعفة الذين يؤمنون فكانوا يدخلون بيته فدعا لهم؛ لأنهم متمسكون بدينهم وصابرون ويؤذيهم الأقوياء.

وقَالَ بعض المفسرين بيتي يعني: السفينة؛ يعني: مَن دخل السفينة، لكن هلاً المعني بعيد.

■ فالشاهد: أن نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ خص ثُمَّ عَمَ.

(﴿ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [نح: ٢٨])؛ وهلذَا يَعُم جميع المؤمنين والمؤمنات الَّذِينَ سبقوا نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، والذين كانوا معه، والذين جاءوا بعده، فنوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومَن كان معه، ومَن يأتي والمؤمنات، فمَن سبقه من المؤمنين والمؤمنات من زمن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومَن كان معه، ومَن يأتي بعده، فهذَا يَعُم جميع المؤمنين والمؤمنات في كل مكانٍ وزمان.

(﴿ وَلَا تَزِدِ الطَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾ [نوح: ٢٨])؛ نعم وبهلاً انكون أتممنا تفسير سورة نوح عَلَيْهِ السَّلامُ. وكالعادة قبل أن ننتقل إلى السورة التالية نذكر شيئًا من حِكَم السورة الكبرى وفوائدها الكلية.

🔾 فهن فوائد السورة الكبرى وحكهما الكلية:

■ الفائدة الْأُولَى: أن أعظم ما تُقضى فيه الأعمار الدلالة عَلَىٰ الله وتوحيده.

فهانَا نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ قضي ألف سنةٍ إِلَّا خمسين عامًا يدل الناس عَلَىٰ ربهم ويدعوهم إِلَىٰ ربهم.

- 2 الفائدة الْتَانِيث: أن الدعوة إِلَىٰ الله تحتاج إِلَىٰ صبرٍ عظيم.
- وهي قاعدة يا إخوة عند أهل العِلم: كلما زاد شرف الشيء كلما احتيج إِلَىٰ الصبر فيه أكثر. فالدعوة إِلَىٰ الله هي أفضل الأقوال تحتاج إِلَىٰ صبرٍ عريض، ومَن لا صبر له فلا دعوة له، إن دعوت إِلَىٰ الحق فستأتيك السهام من كل جانب مِمَن خالفك ومِمَن لم يفهمك، فإن لم يكن لك صبر فلن تقوم لك دعوة، ولذلك يا إخوة من أعظم ما ينبغي أن يعتني به الداعية ومعلم الناس الحق والخير: الصبر، وأن يصبر عليهم، ومن الكمال في الداعية: ألا يجازي الإساءة بالإساءة، ولا يتكلم إلَّا إِذَا اقتضى دين الله أن يتكلم، فما ينتقم لنفسه وَإِنَّمَا يدفع عن دين الله ويبين الهدى.
 - ❸ الفائدة النَّالِثن : أنه لا يلزم من صدق الداعية وصحة طريقه أن تستجيب له أعدادٌ كبيرة.

فإن النَّبِيِّ يُبعَث يوم القيامة وليس معه أحد وما آمن معه أحد مع صدقه وإخلاصه وصحة طريقه، وقد يأتي يوم القيامة ومعه النفر ومعه الرهط ومعه الرهيق، ونوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ قضى ألف سنة إلَّا خسين عامًا من عمره صادق مخلصٌ صحيح الطريق ما آمن معه إلَّا قليل، كما أن الكثرة ليست



علامة عَلَىٰ صدق الداعية، ولا عَلَىٰ صحة طريقه فالعبرة بالنور، والعبرة بالهدى، والعبرة بالكتاب وَالسُّنَّة وفهم السَلَف رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِم.

فبعض الناس الآن يزنون الخير: بالكثرة، وينفرون من كلام بعض الناس لقلة مَن معه وهلاً خلاف الهدى والصواب، فما كانت الكثرة دليلًا عَلَىٰ الصدق والصحة، وما كانت القلة دليلًا عَلَىٰ عدم الإخلاص وعدم الصواب.

◄ الفائدة الرابعة: أن المطلوب من الداعية أن يبين الحق للناس الَّذِي جاء من عند رب الناس
 لا ما يريده الناس.

فيا إخوة الداعية والمعلم حَتَّىٰ لو كان في بيته فَقَطْ المطلوب منه: أن يبين للناس ما يريده رجم منهم، وليس مطلوبًا منه أن يعطي الناس ما يريده الناس، وإنها يُعلِم الناس ما يريده رب الناس سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

- **5** الفائدة اكامسة: أن سبب النجاة من الخِزي والعذاب توحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.
- **الفائدة السادست:** أن الغلو مع الجهل سببٌ لكل شر، فإِذَا اجتمع الغلو مع الجهل فانتظر الشر.

ففي كل شيء فالغلو في الاشخاص مع الجهل سببٌ للشر، الغلو في الكلام مع الجهل سببٌ للشر، ورأس ذلك: الشِّرُك بالله عَزَّ وَجَلَّ شرك بالله سببه الغلو مع الجهل، غلوا في الصالحين فنصبوا لهم تماثيل، ثُمَّ لما ذهب العِلم وتنسخ العِلم عُبِدَت، فهاذِه أَوْلُ عبادة لغير الله عَزَّ وَجَلّ، فآدم عَلَيْهِ السَّلامُ نزل موحدًا وكان أبناؤه وذريته موحدين، وإن وقعت بعض المعاصي لكن التوحيد موجود.

فكان إِلَىٰ زمن قوم نوح، وإبليس يوسوس ويركض ويريد أن يصرف الناس عن هلاً الخير، إِلَىٰ أن مات أَوْلئك صالحون وغلا فيهم أهلهم ومحبوهم فقال لهم: انصبوا لهم تماثيل وضعوها في مجالسهم من أجل أن تتذكروهم، وأن تعبدوا الله بسبب هلاً ففعلوا، فتركهم إبليس حَتَّىٰ تنسخ العِلم، فلما تنسخ العِلم قال لهم: إن هلاً الَّذِي ترونه أمامكم من التماثيل إنها صنعه أسلافكم ليتقربوا به إِلَىٰ الله زُلفى، فعُبِدَت الأصنام من دون الله عَزَّ وَجَلَّ.

وهكذا عبادة غير الله عَزَّ وَجَلَّ انها عَلَىٰ الغلو وعَلَىٰ الجهل، حَتَّىٰ بلغ الأمر من الناس مبلغًا عظيمًا، يا إخوة هناك أُناس يدعون غير الله ويسألون غير الله وهم يقولون بألسنتهم: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ



إِلَّا الله وأشهد أن مُحَمَّدًا رَسُولُ اللّهِ، ولو ناقشتهم وقلت لما تدعو من دون الله أحدًا؟ تبين لك من الناس الكلام معه أن ثقته وظنه بهذا الَّذِي يدعوه أعظم من ثقته وظنه بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فكثير من الناس تقول له قل: يا الله، يقول: لا يا سيدي فلان، وإذا حاورته وجدت أنه يظن أن الله لن يعطيه أو سيتأخر عليه، أمَّا هذَا الَّذِي يدعوه من دون الله فسيعطيه ولا يتأخروا عليه، فما سبب هذَا؟ غلوٌ، وجهل.

ولذلك ينبغي عَلَىٰ أهل الخير ودُعاة الحق أن يجاربوا الغلو والجهل انشروا العِلم بقدر ما تستطيعون، واليوم الله ر وسائل فتستطيع أن تقتطع مقطعًا للشيخ وتنشره فيُصلِح الله به مَن يشاء وحاربوا الغلو، فالتوسط والاعتدال هو سِمة أُمَّةُ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

اِذًا أكررها الفائدة السادست: أن الغلو مع الجهل سبب لكل شرٍ، رأسه الشِّرْك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

O الغائدة السابعة: أن استغفار الموحد ربه سببٌ لجلب النِعَم، ودفع النِقَم، ولنزول البركات من السياء، وخروج البركات من الأرض، فالاستغفار من الموحد سببٌ للخيرات والبركات.

ولذلك كان السكف يأمرون أصحاب الحاجات بالاستغفار، ومَن جاءهم يشكو شيئًا قَالَوا له: استغفر الله، وأحد مشايخنا كان إِذَا جاءه أحد عنده غم وشيء عظيم قَالَ له: أنا أنصحك أن تذهب وتأخذ عمرة؛ أذهب إِلَى البيت العتيق، وأكثر الاستغفار وسل الله حاجتك، يقول الشيخ: والله جربت هلاً مرارًا مع الناس ففرج عنهم، فعمرة، وكثرة استغفار، وإلحاح في الدُّعَاء، فالاستغفار مدرارٌ للبركات، ومجدافٌ للخرات.

ع وقلت لكم سابقا يا إخوة إن أمن الإنسان وخير الإنسان في ثلاثة أمور: التوحيد، وذِكر الله، واستغفار الله.

O الغائدة الثامنة: أن أعظم علامات الخير في العبد أن تجده راجيًا الثواب من الله، خاتفًا من عدم قبول عمله، خائفًا من عذاب الله.

فأعظم علامات الخير في العبد: أن تجده راجيًا ثواب الله، خائفًا من قبول عمله ما يغتر بعمله، والله لو ملأ رمضان اجتهادًا وعبادة يخاف أن لا يقبل منه مع حسن ظنه بربه، لكن قلبه وجِل يخاف أن لا يقبل منه، وأن يَقدِم عَلَىٰ الله وهو صفر اليدين ويخاف عذاب الله، ولذلك يا إخوة من الجميل



أن يعالج كل واحدٍ نفسه عَلَىٰ هٰذَا: أن يرجو ثواب الله، وأن يخاف ألا يُقبَل عمله، وأن يخاف عذاب الله.

O الفائدة الناسعة: أن الكمال في الدعاء أن يخص الداعي فيه ويَعُم؛ فيبدأ بنفسه، ثُمَّ بوالديه، ثُمَّ من يليهما من أقاربه ومن يهمه أمره عَلَىٰ وجه الخصوص: كشيخه، أَوْ زميل له بحاجة، أَوْ نحو ذلك، ثُمَّ مَعْ فيدعو للمؤمنين والمؤمنات، وهذا من الكمال في الْدُّعَاء.

واللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَىٰ وَأَعْلَمُ.
وَصَلَّ اللهُ عَلَى نَيِينًا وَسَلَّم.

تفسير جزء تبارك

(سورة الجن)

من كناب:

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان

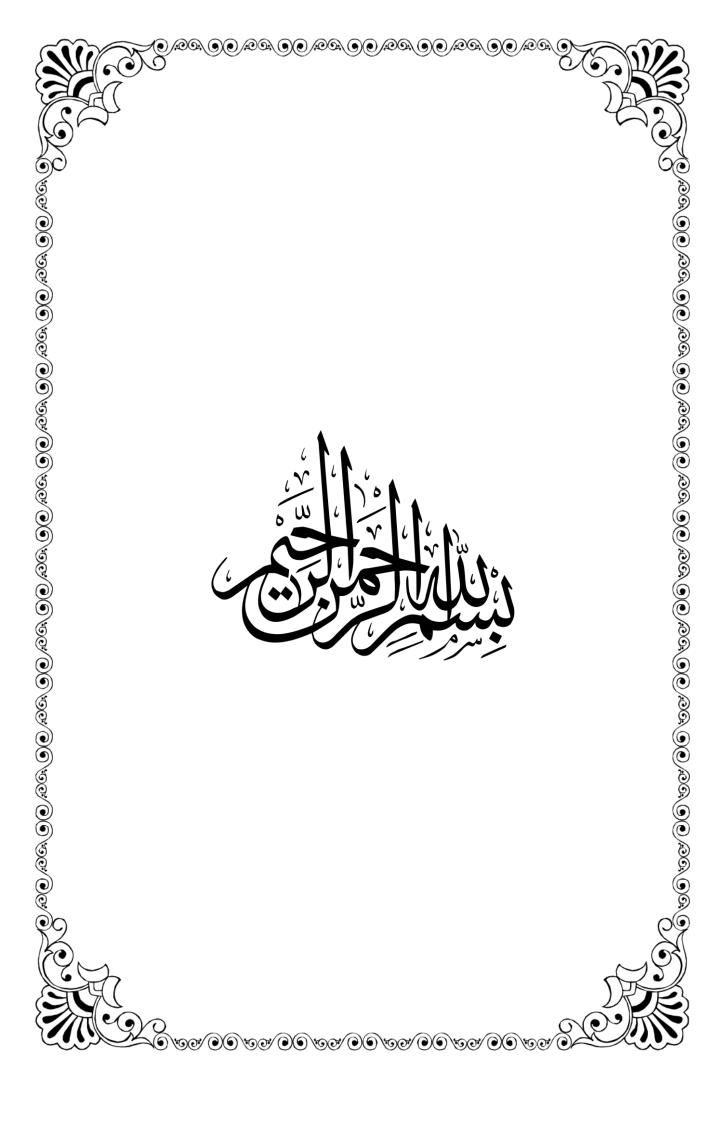
لِلشَّيْخُ العَلَّامَة

عَبْدُ الرَّحْمَن بِن ناصِر بِن عَبْدُ اللّهِ بِن سِعْدِيًّ وَحَمُدُاللَّهُ اللّهِ بِن سِعْدِيًّ وَحَمُدُاللَّهُ

شَرْحُ فَضِيلَةُ الشَّيْخ

أ.د: سليمان بن سليم الله الرحيلي

غَفَرَ اللّٰهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ



المجلس (۱۳)

بِنْ مِلْكُهُ الْكُمْ زِالْكَرْ الرَّحِي مِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأتمان الأكملان عَلَىٰ المبعوث رحمةً للعالمين، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمًا بَعْدُ؛

معاشر الفضلاء؛ ننتقل إِلَى سورة الجن، وسورة الجن سورة: مكية باتفاق العلماء، وتسمى سورة الجن: وسورة: قل أوحي، وموضوعها: شيءٌ من أخبار الجن، وحقيقة دعوة النّبِي صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وحفظ الله له، وقد روى الشيخان البخاري ومسلم عن بن عباسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمًا قَالَ: انطلق النّبِي صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ في طائفةٍ من أصحابه عامدين إِلَى سوق عكاظ؛ يعني: انطلقوا من مكة إِلَى جهة الطائف عامدين إِلَى سوق عُكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأُرسِلَت عليهم الشّهُب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟ وقد رجعوا في غير وقتهم المعتاد من السماء.

فالعادة الشياطين والجن تصعد إِلَى مقاعد في السهاء الدنيا تستمع خبر السهاء، هله المرة صعدت الشياطين والجن إِلَى مقاعدها فوجد أن الملائكة تحرس السهاء، وتطرد مَن يريد القعود في تلك المقاعد التي اعتادوها، وأن الشُهُب صار تُلقى عَلَىٰ الجن الَّذِين يريدون الاستراق أَوْ مَن يسترق منهم ويريد الفوار عَلَىٰ أمرٍ لم يكن معهودًا.

فالشُّهُب يا إخوة كانت في الجاهلية تُرى تُقذَف، لكن أن تُقذَف عَلَىٰ الجن وبصورةٍ كبيرة فهاذَا جديد، فلما رأت الجن ذلك رجعوا إِلَىٰ قومهم فقالوا ما لكم؟ قَالُوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأُرسِلَت علينا الشُّهُب، قَالُوا ما حال بينكم وبين خبر السماء إِلَّا شيءٌ حدث فأضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هلذَا الَّذِي حال بينكم وبين خبر السماء، قَالُوا هلذَا الشيء العظيم الَّذِي وقع في السماء ما وقع إِلَّا لشيءٍ عظيم وقع في الأرض فالتمسوه وتفرقوا في مشارق الأرض ومغاربها اطلبوا هلذَا الشيء العظيم.

فانصرف أوْلئك الَّذِين توجهوا نحو تِهامة إِلَى النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو بنخلة عامدين إِلَى سوق عُكاظ، وسوق عكاظ مجمع للشعراء، والحكهاء، وأهل السوق طائفة من الجن أرادت أن تتوجه إِلَى سوق عكاظ؛ لأنه مجمع تأتي فيه الأخبار، قَالَ: فانصر ف أوْلئك الَّذِين توجهوا نحو تِهامة إِلَى النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو بنخلة عامدين إِلَى سوق عُكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن، أين سمعوا القرآن؟ في صلاة الفجر، فالنَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، فقالوا: والله إن الَّذِي حال وبين خبر السماء هو ذاك.

فهناك حين رجعوا إِلَى قومهم وقَالَوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۞ يَهْدِى إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ [الجن: ١-٢]، فأنزل الله عَلَى نبيه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَى ّ أَنَّهُ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ أُوحِى إِلَى ّ أَنَّهُ اللّهِ عَلَىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ قُلْ أُوحِى إِلَى ّ أَنَّهُ اللّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الجُنِّ وَمَا رَآهُمُ "، ثُمَ ذَكَرَ القصة، فهاذِه قصة هاذِه السورة.

فالجن لما حيل بينهم خبر السماء بهذا الأمر العجيب وعلموا أن هناك أمرًا جللًا عظيمًا حدث تفرقوا في الأرض، فمر نفرٌ منهم قيل إنهم تسعة، وعَلَىٰ كل حال النفر: ما بين الثلاثة إِلَىٰ العشرة، فمروا عَلَىٰ النّبِيّ صَلّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وهو يصلي بأصحابه الفجر وقد كان قاصدًا مع أصحابه سوق عُكاظ، وكان هؤلاء النظر يقصدون سوق عكاظ، فسمعوا القرآن.

إِذًا فِي أَوْل الأمر سمعوا القرآن النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دون أن يعلم بهم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما رآهم، ولا سمعهم، وَإِنَّمَا عرف بخبرهم بالوحي من الله عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَ بعد ذلك لقيهم النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسمع منهم وسمعوا منه؛ بمعنى: أن الجن عند أَوْل رؤيتهم للنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا علِم بهم، وسمعوا منه قصدًا، وإنها مروا فسمعوا، وما رآهم النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا علِم بهم، ورجعوا إِلَىٰ قومهم.

وبعد ذلك في عدة وقائع جاءوا إِلَى النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واستمعوا للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واستمع النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن بعض الأشياء وَسَلَّمَ، واستمع النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن بعض الأشياء كسؤالهم عن طعام دوابهم، وعن طعامهم هم، كما هو معروف في الحديث الصحيح، ونقرأ الجزء اللهورة.

(الماتن)

﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىٰٓ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرُ مِنَ الْجِنِ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۞ يَهْدِى إِلَى الرُّشْدِ فَاللَّهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۞ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۞ وَأَنَّهُ كَانَ يَعُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللّهِ شَطَطًا ۞ وَأَنَّا ظَنَنّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللّهِ كَذِبًا ۞ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالًى مِنَ الْجِنِ فَوَادُوهُمْ رَهَقًا ۞ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللّهُ مَنَ الْإِنْسِ يَعُودُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِ فَوَادُوهُمْ رَهَقًا ۞ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللّهُ أَحَدًا ۞ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِثَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۞ وَأَنَّا كُنَا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ أَلِكُ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا ۞ وَأَنَّا لَا نَدْرِى أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا ۞ وَأَنَّا لَا نَدْرِى أَشَرُّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا ۞ وَأَنّا لَا نَدْرِى أَشَرُّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ السَّمْعَ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا ۞ وَأَنّا لَا نَدْرِى أَشَرٌ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ لِي مَنْ يَسْتَمِع الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا ۞ وَأَنّا لَا نَدْرِى أَشَمَّا أُو البَاعِنَ الْتَنْفُولَ عَلَى اللّهُ الْمُلْوقُ مَنْ يَسْتَمِع الْآنَ يَعِدْ لَهُ شَهُا إِلَانَ يَجِدْ لَهُ شَا وَالْوَالَا لَا لَنَا لَا لَنْهُمْ رَشَدًا ﴾ [الجن: ١-١٠].

(الشرح)

في هلّه الآيات العظيات يقول الله عَزَّ وَجَلَّ لرسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قل للناس ولكل مَن يسمعك ويَصلُح للخطاب: إن ربي أَوْحى إليّ أنه قد استمع جماعةٌ من الجن ما بين الثلاثة إلى العشرة، صرفهم الله إليّ وما رأيتهم، ولا سمعتهم، ولولا خبر ربي لما عرفت عنهم، فسمعوا القرآن لتقوم عليهم وعَلَىٰ قومهم من ورائهم الحُجَة، فلما سمعوا القرآن قَالُوا: إنا سمعنا قرآنا بديعًا مُحكمًا في لفظه ومعناه، وحكمِه، وأحكامه، ومُعجِبًا لمن يسمعه فهو عجب المُعجِب يهدي إلى الحق، والهدي، والفلاح، ومصالح الدين والدنيا.

فآمنا به وآمنا أنه كتاب من كتب الله وانقدنا له، ووحدنا ربنا فلسنا نشرك بربنا أحدًا، فلا يستحق العبادة أحد إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ونزهنا ربنا عها لا يليق بجلاله سُبْحَانَهُ، فآمنا أنه تقدس سلطان ربنا وجلاله وتعالت عظمته، فعلمنا بُطلان زعم الزاعمين المفترين أن ربنا سُبْحَانَهُ قد أتخذ زوجةً، أو كان له ولد سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ، فهو الكامل الغني، فعظمة ربنا وجلالة ربنا تقتضي تنزهه عن الصاحبة والولد، فإن اتخاذ شيء من ذلك إنّا هو للحاجة، والله سُبْحَانَهُ هو الغني الغنى المطلق سُبْحَانَهُ وتَعَالىٰ. قول سفيهنا وهو إبليس عَلَىٰ الله قولًا متعديًا كل حدٍ في الظلال جائرًا بعيدًا وظالمًا ظلمًا كبيرًا، وأن معاشر الجن ما كنا نحسب ونظن أن الإنس والجن يجرؤون عَلَىٰ الكذب عَلَىٰ الله عَزْ وَجَلَّ، فكنا نصدق كل ما يقولونه عن الله، فصدقنا ما يقوله رؤساؤنا وسفهاؤنا لأننا ما كنا



نظن أن أحدًا يجرؤ عَلَىٰ أن يكذب عَلَىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، حَتَّىٰ سمعنا هلذَا القرآن فآمنا به وآمنا بعظمة وجلال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وغِنى ربنا، فتبين لنا كذب أَوْلئك القوم.

وأننا معاشر الجن كنا نرى لنا فضًلا عَلَى الإنس بعد أن كنا نخافهم حيث كان الجني إِذَا رأى الإنسي فر هاربًا، بل كان القوم من الجن يكونون في وادٍ فيمر الإنسي فيخاف القوم من الجن منه ويفرون حَتَّى أظهر الإنسي خوفهم منا واستعاذتهم بنا، فكان أحدهم إِذَا دخل واديًا ظن أن فيه جنًا نادى: يا سيد الوادي أنا في جوارك، يا عامر الوادي أنا في حمايتك فعلمت الجن أن الإنس تخاف منهم فرأوا أن لهم فضلًا عَلَىٰ الإنس فزادوا طُغيانًا، وزادوا تعاظمًا، وزادوا الإنس خوفًا، وفرقًا، وفرقًا، وفزعًا؛ لأنهم كانوا يستعيذون بهم ويلجئون إليهم عند المخاوف وعند الشدائد.

فلم تُفِد استعادة الإنس بالجن الإنس شيئًا، بل أشركوا بربهم وزاد خوفهم وزادت جرأة الجن عليهم، فازداد الإنس كُفرًا، وإثبًا، وخوفًا، وازداد الجن جرأة عَلَىٰ الإنس، وأن كفار الإنس ظنوا كما ظن كفار الجن أن لن يبعث الله أحدًا، وأنه لا بعث ولا جزاء فأقدموا عَلَىٰ الشِّرْك والطغيان، وأننا معاشر الجن في هاذِه الأيام قد التمسنا السهاء الدنيا وطلبناها وارتفعنا إليها لنسمع خبر السهاء فوجدناها عَلَىٰ خلاف ما اعتدنا، ووجدناها مُلِئَت بكثير من الملائكة الشِداد الَّذِين يحرسونها من سائر أرجائها، ويطردون الشياطين من مقاعدهم الَّتِي كانوا يقعدون فيها قبل ذلك لاستهاع خبر السهاء.

ووجدناها كذلك مُلِئَت بشُهُ مِ مُحرِقة يُرمى بها مَن يريد أن يقترب ويستمع أَوْ استرق شيئًا فإن الشهاب يُدرِكه، ويُحرِقه، ويُملكه فكثر الرمي بها عَلَىٰ الجن، وكثر لمعانها في السهاء فعرفنا؛ أي: الجن أن الله أراد شيئًا عظيها بمَن في الأرض، لكنا لم ندرِ ما هو أشرٌ أريد بمَن في الأرض، أم أراد بهم ربهم خيرًا، وزكاةً، ونجاةً؟ فتفرقنا في الأرض نبحث عن خبر ذلك حَتَّى سمعنا القرآن، هلذا المعنى الموضوعي الإجمالي الإيهاني لهذِه الآيات.

ولعلنا نقف عند هانده النقطة و تُكول إن شاء الله عَزَّ وَجَلَّ السورة كاملة في مجلس الغد إِنْ شَاءَ الله عَزَّ وَجَلَّ السورة كاملة في مجلس الغد إِنْ شَاءَ الله عَزَّ وَجَلَّ أَوْ مجلس بعد غد، أَوْ غدًا تُكول تفسير سورة الجن، وإن لم يتيسر تكون غدًا المحاضرة، ويوم السبت إِنْ شَاءَ الله تُكمِل تفسير سورة الجن.

(الأسئلة)

السؤال: يقول إذا كان الصلاة في قباء تعدل عُمرة، هل يجوز لي إهداء ثوابها لأحد الأقارب؟ الجواب: هل الصلاة في قباء تعدل عُمرة؟ الجواب: نعم، في ثوابها، وفضلها، وأجرها وخيراتها تعدل عُمرة، لكن انتبهوا يا إخوة العلماء يقولون: هذا في الفضل والجزاء، لا في الإغناء ولا في الإجزاء، معنى هذا: أن صلاتك في مسجد قباء تعدل عُمرة في ثوابها، لكن هذا ما يغنيك عن أن تذهب إلى مكة وتعتمر، بعض الناس يقول: الحمد لله نحن في المدينة ما نحتاج نذهب إلى مكة عندنا قباء نتوضاً في البيت ونذهب ونصلي ونأخذ أجر عُمرة، نقول: هذا ما يغنيك عن أن تذهب إلى بيت الله وتطوف وتسعى وتعتمر.

ولا إجزاء؛ فيعني: لو أن شابًا بلغ ونحن نقول: أن العُمرة واجبة مرة في العمر، فتوضأ في بيته وذهب إِلَىٰ مسجد قباء وصلى سقطت عنه العمرة؟ لا ما تجزيه، فهو فضلٌ وجزاء من غير إغناء ولا إجزاء احفظوا هلِذه القاعدة فيما يأتي من ثواب عمل لعمل آخر، طيب هل لي أن أذهب إِلَىٰ مسجد قباء وأصلي ركعتين وأُهدي الثواب إِلَىٰ أبي الميت؟ أَوْلا يا إخوة: لا شَكَّ أنه لا يصلي عنه حَتَّىٰ لو كانت هلِذه الصلاة بثواب عمرة.

فها يصلي عنه يقينًا، وما يأتي يقول هانده عن أبي، فها يصلى أحدٌ عن أحد، لكن هل له بعد أن ذهب وصلى وسلم أن يهدي ثواب هاندا العمل لأبيه الميت؟ هانده المسألة محل خلافٍ بين السكف ومن بعدهم من أهل العِلم:

فمن أهل العِلم مَن يقول: كل عملٍ ليس واجبًا عَلَىٰ الإنسان أن عمله ثُمَ أهدى ثوابه إِلَىٰ الميت وينفع ينفعه، يعني: الواجبات ما يجوز إهداؤها، لكن لو فعل مستحبًا يجوز له أن يهدي ثوابه إِلَىٰ الميت وينفع هلاً الميت بإذْنِ اللهِ، هلاً قول لبعض السلَف، وبعض الخلف.

وبعض أهل العِلم قَالُوا: إن وصول الثواب أمرٌ غيبي فَلَا بُدَّ له من دليل، فلا نقول بوصول ثواب إلا ما دل الدليل عَلَىٰ وصول ثوابه، مثل: العمرة، ومثل: الحج، ومثل: الصدقة، ومنها الوقف، ومثل دعاء الولد لأبيه و لا خصوصية للولد.

وعندي أن الْثَّاني أقوى، فإن الأمور الغيبية لا يُقَالَ بها إلا بدليل، لكن لا نُنكِر عَلَىٰ مَن فعل.

كإنسان يا إخوة جاء اليوم مثلًا وجلس بين التراويح والتهجد ويقرأ، وبعد ما فرغ قَالَ: أُهدي ثواب هله القراءة لأمي الميتة ما نُنكِر عليه؛ لأن هلاً قال به بعض السَلَف، لكن لو سألني أقول: بعد ما تنتهي قل اللهم يا ربي يا حي يا قيوم أتوسل إليك بقراءة هله الآيات أن تغفر لأمي، وأن ترحمها، وتدعو لها، فإن هلاً ينفعها بإجماع العلماء، هلاً الله يأراه، لكن لا نُنكِر عَلَىٰ من فعَلَىٰ الآخر فلو أن إنسانًا ذهب إلى قبا وصلى وبعد ما صلى أهدى هلاً العمل الذي عمله إلى أبيه أو أمه فها نُنكِر عليه لكننا لا ننصحه به، ونقول: توسل إلى الله بالعمل الصالح، أمّا الإهداء فها فيه دليل عَلى وصول كل ثواب عمل صالح تهديه إلى أمواتك.

السؤال: هل يجوز للمعتكف أن يخرج للعمرة؟

الجواب: لا، لا يجوز بالإجماع، المعتكف ما يجوز له أن يذهب إِلَى العمرة.

ولذلك العلماء يقولون: مَن أراد العمرة في رمضان فليجعلها في العشرين الأُول إن أراد ليتفرغ في العشر الأَوْاخر للاعتكاف، لكن لو أراد ألا يعتكف ويعتمر له هلذا، لكن هل يجمع بين الاعتكاف العشر والعمرة العشر مع أن العمرة في العشر لا مزية لها، يا إخوة العمرة في رمضان من أَوْل لحظة في رمضان إِلَىٰ آخر لحظة في رمضان سواء، غدًا الناس يتكدسون في العُمرة ويعرضون أنفسهم للأخطار فلا مزية لها، والعمرة في رمضان تعدل حجة مع النَّبيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الشاهد: أنه ليس للمعتكف أن يخرج للعمرة حَتَّىٰ لو كان معتكفًا في المسجد الحرام فليس له أن يشترط الخروج للعمرة، وليس له أن يخرج للعُمرة.

السؤال: هل يجب عَلَىٰ المرأة المتوفى عنها زوجها أن تُخرِج زكاة الفطر عنها وعن أوْلادها الصِغار؟ الجواب: زكاة الفطر فريضة فرضها النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ كل مَن كان حيًا من المسلمين عند غروب شمس آخريوم من رمضان، والواجب عَلَىٰ مَن يُنفِق أن يُخرِج زكاة الفِطر، فالأطفال الَّذِين دون سن البلوغ يجب عَلَىٰ مَن ينفق عليهم النفقة واجبة أن يُخرِج زكاة الفِطر عنهم، ومَن فوق سن البلوغ هم مخيرون إن شاء أخرجوا بأنفسهم، وإن شاء أخرج الَّذِي يُنفِق عَلَىٰ البيت برضاهم.

وبناءً عَلَىٰ هلِذِه الأخت إِذَا كانت هي الَّتِي تنفق عليهم النفقة الواجبة فإنها تُخرِج زكاة الفطر عنهم، أَمَّا إِذَا كانت نفقتهم عَلَىٰ جهةٍ أخرى: مثل عَلَىٰ تتطوع هي إن شاءت وتُخرِج زكاة الفطر عنهم، أَمَّا إِذَا كانت نفقتهم عَلَىٰ جهةٍ أخرى: مثل عَلَىٰ الضهان أَوْ نحو ذلك فإنه يخرِج عنهم من نفقتهم ما دام أن نفقتهم تزيد عن نفقة يوم العيد وليلة العيد.



السؤال: هلذَا يقول: هل يجوز لي أن أُوكِل أحدًا في إخراج زكاة الفطر عني وعن أهلي؟

الجواب: يا إخوة خذوا قاعدة: زكاة الفطر الأفضل أن تتبع الجسد فتخرج حيث يوجد الجسد، أن من مصر، أوْ من المغرب، أوْ من ليبيا، أوْ من نيجيريا أوْ من أي مكان لكنك في المدينة الأفضل أن تُخرَج زكاة الفطر عنك في المدينة، أهلك في بلادك الأفضل: أن تُخرَج زكاة الفِطر عنهم في البلاد هذا الأصل، ويجوز أن تطلب منهم في البلاد أن يُخرِجوا عنك زكاة الفِطر معهم، ويجوز أن تُخرِج زكاة الفِطر في المدينة عنك وعنهم، ويجوز أن توكل غيرك أن يُخرِج عنك زكاة الفِطر بشرط أن يكون ثقة، وأن تعلم أنه يُخرِجها في وقتها ويُخرِجها طعامًا فإذَا كان ثقة وتعلم أنه يُخرِجها في وقتها ويُخرِجها طعامًا فإنك توكله في هذا.

لعلنا نقتصر عَلَىٰ هٰذَا ونُكمِل غدًا إِنْ شَاءَ اللهُ، واللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَىٰ وَأَعْلَمُ. وَصَلَّ اللهُ عَلَى نَبِيبِّنَا وَسَلَّم.



المجلس (۱۷)

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأتمان الأكملان عَلَىٰ المبعوث رحمةً للعالمين، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمَّا بَعْدُ؛

فهعاشر الفضلاء؛ اعلموا أن سُنة نبيكم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الاجتهاد في العشر الأَوْاخر كلها حَتَّىٰ ينسلخ الشهر، فها كان النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفتُر عن العبادة بعد ليلة، بل كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجتهد اجتهادًا عظيمًا، فكان يحيي ليلة، ويوقظ أهله، ويشد مئزره في جميع ليالي العشر الأَوْاخر. ونحن لا زلنا بحمد الله في شهر رمضان، ولا زلنا في العشر الأَوْاخر، ولا زلنا نرجو ما عند ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا زلنا نرجو ليلة القدر فإن ليلة القدر يمكن أن تكون في بقية هذه الليالي، وقد أرشدنا النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ التهاس ليلة القدر ليلة: (التاسع والعشرين)، وآخر ليلةٍ من رمضان.

ع فوصيتي لنفسي وإخواني: أن نستمر في طاعة ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن نزداد اجتهادًا، وأن يكثُر دعاؤنا لأن يتقبل الله عزَّ وَجَلَّ أن يختم لنا الشهر بغفرانه، ورحمته، وإكرام، وأن يعيد علينا شهر رمضان أعوامًا عديدة وأزمنةً مديدة، ونحن في أمنِ وإيهان وحالٍ رشيدة.

معاشر الفضلاء نواصل تفسيرنا لسورة: الجن، وقد كنا قرأنا الجزء اَلْأُوَّلُ من آياتها وفسرناها تفسيرًا موضوعيًا إيهانيًا إجماليًا، وبقي أن نفسرها تفسيرًا تفصيليًا، فيتفضل الآبن نور الدين وفقه الله والسامعين يقرأ لنا.

(الماتن)

الحَمْدُ اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين نَبِيِّنَا مُحَمَّد وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِیْنَ.

أَمًا بَعْدُ؛

قَالَ الإمام العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ قُلْ أُوحِى إِلَى اللّهِ مَنَ الْجِنِ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾ [الجن: ١]؛ قل يا أَيُّهَا الرسول للناس. ﴿ أُوحِى إِلَى أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِ ﴾ [الجن: ١]؛ صرفهم الله إلى رسوله لسماع آياته لتقوم عليهم المُحجة، وتتم عليهم النعمة، ويكونوا منذرين لقومهم.

وأمر الله رسوله أن يقص نبأهم عَلَىٰ الناس، وذلك أنهم لما حضروه قَالَوا انصِتوا فلما انصتوا فهموا معانيه، ووصلت حقائقه إلَىٰ قلوبهم.

(الشرح)

(قل يا أَيُّهَا الرسول للناس)؛ قيل: قل للناس من أُمَّةُ الإجابة وأُمَّةُ الدعوة.

عَ وقيل: قل لأُمتِك؛ أي: من أُمَّةُ الإجابة، وأخبرهم بهٰذَا الخبر الَّذِي أَوْحَى الله عَزَّ وَجَلَّ به إليك.

(صرفهم الله إلكى رسوله لسماع آياته لتقوم عليهم الحُجة، وتتم عليهم النعمة، ويكونوا منذرين لقومهم)؛ وذلك في أوْل مرة رأى الجن النّبِيّ صَلّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ وسمعوا منه القرآن، -كَمَا تَقَدَّمَ- بيانه، في هلاه المرة ما رآهم النّبِيّ صَلّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ وما سمعهم، ولكن جاءه الخبر بالوحي أنهم استمعوا للقرآن، وأنه حصل منهم كذا وكذا، ثُمَّ رجع هؤلاء النفر إلى قومهم من الجن وأخبروهم بما سمعوا، فصار الجن يأتون إلى النّبيّ صَلّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ متتابعين متكاثرين يستمعون القرآن.

وحدثت وقائع جاء فيها الجن إِلَى النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قصدًا وكلموه وكلمهم، واستمعوا له واستمع لهم، لكن هلِه هي المرة الْأُولَى الَّتِي التمس فيها الجن رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما رأَوْه من علاماتٍ في السماء.

(وأمر الله رسوله أن يقص نبأهم عَلَىٰ الناس، وذلك أنهم لما حضروه قَالَوا انصِتوا فلما انصتوا فهموا معانيه، ووصلت حقائقه إِلَىٰ قلوبهم)؛ العلماء يقولون: أول العِلم: الإنصات، والإنصات لا

بُدَّ فيه من أمرين: إنصات الأذن، وإنصات القلب، فإذا حصل لطالب العِلم، وطالب الخير، وطالب الخير، وطالب المُدى الإنصات بالقلب والإنصات بالسمع حصل الخير؛ لأن بعض الناس يُنصِت بسمعه لكنه يُعرِض بقلبه، ولا يُنصِت بقلبه بل يفكر كيف يدفع هذا الكلام لا كيف ينتفع من هذا الكلام، فهذا في الغالب لا ينتفع ولا يُحصِل خيرًا.

ولذلك يا إخوة: حريٌ بالمؤمن إِذَا سمع درسًا، أَوْ سمع موعظةً أَن يُنصِت بأُذنِه، وأَن يُنصِت بقَادِهِ، وأَن يُنصِت بقلبه حَتَّىٰ ينتفع مِمَّا يسمع.

(الماتن)

﴿ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾ [الجن: ١]؛ أي: من العجائب الغالية، والمطالب العالية.

﴿ يَهْدِى إِلَى الرُّشْدِ ﴾ [الجن: ٢]، والرشد: اسم جامع لكل ما يرشد الناس إلى مصالح دينهم ودنياهم.

﴿ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ [الجن: ٢]، فجمعوا بين الإيمان الذي يدخل فيه جميع أعمال الخير، وبين التقوى، المتضمنة لترك الشر.

(الشرح)

من جميع وجوهه، فالقرآن عجبٌ، فهو عَجبٌ من جهة لفظه، وعجبٌ من جهة معناه، وعجبٌ من جهة معناه، وعجبٌ من جهة من جهة أحكامه وحِكَمِه، وعجبٌ من جهة أخباره، وعجبٌ من جهة قصصه، وعجبٌ من جهة مواعظه، فالقرآن عجبٌ، وهو أَيْضًا مُعجِبٌ، فمَن استمع إِلَى القرآن مُنصِتًا فإن القرآن يعجبه.

﴿ وَآمَنًا بِهِ ﴾ [الجن: ٢])؛ آمنا بالقرآن، وآمنا بها في القرآن، وهلذَا معناه: أنهم آمنوا بالله عَزَّ وَجَلَّ، وآمنوا برسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(﴿ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ [الجن: ٢])؛ أحدًا نكِرَة في سياق النفي فتعم، فلن نُشرِك بربنا أحدًا من الخلق مها عَظُم، فالعبادة كلها لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(الماتن)

□ قَالَ رَحِمَهُ اللّهُ: وجعلوا السبب الداعي لهم إلى الإيمان وتوابعه، ما علموه من إرشادات القرآن، وما اشتمل عليه من المصالح والفوائد واجتناب المضار، فإن ذلك آيةٌ عظيمةٌ، وحُجةٌ قاطعةٌ،



لمن استنار به، واهتدى بهديه، وهذا الإيمان النافع، المثمر لكل خير، المبني عَلَىٰ هداية القرآن، بخلاف إيمان العوائد، والمربى والإلف ونحو ذلك، فإنه إيمان تقليدٍ تحت خطر الشبهات والعوارض الكثيرة.

﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا ﴾ [الجن: ٣].

﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا ﴾ [الجن: ٣]؛ أي: تعالت عظمته وتقدست أسماؤه، ﴿ مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾ [الجن: ٣] فعلموا مِن جد الله وعظمته ما دلهم عَلَىٰ بطلان من يزعم أن له صاحبة أَوْ ولدًا؛ لأن له العظمة والكمال في كل صفة كمال، واتخاذ الصاحبة والولد ينافي ذلك؛ لأنه يضاد كمال الغِنىٰ.

﴿ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴾ [الجن: ٤].

(الشرح)

مَن آمن وتحقق إيهانه نفعه إيهانه، لكن الإيهان الثابت القوي هو الَّذِي يبنى عَلَىٰ هداية القرآن وَالسُّنَّة، ويكون مبنيًا عَلَىٰ هلاِه الأدلة العظيمة، فإن هلاَ الإيهان يكون قويًا راسخًا لا يزعزعه شيء.

فأهل السُّنَة وَالْجَمَاعَة يقولون: مَن آمن صح إيهانه ونفعه، لكن يجب عَلَىٰ الإنسان أن يؤمِن بالأدلة، فإن لم يفعل فإنه يأثَم؛ لأنه ترك الواجب عليه وهو: التَّعَلُّم، والإيهان المبني عَلَىٰ الأدلة يكون إيهانًا ثابتًا راسخًا لا يتزعزع صاحبه ولا يتردد، ولذلك يجب عَلَىٰ كل مؤمن ومؤمنة أن يتعلم الإيهان بالأدلة وهلذا من فروض الأعيان.

(﴿ تَعَالَى ﴾ [الجن: ٣])؛ يعني: ارتفع وتعاظم.

(حَدُّ رَبِّنَا ﴾ [الجن: ٣])؛ جد يأتي بمعنى: عَظُم، يُقَالَ: مَن حفظ سورة البقرة جد في أعيننا؛ أي: عَظُم في أعيننا؛ فالمعنى: ارتفعت وتعالت عظمة ربنا وجلال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

﴿ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللّهِ شَطّطًا ﴾ [الجن: ٤]؛ السفيه هو: ضعيف العقل، ومَن المراد به هنا؟ قَالَ جماعةٌ من المفسرين هو: معينٌ من الجن، كان معروفًا عندهم بأنه ينسب الصاحبة والولد إِلَىٰ الله، وقَالَ بعض المفسرين: هذَا اسم جنسٍ لكل مَن ينسِب إِلَىٰ الله ما لا يليق بجلاله من الجن، فكل مَن ينسِب إِلَىٰ الله ما لا يليق بجلاله لا شَكَّ أنه سفيه سواء كان من الجن أَوْ كان من الإنس، لكن الكلام هنا عن سفيه من الجن.

ب فمن هو هذا؟

أكثر المفسرين يقولون: إبليس، وبعض المفسرين يقولون: جنيٌ معين كان معروفًا بنسبة الولد والزوجة إِلَىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وبعض المفسرين يقولون: لا فهاذَا اسم جنس يصدق عَلَىٰ كل جني ينسب إِلَىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ ما لا يليق بجلاله، كأن ينسب إليه الشريك، أوْ ينسب إليه الولد، أوْ ينسب إليه الزوجة أوْ غير ذلك.

(الماتن)

﴿ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴾ [الجن: ١]؛ أي: قولا جائرا عن الصواب، متعديا للحد، وما حمله عَلَىٰ ذلك إِلَّا سفهه وضعف عقله، وَإِلَّا فلو كان رزينًا مطمئنًا لعرف كيف يقول.

﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ [الجن: ٥]؛ أي: كنا مغترين قبل ذلك، وغرنا القادة والرؤساء من الجن والإنس، فأحسنا بهم الظن، وظنناهم لا يتجرأون عَلَىٰ الكذب عَلَىٰ الله، فلذلك كنا قبل هٰذَا عَلَىٰ طريقهم، فاليوم إذ بان لنا الحق، رجعنا إليه، وانقدنا له، ولم نبال بقول أحد من الناس يعارض الهُدىٰ.

﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ [الجن: ٦]؛ أي: كان الإنس يعبدون الجن ويستعيذون بهم عند المخاوف والأفزاع ويعبدونهم.

فزاد الإنس الجن رهقًا؛ أي: طغيانا وتكبرا لما رأوا الإنس يعبدونهم، ويستعيذون بهم.

ويُحتمَل أن الضمير في زادوهم يرجع إِلَىٰ الجن ضمير الواو؛ أي: زاد الجن الإنس ذعرا وتخويفا لما رأوهم يستعيذون بهم ليلجئوهم إِلَىٰ الاستعاذة بهم وَالتَّمَسُّك بما هم عليه.

(الشرح)

(كان الإنس يعبدون الجن ويستعيذون بهم عند المخاوف والأفزاع ويعبدونهم)؛ ومن ذلك أن يمر الرجل بالوادي فيه الجن في إليهم ويتعوذ بهم، ويلجأ إليهم، ولا زال بعض الناس إذا سمعوا بالجن أو سمعوا بوجودهم يتعوذون بالجن، ومن ذلك الجملة المشهورة عند الناس أنهم يقولون: دستوريا أسيادنا؛ فهلاً من التعوذ بالجن -والعِيَاذُ بالله-.

وكان بعضهم يستعيذ بسيد الوادي، فإذًا دخل الوادي ومعه مال، أَوْ معه أهله قَالَ: نعوذ سيد هذًا الوادي من أن نُضر في أنفسنا، أَوْ أهلينا، أَوْ أموالنا، وقد ذَكَرَ بعض السَلَف أن الجن كانوا يخافون



من الناس، فإذًا قَدِم الإنسي إِلَىٰ الوادي فر الجن، فصار الإنس يستعيذون بالجن وينادون عامر الوادي وسيد الوادي فعلمت الجن أن الناس يخافون منهم.

(فزاد الإنس الجن رهقًا)؛ ما معنى رهق هنا؟ يعني: طغيانًا وكِبرًا؛ لأنهم لما رأَوْا الإنس يتعوذون بهم ويلجئون إليهم زادهم كِبرًا وطغيانًا، وصاروا يجورون عَلَىٰ بني آدم ويجرؤون عَلَىٰ بني آدم، ويؤذون بني آدم.

(ويُحتمَل أن الضمير في زادوهم يرجع إِلَىٰ الجن ضمير الواو)؛ فزاد الجن الإنس رهقًا؛ أي: خوفًا، وذُعرًا، وصاروا يخوفون الإنس؛ لأن الناس ما يرون الجن فيفعلون أشياء من أجل أن يخاف منهم الإنس ليزدادوا تقرُبًا إليهم وتعوذًا بهم.

(الماتن)

فكان الإنسى إِذَا نزل بوادٍ مخوف قَالَ: "أعوذ بسيد لهذَا الوادي من سفهاء قومه".

﴿ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴾ [الجن: ٧]؛ أي: فلما أنكروا البعث أقدموا على الشرك والطغيان.

﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴾ [الجن: ٨]؛ أي: أتيناها واختبرناها. ﴿ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا ﴾ [الجن: ٨]؛ عن الوصول إِلَىٰ أرجائها والدنو منها.

(الشرح)

﴿ وَأَنَّهُمْ ﴾ [الجن: ٧]؛ مَن هم هؤلاء؟ هؤلاء هم: كفار الإنس، فالجن يقولون: أن كفار الإنس ظنوا كما ظننتم أنتم أنه لا بعث ولا جزاء فقادهم ذلك إلى الطغيان.

(﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ ﴾ [الجن: ٨])؛ أي: وطلبناها صعودا إليها.

(﴿ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا ﴾ [الجن: ١])؛ فهناك ملائكةً شِداد تحرسها وتطرد مَن يقترب منها، وهلذَا عَلَىٰ خلاف فيها اعتادوه.

(الماتن)

﴿ وَشُهُبًا ﴾ [الجن: ٨]، يُرمى بها مَن استرق السمع، وَ هٰذَا بخلاف عادتنا الْأُولَىٰ، فإنا كنا نتمكن من الوصول إِلَىٰ خبر السماء.

﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ﴾ [الجن: ٩]، فنتلقف من أخبار السماء ما شاء الله.

﴿ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا ﴾ [الجن: ٩]؛ أي: مرصدا له، معدا لإتلافه وإحراقه، أي: وهٰذَا له شأنٌ عظيم، ونبأٌ جسيم، وجزموا أن الله تَعَالَىٰ أراد أن يُحدِث في الأرض حادثًا كبيرًا من خيرٍ أَوْ شر، فلهذا قالوا: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِى أَشَرُّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ [الجن: ١٠]؛ أي ثلا بُدّ من هٰذَا أَوْ هٰذَا.

لأنهم رأوا الأمر تغير عليهم تغيرا أنكروه، فعرفوا بفطنتهم أن هذا الأمر يريده الله، ويحدثه في الأرض، وفي هذا بيان لأدبهم، إذ أضافوا الخير إلى الله تعالى، والشر حذفوا فاعله تأدبا مع الله.

(الشرح)

نعم هم علموا من هاذا التغير في السماء أن هناك أمرًا عظيمًا سيحدث في الأرض، واللَّذِي يحدث في الأرض وأمَّا أنه شر، وهم لم يعلموا هل هو خير أوْ شر، وأخذوا يطوفون الأرض يبحثون ويلتمسون هاذا الشيء ما هو.

(لأنهم رأوا الأمر تغير عليهم تغيرا أنكروه، فعرفوا بفطنتهم أن هذا الأمر يريده الله، ويحدثه في الأرض، وفي هذا بيان لأدبهم)؛ نعم قَالَوا: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِى أَشَرُّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ لَأَرْضِ الله عَزَّ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ [الجن: ١٠]، ما ذَكَرَوا الفاعل، ففي الخير ذكروا الفاعل وهذا من باب الأدب مع الله عَزَّ وَجَلّ، ومن جهةٍ أخرى: أن كل ما يكون من فعل الله خيرٌ وليس شرًا؛ لأنه عن حِكمةٍ، وعِلمٍ، وعدل.

﴿ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَابِقَ قِدَدًا ۞ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا ۞ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ۞ وَأَنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَيِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ۞ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لَجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ [الجن: ١١-١٥].

(الشرح)

في هانِه الآيات العظيمة يُخبِر الجن عن أنفسهم أنهم ليسوا عَلَىٰ درجةٍ واحدة، ولا عَلَىٰ طريقٍ واحد، بل هم فِرقٌ متعددة، فمنهم: الصالحون المتقون المستقيمون، ومنهم: ضعفاء الإيهان المُكثِرون من المعاصي، ومنهم: كفار، فهم كالبشر، وأنهم بعد أن سمعوا القرآن من النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أيقنوا أن الله عَزَّ وَجَلَّ قادرٌ عليهم ومحيطٌ بهم، فأيقنوا بكمال قدرة عَزَّ وَجَلَّ عليهم، وكمال عجزهم، وضعفهم، وافتقارهم إِلَىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فلو أرادوا الفرار من عقابه وعذابه فإنهم لن يستطيعوا هربًا، فلن يستطيعوا أن يهربوا في السهاء، ولن يستطيعوا أن يهربوا إلى السهاء، فهم تحت سلطان الله وقدرته ولن يستطيعوا أن يهربوا إلى السهاء، فهم تحت سلطان الله وقدرته سبخانه و تعالى، فهو سبحانه عليهم قادرٌ حاكم لا يُعجِزه أحدٌ منهم، وأنهم عندما سمعوا القرآن آمنوا به، وأنه من الله عَزَّ وَجَلَّ، وأن الأمن كله في الإيهان، فمن يؤمن بربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يخاف إنقاصًا من حسناته، بل تُضاعَف له وتُزاد، ولا يخاف تحميلًا له ما لم يعمل، ولا تُزاد عليه سيئات بل يعفو ربه عن كثير.

كما يُخبِر الجن أن منهم: المسلمين المستسلمين لله عَزَّ وَجَلَّ، ومنهم: الجائرين الظالمين، والله يجازيهم عَلَىٰ أعالهم، فمَن أسلم منهم وخضع لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فأَوْلئك الَّذِين سلكوا طريق الحق والصواب، وساروا في طريق الفوز والنجاة، وَأَمَّا المائلون عن الحق الظالمون فيعذبهم الله عَزَّ وَجَلَّ في جهنم جزاءً عَلَىٰ أعالهم لا ظلمًا لهم، فهاذَا هو المعنى الموضوعي الإيماني الإجمالي لهذِه الآيات، ونقرأ تفسيرها التفصيلي.

(الماتن)

- ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ ﴾ [الجن: ١١]؛ أي: فساقٌ، وفجارٌ، وكفار.
 - ﴿ كُنَّا طَرَابِقَ قِدَدًا ﴾ [الجن: ١١].
- ﴿ كُنَّا طَرَابِقَ قِدَدًا ﴾ [الجن: ١١]؛ أي: فرقا متنوعة، وأهواء متفرقة، كل حزب بما لديهم فرحون.
- ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا ﴾ [الجن: ١٦]؛ أي: وأنا في وقتنا الآن تبين لنا كمال قدرة الله وكمال عجزنا، وأن نواصينا بيد الله فلن نعجزه في الأرض ولن نعجزه إن هربنا وسعينا بأسباب الفرار والخروج عن قدرته، لا ملجأ منه إِلَّا إليه.
- ﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى ﴾ [الجن: ١٣]؛ وهو القرآن الكريم، الهادي إِلَىٰ الصراط المستقيم، وعرفنا هدايته وإرشاده، أثر في قلوبنا ف ﴿ آمَنَّا بِهِ ﴾ [الجن: ١٣].
 - ثُمَّ ذكروا ما يرغب المؤمن فقالوا: ﴿ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴾ [الجن: ١٣].

(الشرح)

الحظ هنا رعاك الله: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ ﴾ [الجن: ١١]، وبعد آيات: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ﴾ [الجن: ١٤]، الْأُولَى: في صفاتهم، والثانية: في دينهم، فهم منهم الصالحون المتصفون بالصلاح، ومنهم مَن هو دون ذلك حَتَّىٰ يصلوا إِلَىٰ الكفر، وهم من جهة الدين منهم مسلمون ومنهم كفار.

(﴿ طَرَابِقَ ﴾ [الجن: ١١])؛ جمع: طريقة، والطريقة هي: المذهب؛ أي: كنا عَلَىٰ مذاهب.

(وَقِدَدًا ﴾ [الجن: ١١])؛ القدة هي: القطعة من الشيء، فالقِدَد هي: الأجناس المختلفة؛ فمعنى طرائق قددًا: فِرقًا متنوعة مختلفة.

(﴿ بَخْسًا ﴾ [الجن: ١٣])؛ والبخس هو النقص.

(﴿ وَلَا رَهَقًا ﴾ [الجن: ١٣])؛ والرهق هو: الغشيان والحمل.

فلا يخاف نقصًا من خيره ولا يخاف تحميلًا له شرًا لم يعمله.

(الماتن)

أي: لا نقصًا ولا طغيانًا ولا أذى يلحقه، وإذا سَلِم من الشر حصل له الخير، فالإيمان سببٌ داعٌ إِلَىٰ حصول كل خير وانتفاء كل شر.

﴿ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ﴾ [الجن: ١٤]؛ أي: الجائرون العادلون عن الصراط المستقيم.

﴿ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَيِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴾ [الجن: ١٤]؛ أي: أصابوا طريق الرُشد الموصل لهم إِلَىٰ الجنة ونعيمها.

﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ [الجن: ١٥]؛ وذلك جزاء على أعمالهم، لا ظلم من الله لهم، فإنهم ﴿ وَأَلُّو اسْتَقَامُوا عَلَى الطّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴾ [الجن: ١٦].

﴿ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴾ [الجن: ١٦]؛ أي: هنيئًا مريئًا، ولم يمنعهم من ذلك إِلَّا ظلمهم وعدوانهم.

(الشرح)

﴿ تَحَرُّوا ﴾ [الجن: ١٤]؛ أي: طلبوا.

وقيل رشدا أي: نجاةً؛ أي: طلبوا نجاةً، وهذا هو طريق النجاة.

﴿ وَأَلُّو اسْتَقَامُوا ﴾ [الجن: ١٦]؛ قيل هم: الإنس والجن، فلو استقاموا عَلَىٰ الطريقة المُثلى الَّتِي جاء بها رُسُل الله عليهم السلام.

(أي: هنيئًا مريئًا)؛ وكثيرًا متتابعًا، ونزول المطر الكثير سببٌ لحصول الخير الكثير، ن فتفجر لهم الخبرات والمركات.

(الماتن)

﴿ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا ۞ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكُهُ عَذَابًا صَعَدًا ۞ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَسْلُكُهُ عَذَابًا صَعَدًا ۞ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ [الجن: ١٦-١٩].

(الشرح)

(﴿ لِتَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ [الجن: ١٧]؛ أي: لنختبرهم فيه ونمتحنهم ليظهر الصادق من الكاذب)؛ إِذًا هلاً المعنى أن لو استقام الإنس والجن عَلَىٰ الخير وعَلَىٰ ما جاء به الرُسُل لفجرنا لهم البركات وأنزلنا عليهم البركات من السماء، وفجرنا لهم البركات من الأرض، لِمَا ؟ لنختبرهم ونفتنهم: هل يشكرون الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ هلاِه النِعمة ويثبتون عَلَىٰ الدين، أم يرتدون إِلَىٰ الغواية -وَالعِيَاذُ باللهِ-.

هذِه الآيات العظيمة يقول الله عَزَّ وَجَلَّ لرسوله صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه لو سار الجن والإنس عَلَىٰ التوحيد والطريقة المثلى الَّتِي جاء بها الرُسُل من عند ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لأنزل الله ماءً كثيرًا، هنيئًا، مباركًا، متتابعًا وأخرج لهم به الأرزاق من الأرض وذلك ليختبرهم في ذلك: أيشكرون ربهم عَلَىٰ النعمة ويثبتون عَلَىٰ التوحيد والدين، أم تغرهم الدنيا، وتلهيهم الدنيا ويرتدون من الهداية إلى الغواية، ومَن يُعرِض عن القرآن وهُداه يُدخِله الله عذابًا شديدًا، مُعذِبًا متزايدًا في الشدة والألم لا يقل ولا يخفف ولا يتعود عليه الإنسان.

• وَهِمَّا أَوْحَاهُ الله إِلَى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأهره أَه يخبر به: أَن المساجد إِنَّمَا تُبنى لعبادة الله وحده فاعبدوا الله ووحدوه، ولا تدعوا معه أحدًا لا دعاء عبادة، ولا دعاء مسألة، فإنه لا يستحق العبادة أحدٌ إِلَّا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فمَن صرف شيئًا من العبادة لمخلوق من المخلوقات فقد أشرك بريه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ،

19

وهما أوْحاه الله لنبيه صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ: أنه لما قام عبد الله ورسوله مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو إِلَىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ اجتمع عليه الكفار من الجن والإنس وتمالؤوا عليه وَسَلَّمَ يدعو إِلَىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ اجتمع عليه الكفار من الجن والإنس وتمالؤوا عليه يريدون أن يطفئوا النور الَّذِي جاء به، ويريدون رد دعوته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هاذًا المعنى الموضوعي الإيماني الإجمالي لهذِه الآيات.

(الماتن)

□ قَالَ الشيخ السِعدي رَحِمَهُ اللّهُ: ﴿ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطّرِيقَةِ ﴾ [الجن: ١٦] المثلى ﴿ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴾ [الجن: ١٦]؛ أي: هنيئًا مريئًا، ولم يمنعهم ذلك إِلَّا ظلمهم وعدوانهم

﴿ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ [الجن: ١٧]؛ أي: لنختبرهم فيه ونمتحنهم ليظهر الصادق من الكاذب.

﴿ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكُهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ [الجن: ١٧]؛ أي: مَن أعرض عن ذكر الله، الّذِي هو كتابه، فلم يتبعه وينقد له، بل غفل عنه ولهي، يسلكه عذابًا صعدًا أي: شديدًا بليغًا.

﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨]؛ أي: لا دعاء عبادة، ولا دعاء مسألة، فإن المساجد الَّتِي هي أعظم محال العبادة مبنية عَلَىٰ الإخلاص لله، والخضوع لعظمته، والاستكانة لعزته، ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾ [الجن: ١٩]؛ أي: يسأله ويتعبد له ويقرأ القرآن كاد الجن من تكاثرهم عليه أن يكونوا عليه لِبدًا، أي: متلبدين متراكمين حرصا عَلَىٰ سماع ما جاء به من الهدى. (الشرح)

﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ [الجن: ١٧]؛ أي: لنختبرهم فيه ونمتحنهم ليظهر الصادق من الكاذب):

لل على هذا المعنى -كَمَا قُلْنا-: ألو استقام الأنس والجن عَلَى التوحيد وعَلَى تقوى الله وعَلَى الطريق المثلى الَّتِي جاء بها الأنبياء عليهم السلام من عند ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لأنزلنا عليهم البركات من السهاء واسقيناهم ماءً مُباركا كثيرًا متتابعًا وفجرنا لهم الخيرات من الأرض لنفتنهم ونختبرهم بزهرة هلِه الدنيا، هل يشكرون الله عَلَى النِعمة فيثبتون عَلَى توحيدهم ودينهم، أم أن الدنيا تلهيهم وتطغيهم فيميلون عن طريق الهداية إِلَى طريق الغواية؟ وهلذَا أحد أقوال المفسرين.

لل والقول الثاني: قَالَ بعض المفسرين: المعنى ألو استقام أهل الكفر عَلَىٰ كفرهم واستمروا عَلَىٰ كفرهم معاندين لرُسلِهم لأنزلنا عليهم من السهاء ماءً كثيرًا متتابعًا استدراجًا لهم، وفتحنا عليهم زهرة الدنيا استدراجًا لهم، واختبارًا لغيرهم.

(T)

فأنت يا أخي الآن مثلًا: ترى بعض الكفار يعيشون في رفاهية في الدنيا وأثرياء وعندهم أموال لا تُعَد، ويعيشون كها يقولون بالطول والعرض، فالله يستدرجهم ويختبر المؤمنين بهم، فبعض الناس قد يترك دينه من أجل الدنيا، وقد يَضعُف تمسكه بدينه من أجل الدنيا، فعَلَىٰ هذَا المعنى: ألو استقام الكفار عَلَىٰ كفرهم وليس عَلَىٰ الطريقة المُثلى، بل عَلَىٰ كفرهم وعاندوا رُسُلهم لاستدرجناهم، كيف نستدرجهم؟ نفتح عليهم الدنيا، ونفتح عليهم زهرة الدنيا، فيكون ذلك استدراجًا لهم واختبارًا لغيرهم بهم، فهاذَان القولان للمفسرين في كتب التفسير.

(﴿ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكُهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ [البن: ١٧]؛ أي: مَن أعرض عن ذكر الله هنا الذي هو كتابه، فلم يتبعه وينقد له)؛ عَلَىٰ هٰذَا المعنى الَّذِي ذكره الشيخ السِعدي رَحِمَهُ اللَّهُ ذِكر الله هنا هو: ذِكر الله بالقلب واللسان، فهو معرضٌ عن ذِكر الله لا يذكر الله بقلبه ولا يذكر الله بلسانه، وكلا المعنيين صحيح؛ مَن أعرض عن القرآن، ومَن أعرض عن ذِكر الرحن مطلقًا فلم يذكر الله بقلبه ولم يذكر الله بلسانه فإنه متوعدٌ بهٰذَا الوعيد الشديد. (بل غفل عنه ولهي، يسلكه عذابًا صعدًا أي: شديدًا بليغًا)؛ صعدا قَالَ بعض المفسرين أي: بليغًا شديدًا، موجِعًا مؤلًا، وقَالَ بعض المفسرين أي: بمشقةٍ لا راحة فيها أبدًا.

- م وقَالَ بعض المفسرين: الصعد جبلٌ في جهنم يُعذَب أصحاب النَّار به بصعوده.
 - م وقيل: صخرةً في جهنم، وقيل: بئرٌ في جهنم.
- ع وقيل: هو بأن يُعذَب الكافر بالصعود والنزول في جهنم، وكلها أنواع من العذاب في جهنم فهو عذابٌ لا راحة منه، ولا تخفيف فيه.
- (﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ ﴾ [الجن: ١٨])؛ المعنى: قل أَوْحي إليّ أن المساجد، فهاذَا عطف عَلَىٰ أول السورة.
- (﴿ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ ﴾ [الجن: ١٨])؛ أكثر المفسرين عَلَىٰ أن المساجد هنا بيوت الله الَّتِي تُبنى لعبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.
- م وقَالَ بعض المفسرين: هي الأرض كلها، فالأرض كلها لله؛ ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْعًا ﴾ [النساء: ٣٦].

ك وقالَ بعض المفسرين: المساجد مواضع السجود من الإنسان، المواطن السبعة للسجود هي المساجد، ولا مانع من أن يكون الكل مقصودًا، فالمساجد الَّتِي هي البيوت الَّتِي توقَف وتُبنى لله، والأرض كلها لله وهي للمؤمن مسجد، ومواطن السجود لله، فكل هذا مؤداه واحد وهو: ألا يعبد الإنسان إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فلا يستحق العبادة إلَّا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾ [الجن: ١٩])؛ عبد الله هنا هو: رَسُولُ اللَّهِ مُحَمَّدٌ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(﴿ يَدْعُوهُ ﴾ [الجن: ١٩])؛ قيل: يصلي، لما قام يصلي ويقرأ القرآن بأصحابه، وقيل: يطلبه ويسأله، وقيل: يدعو إليه.

(كَاد الجن من تكاثرهم عليه أن يكونوا عليه لِبدًا، أي: متلبدين متراكمين حرصا عَلَى سماع ما جاء به من الهدى)؛ هذَا هو أحد أقوال المفسر، وهؤلاء النفر من الجن وقد قلنا: أنهم ما بين ثلاثة إِلَى عشرة، فلما سمعوا القرآن وآمنوا به رجعوا إِلَى قومهم فأخبروهم ما وجدوا، فصار الجن يذهبون إِلَى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ متتابعين متكاثرين ليسمعوا منه القرآن فصاروا متجمعين حوله من حرصهم عَلَىٰ استماع القرآن.

عن حال النّبِيّ صَلّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصلاة، وحال أصحابه معه في متابعته وشدة متابعته، حَتّىٰ عن حال النّبِيّ صَلّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ في الصلاة، وحال أصحابه معه في متابعته وشدة متابعته، حَتّىٰ أنهم كادوا أن يكونوا عليه لِبدًا من شدة متابعتهم له صَلّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ.

كَ وَقَالَ بعض المفسرين المعنى: أنه لما قام النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو إِلَىٰ التوحيد وينهى عن الشِّرْك تمالاً عليه الكفار من الجن والإنس يريدون إطفاء دعوته ورد دعوته، فكادوا أن يكونوا لِبدًا عليه؛ أي: متظاهرين مجتمعين عليه.

وهاندًا اختاره جمع من محققي المفسرين أن المقصود: أنه لما قام النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو إِلَىٰ التوحيد كاد كفار الجن والإنس أن يكونوا جماعةً واحدةً متظاهرةً عليه لإطفاء النور الَّذِي جاء به من عند ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(الماتن)

﴿ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۞ قُلْ إِنِي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللّهِ أَحَدُ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۞ إِلّا بَلاغًا مِنَ اللّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۞ حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ۞ قُلْ إِنْ أَدْرِى أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ۞ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۞ إِلّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ۞ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ [الجن: ٢١-٢٨].

(الشرح)

في هلاه الآيات العظيمة يأمر الله عَزَّ وَجَلَّ نبيه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَن يبين للإنس والجن حقيقة دعوته، وأنه رسولٌ من الله يحقق التوحيد ويأمر بتحقيق التوحيد، فهو صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو ربه وحده ولا يُشرِك معه أحدًا ويأمر الناس بذلك، ويأمر الله عَزَّ وَجَلَّ نبيه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَن يقول للناس إنه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يقدر أن يدفع عنهم ضُرًا أَوْ يجلب لهم نفعًا وإن ذلك كله بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فها هو صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا بشرٌ يوحى إليه، يعبد ربه ويأمر بعبادة ربه وما أمره به ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فيُكرِمه إن وحد وأطاع وهو فاعلٌ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولو عصى وليس بفاعلٍ فلن ينقذه أحد من عذاب الله، ولن يجد ملجأ يهرب إليه من عذاب الله، وليس له مزيةٌ عَلَىٰ البشر إِلَّا أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أكرمه وشرفه بالرسالة، فهو صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبدٌ لا يُعبَد، ورسولٌ لا يُكذَب، ويؤمَن به صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويُتبَع ويُطاع، ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولُهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ [الجن: ٣٣]، فلا يخرجون منها أبدًا.

وإِذَا استمر أَوْلئك العُصاة الكفار عَلَىٰ كفرهم حَتَّىٰ إِذَا رأَوْا ما يوعدون وشاهدوا عيانًا بأبصارهم يوم القيامة وما فيه من الأهوال فسيعلمون عند ذلك أن القوة كلها لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ﴿ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُ عَدَدًا ﴾ [الجن: ٢٤]؛ من المؤمنين أَوْ الكافرين، وعند ذاك لا ينفعهم العِلم، بل يكون حسرة عليهم وندامة.



ويأمر الله عَزَّ وَجَلَّ رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أن يقول للكفار من الجن والإنس المستعجلين العذاب المستبعدين وقوعه لست أدري هل العذاب توعدون به يوم القيامة قد أقترب أوانه وزمانه ووقوعه، أم يجعل له ربي وقتًا طويلًا قبل أن يأتي، هذا من جهة وقت وقوعه فإنه لا يعلم وقت وقوعه إلَّا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أَمَّا من جهة كونه واقعًا لا محالة فهو قريب فإن كل آتٍ قريب، لكن لا يعلم وقت وقوعه إلَّا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو عالم الغيب فلا يُطلِع غيبه أحدًا من خلقه إلَّا مَن ارتضى من رسولٍ من الملائكة أوْ من الناس لتبليغ رسالته فإنه سبحانه يُطلِعُهم عَلَىٰ بعض الغيب حَتَّىٰ يبلغوه للناس، ليؤمنوا به وليكون ذلك دليلًا عَلَىٰ صدقهم.

فها من نبي أتى قومه إِلَّا وأطلعه الله عَلَىٰ بعض الغيب أخبر به قومه ليؤمنوا به، ويُرسِل الله عَزَّ وَجَلَّ عند ذاك حفظةً من الملائكة يحفظون ذلك الغيب حَتَّىٰ لا يسمعه غير ذلك الرسول فلا يصل إليه أحدُّ إِلَّا مَن ارتضى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ رسالته، فالله علام الغيوب ولا يعلم أحدُّ من الخلق الغيب إلَّا أن يرتضي الله عَزَّ وَجَلَّ رسولًا من الملائكة أَوْ من البشر فيوحي إليه بعض الغيب، ويُطلِعه عَلَىٰ بعض الغيب.

وعند ذاك يشتد الحفظ للوحي فتكون هناك ملائكة تحفظ هذا الغيب حَتَّى لا يستمع جنّ، ولا يتكهن متكهنّ، فلا يعلم هذا الغيب إلَّا هذا الرسول من الملائكة، وهذا الرسول من البشر، ثُمَّ يقوم هذا الرسول بإبلاغ الناس هذا الغيب لا من عنده ولكن بوحي من ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ليعلم مُحَمَّدٌ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ قد أبلغ رسالة ربه كها هي من غير زيادةٍ ولا نُقصان، وليعلم مُحَمَّدٌ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الرُسُل قبله قد أبلغوا رسالات ربهم من غير زيادةٍ ولا نُقصان؛ لأن محمدًا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمتهُ سيشهدون للأنبياء عليهم السلام بذلك يوم القيامة.

ونحن والله قد علمنا أن كل الأنبياء قد بلغوا رسالات ربهم عَلَىٰ وجه التهام من غير زيادة ولا نُقصان، وعَلَىٰ وجه الصفاء من غير شوبٍ شاب تلك الرسالات، والله سُبْحَانَهُ قد أحاط ما أوْحاه إليهم من الغيب بالحفظة الَّذِين حفظوه، وأنه سُبْحَانَهُ قد أحاط عِلمه بها عند جميع رسله عليهم السلام وأحصى كل شيء عددًا فلا يغيب عنه شيءٌ في الأرض ولا في السهاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هلذا هو المعنى الموضوعي، الإجمالي، الإيهاني لهذِه الآيات.

(الماتن)

﴿ قُلْ ﴾ [الجن: ٢٠]؛ لهم يا أيها الرسول، مبينا حقيقة ما تدعو إليه: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ٢٠]؛ أي: أوحده وحده لا شريك له، وأخلع ما دونه من الأنداد والأوثان، وكل ما يتخذه المشركون من دونه.

﴿ قُلْ إِنِي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرَّا وَلَا رَشَدًا ﴾ [الجن: ٢١] فإني عبد ليس لي من الأمر ولا من التصرف شيء.

﴿ قُلْ إِنِي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللّهِ أَحَدُ ﴾ [الجن: ٢٢]؛ أي: لا أحد أستجير به ينقذني من عذاب الله وإذا كان الرسول الَّذِي هو أكمل الخلق، لا يملك ضرا ولا رشدا، ولا يمنع نفسه من الله شيئًا إن أراده بسوء، فغيره من الخلق من باب أولئ وأحرى.

﴿ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ [الجن: ٢٧]؛ أي: ملجاً ومنتصّرا.

﴿ إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ ﴾ [الجن: ٢٣]؛ أي: ليس لي مزية عَلَىٰ الناس، إِلَّا أن الله خصني بإبلاغ رسالاته ودعوة الخلق إِلَىٰ الله، وبهذا تقوم الحجة عَلَىٰ الناس.

(الشرح)

(أي: لا أحد أستجير به ينقذني من عذاب الله)؛ يعني: ينقذني من عذاب الله إن فعلت سببه وليس بفاعل صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(لا يملك ضرا ولا رشدا، ولا يمنع نفسه من الله شيئًا إن أراده بسوء، فغيره من الخلق من باب أولى وأحرى)؛ وإذا كان النّبِيّ صَلّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ لا يملك لنفسه ولا يملك لغيره من دون الله شيئًا فإنه يجزم أنه لا يستحق أحدٌ شيئًا من العبادة، فليس لأحد من دون الله شيئًا من العبادة، فإن الّذِي يملك النفع والضرهو الله شبعًانهُ وتَعَالَىٰ وهو المستحق للعبادة.

ولذلك عندما يأتي أُناس ويسألون رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويدعون رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هم أولًا: تركوا حق ربهم فأشركوا بالله عَزَّ وَجَلَّ، وثانيًا: ما استجابوا لأمر رسولهم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي أمرهم بدعاء الله وحده، ونهاهم عن دعاء غير ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإذَا أدركت يا عبد أن ربك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الَّذِي بيده الأمر كله وإليه يُرجع الأمر كله فإن الفرض عليك وحق

الله عليك ألا تسأل إِلَّا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكل مخلوقٍ يدعو ولا يُدعى، فكل مخلوق يدعو ربه ويسأل ربه ولا يُدعى من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(إِلّا أن الله خصني بإبلاغ رسالاته ودعوة الخلق إِلَى الله، وبهذا تقوم الحجة عَلَى الناس)؛ وقيل: إلّا هنا باستثناء منقطع بمعنى: لكن؛ المعنى: لكن أملك لكم أن أبلغكم ما أرسلني ربي به، وفيه خيركم وفلاحكم ونجاحكم ونفعكم في الدنيا والآخرة، فإلا هنا بمعنى لكن، فأنا لا أملك لكم من دون الله شيئًا لكن أملك ما جعله الله لي وهو: أن أبلغكم رسالات ربي، أبلغكم رسالة ربي آمركم بالتوحيد، وأنهاكم عن الشَّرْك، وآمركم بالخير وفي ذلك خيركم، وفلاحكم، ونجاحكم ونفعكم في الدنيا والآخرة.

(الماتن)

﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ [الجن: ٢٣]؛ وهذا المراد به المعصية الكفرية، كما قيدتها النصوص الأخر المحكمة.

وَأَمَّا مجرد المعصية، فإنه لا يوجب الخلود في النَّار، كما دلت عَلَىٰ ذلك آيات القرآن، والأحاديث عن النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأجمع عليه سلف الأُمَّة وأئمة لهذِه الأُمَّة.

﴿ حَتَّى إِذَا رَأُوا مَا يُوعَدُونَ ﴾ [الجن: ٢٤]؛ أي: شاهدوه عيانًا، وجزموا أنه واقع بهم، ﴿ فَسَيَعْلَمُونَ ﴾ [الجن: ٢٤]؛ في ذلك الوقت حقيقة المعرفة، ﴿ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُ عَدَدًا ﴾ [الجن: ٢٤]؛ حين لا ينصرهم غيرهم ولا أنفسهم ينتصرون، وإذ يُحشرون فُرادى كما خُلِقوا أول مرة.

﴿ قُلْ ﴾ [الجن: ٢٥]؛ لهم إن سألوك فقالوا مَتَىٰ هٰذَا الوعد؟ ﴿ إِنْ أَدْرِى أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴾ [الجن: ٢٥]؛ أي: غاية طويلة، فعلم ذلك عند الله.

﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ٢٦]؛ من الخلق، بل انفرد بعلم الضمائر والأسرار والغيب.

﴿ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ﴾ [الجن: ٢٧]؛ أي: فإنه يخبره بما اقتضت حكمته أن يخبره به، وذلك لأن الرسل ليسوا كغيرهم، فإن الله أيدهم بتأييد ما أيده أحدا من الخلق، وحفظ ما أوحاه إليهم حَتَّىٰ يبلغوه عَلَىٰ حقيقته، من غير أن تتخبطهم الشياطين، ولا يزيدوا فيه أَوْ ينقصوا.



ولهذا قَالَ: ﴿ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾ [الجن: ٢٧]؛ أي: يحفظونه بأُمر الله. (الشرح)

لَا شَكَّ يا إخوة أن من عصى الله عصيانًا مطلقًا وعصى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عصيانًا مطلقًا بحيث لا طاعة فلا شك أنه خالدٌ مُخلَدٌ في النَّار، وَلا شَكَّ أن من عصى الله بمعصيةٍ كُفرية فكان كافرًا مُشرِكًا بالله أَوْ كان منافقًا: أنه خالدٌ مُخلَدٌ في النَّار، أَمَّا إن وحد الله وعصى فيها دون ذلك فإنه يستحق بمعصيته العذاب لكنه تحت المشيئة، إن شاء ربه عذبه ثُمَّ أخرجه من النَّار، وإن شاء عفا عنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فَهلذَا الَّذِي دلت الأدلة دلالةً واضحةً بينة لا لبس فيها.

(أي: شاهدوه عيانا، وجزموا أنه واقع بهم)؛ وذلك في يوم القيامة، فإذا رأَوْا يوم القيامة وما فيه من الأهوال ورأَوْا ذلك بأعينهم.

(﴿ قُلْ ﴾ [الجن: ٢٥]؛ لهم إن سألوك فقالوا مَتَىٰ هٰذَا الوعد؟ ﴿ إِنْ أَدْرِى أَقْرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعُلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴾ [الجن: ٢٥])؛ يعني: لست أدري أقريبٌ ما توعدون، أم يجعل له ربي مدة طويلة حَتَىٰ يقع، فمن جهة معرفة وقت الوقوع فلست أدري، فقد يكون قريبًا وقد يكون بعد مدة طويلة، أمّا من جهة كونه واقعًا وَلَا بُدَّ فإنه قريب، وعَلَىٰ هٰذَا لا تعارض بين الآيات الدالة عَلَىٰ قرب قيام الساعة وهاذِه الآية؛ لأن هاذِه الآية يُراد بها الوقت بالتحديد، فلا أدري هل هو قريب، أوْ يجعل له ربي مدة طويلة؟ أمّا من جهة الوقوع اللازم فلا شك أنه قريب، وكل آتٍ قريب.

(﴿ مِنْ رَسُولٍ ﴾ [الجن: ٢٧])؛ يعني: من الملائكة ومن البشر.

(﴿ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ﴾ [الجن: ٢٧])؛ الضمير هنا قيل: يرجع إِلَىٰ الغيب الَّذِي يوحيه الله عَزَّ وَجَلَّ إِلَىٰ مَن ارتضاه من رسول، فيُحفَظ بمزيد حفظٍ من الملائكة حَتَّىٰ لا يسمعه أحد إِلَّا الرسول الَّذِي أراد الله عَزَّ وَجَلَّ أن يسمعه.

وقيل: يرجع إِلَىٰ الوحي كله عند تبليغه، فالنّبِيّ عندما يبلغ الوحي فهلاً الوحي محفوظٌ، فلا يمكن أن يدخل فيه حرف، ولا أن يُنقَص منه شيء، ولاحظوا يا إخوة أننا نقول: عند تبليغه، فوالله كل وحي جاء به رسولٌ أَوْ نبي من عند الله عَزّ وَجَلّ قد اسمعه الرسول إِلَىٰ قومه كاملًا صافيًا، أَمَّا بعد ذلك فقد يدخل التحريف كما وقع في التوراة، والإنجيل، وَأَمَّا دين مُحَمَّدٍ صَلّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فقد تكفل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بحفظه.

كَ وقيل: إن الضمير يرجع إِلَى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ يعني قيل: إنه يرجع إِلَى الغيب بخصوصه فيكون له مزيد حفظ، وقيل: يرجع إِلَى الوحي كله عند تبليغه، وقيل يرجع إِلَى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(الماتن)

﴿ لِيَعْلَمَ ﴾ [الجن: ٢٨] بذلك ﴿ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ ﴾ [الجن: ٢٨] بما جعله لهم من الأسباب، ﴿ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ ﴾ [الجن: ٢٨]؛ أي: بما عندهم، وما أسروه وأعلنوه، ﴿ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ [الجن: ٢٨]؛ وفي هٰذِه السورة فوائد كثيرة: منها: وجود الجن، وأنهم مكلفون مأمورون مكلفون منهيون، مجازون بأعمالهم، كما هو صريحٌ في هٰذِه السورة وغيرها.

ومنها: أن رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسول إِلَىٰ الجن، كما هو مبعوثٌ إِلَىٰ الإنس، فإن الله صرف نفر الجن ليستمعوا ما يوحى إليه ويبلغوا قومهم.

ومنها: ذكاء الجن ومعرفتهم بالحق، وأن الَّذِي ساقهم إِلَىٰ الإيمان هو ما تحققوه من هداية القرآن، وحسن أدبهم في خطابهم.

ومنها: اعتناء الله برسوله، وحفظه لما جاء به، فحين ابتدأت بشائر نبوته، والسماء محروسة بالنجوم، والشياطين قد هربت عن أماكنها، وأُزعِجَت عن مراصدها، وأن الله رحِم به أهل الأرض رحمة ما يُقدَر لها قدر، وأراد بهم ربهم رشدًا، فأراد أن يظهر من دينه وشرعه ومعرفته في الأرض، ما تبتهج به القلوب، وتفرح به أولو الألباب، وتظهر به شعائر الإسلام، وينقمع به أهل الأوثان والأصنام.

ومنها: شدة حرص الجن لاستماع الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتراكمهم عليه. (الشرح)

(﴿ لِيَعْلَمُ ﴾ [الجن: ٢٨])؛ ليعلم مَنْ؟

عَلَى: ليعلم مُحَمَّدٌ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَن الرُسُل من الملائكة والبشر قد بلغت ما أُرسِلَت به من غير زيادةٌ ولا نُقصان؛ وذلك لأنه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيشهد معه أُمته للأنبياء عليهم السلام بالبلاغة، والشهادة لَا بُدَّ أَن تكون عن عِلم وقد علمنا بهذا.



وقيل: ليعلم الله، إذًا ما المعنى؟ يعني: ليعلم الله عَزَّ وَجَلَّ عِلم وقوعٍ أن الرُّسُل قد بلَغت ما أمرها بتبليغه، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يعلم الأشياء قبل وقوعها، ويعلم الأشياء عند وقوعها، الله عَزَّ وَجَلَّ علم الأشياء عند وقوعها، الله عَزَ علم أني سأجلس معكم اليوم في الأزل، وعلِم الآن أني معكم، فالمقصود بالعِلم في مثل هلذا: علم الوقوع.

ع وقيل: ليعلم الجن، فاللَّذِي يعلم هنا هو: الجن، فليعلم الجن أن الرُّسُل قد بلغوا ما أُرسِلوا به. على وقيل: ليعلم كل مُكذبٍ برسول أن الرُّسُل قد بلغوا، ولا مانع من الكل.

(أي: بما عندهم)؛ أي: بما عند الرُّسُل عَلَيْهِم السَّلَامُ.

(منها: وجود الجن، وأنهم مكلفون مأمورون مكلفون منهيون، مجازون بأعمالهم)؛ وَلَا بُدَّ من الإيهان بهذا، والتصديق بهذا فإنه خبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهم خلقٌ مكلفون، ولا يجوز اعتقاد غير هذا.

(ومنها: أن رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسول إِلَىٰ الجن، كما هو مبعوثٌ إِلَىٰ الإنس)؛ النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُعِث إِلَىٰ الجن والإنس من بعثته إِلَىٰ أن يرث الله الأرض ومَن عليها.

(ومنها: ذكاء الجن ومعرفتهم بالحق، وأن الَّذِي ساقهم إِلَىٰ الإيمان هو ما تحققوه من هداية القرآن، وحسن أدبهم في خطابهم)؛ يعني: أن الجن لهم فَهم ويفهمون، ولذلك كُلِفوا.

(ومنها: اعتناء الله برسوله، وحفظه لما جاء به، فحين ابتدأت بشائر نبوته، والسماء محروسة بالنجوم، والشياطين قد هربت عن أماكنها، وأُزعِجَت عن مراصدها)؛ فالله عَزَّ وَجَلَّ اختص نبينا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخصائص منها: مزيد الحفظ لهذا الدين، فإن الله عَزَّ وَجَلَّ حَفِظ السهاء عند بعثة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أن تسترق الجن والشياطين أخبار السهاء منها، وحفظها حفظًا عظيها.

ومنها: أن هذه السورة قد اشتملت عَلَىٰ الأمر بالتوحيد والنهي عن الشِّرْك، وبينت حالة الخلق، ومنها: أن هذه السورة قد اشتملت عَلَىٰ الأمر بالتوحيد والنهي عن الشِّر كَا اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا وَأَن كُل أُحدٍ منهم لا يستحق من العبادة مثقال ذرة؛ لأن الرسول مُحَمَّدًا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا كان لا يملك لأحد نفعًا ولا ضُرًا، بل ولا يملك لنفسه، عَلِم أن الخلق كلهم كذلك، فمن الخطأ والغلط اتخاذ من هٰذَا وصفه إلهًا آخر.



ومنها: أن علوم الغيوب قد انفرد الله بعلمها، فلا يعلمها أحدٌ من الخلق، إِلَّا من ارتضاه الله وخصه بعلم شيءٍ منها.

(الشرح)

(ومنها: أن هذه السورة قد اشتملت عَلَىٰ الأمر بالتوحيد والنهي عن الشَّرْك، وبينت حالة الخلق، ومنها: أن هذه السورة قد اشتملت عَلَىٰ الأمر بالتوحيد والنهي عن الشَّرْك، وبينت حالة الخلق، وأن كل أحدٍ منهم لا يستحق من العبادة مثقال ذرة)؛ قلنا يا إخوة في البداية موضوع السورة قسمان: القسم الْأَوَّلُ: شيء من أخبار الجن، والقسم الْثَّانِي: حقيقة دعوة الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(ومنها: أن علوم الغيوب قد انفرد الله بعلمها، فلا يعلمها أحدٌ من الخلق، إِلَّا من ارتضاه الله وخصه بعلم شيءٍ منها)؛ ليبلغه، وهلذَا إِنَّهَا هو للرُّسُل عَلَيْهِم السَّلَامُ.

- **اً أَبِظا مِن فُوائد السورة:** أن تعلق قلب العبد بغير الله عَزَّ وَجَلَّ يضعفه ويزيده وهنًا.
- **عومن فوائد السورة أبيْظًا:** أن الجن كالإنس يختلفون في دينهم؛ فمنهم: يهود، ومنهم: نصارى، ومنهم: مسلمون، ومنهم غير ذلك، كما يختلفون في صلاحهم وفيهم أهواء وفِرَق، فالأهواء والفِرَق الموجودة في الناس موجودة في الجن.

هَذَا مَا يَتَعَلَقَ بَتَفْسِيرَ هَذِهِ السورة العظيمة الشريفة، وبهٰذَا نقول أنهينا دروسنا في شهر رمضا، فَهُذَا هُو أَخر درسٍ عندنا في شهر رمضان إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، ونعود إِلَىٰ الدروس بعد العيد إن شاء الله عَزَّ وَجَلَّ، أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يتقبل من الجميع.

وقبل أن أختم المجلس أوْصي نفسي وإخواني: كثرة الدعاء للمسلمين والمسلمات، فأكثروا من الدعاء صادقين ملتجئين لله عَزَّ وَجَلَّ، ادعوا لولاة أمور المسلمين أن يهديهم الله ويسددهم ويقويهم ويعينهم، وادعوا لعلماء المسلمين أن يهديهم الله عَزَّ وَجَلَّ إِلَىٰ ما في الكتاب وَالسُّنَّة، وإِلَىٰ ما عليه سلف الأُمَّة رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِم، وأن يعينهم عَلَىٰ القيام بالأمانة عَلَىٰ الوجه الَّذِي يرضي الله عَزَّ وَجَلَّ، وادعوا لعموم المسلمين والمسلمات، وادعوا لإخواننا الَّذِين يمرون بكرباتٍ وأمورٍ شدائد كإخواننا في فلسطين عمومًا وفي غزة خصوصًا.

يا إخوة لا ينبغي أن ننسى بقية إخواننا في أراضي فلسطين، فإن إخواننا في أراضي فلسطين يعانون الأمرين، فندعو لجميع إخواننا في فلسطين، وندعو لإخواننا أهل غزة بصدق وإخلاص والتجاء إِلَى الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ، كذلك الدعاء لإخواننا في السودان أن يطفئ الله هاذِه النَّار الَّتِي اشتعلت في البلاد



عَلَىٰ خيرٍ وهُدى، وأن يحفظ الإسلام والمسلمين، وادعوا لعموم بلدان المسلمين يا إخوة بأن يكفيها الله شر الفتن والفتانين، وأن يتقبل من الجميع بارك الله في الجميع، وأعاد الله علينا هذا الشهر أعوامًا عديدة وأزمِنةً مديدة ونحن في حالٍ رشيدة.

واللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَىٰ وَأَعْلَمُ.
وَصَلَّ اللهُ عَلَى نَيِيِّنَا وَسَلَّم.